حذف الفاعل

بين المعيارية والتطبيق

في القرآن الكريم

الدكتور

طالب محمد إسماعيل



الطبعة الأولى

1432هـ - 2011م

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : (2009/12/5247)

225.1

إسماعيل، طالب محمد

حذف الفاعل بين المعيارية والتطبيق في القرآن الكريم/ طالب محمد إسماعيل ـ عمان: دار كنوز المعرفة، 2010

( ) ص.

ر.أ: (2009/12/5247)

الواصفات: / ألفاظ القرآن// قواعد اللغة// إعراب القرآن/

أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرس والتصنيف الأولية

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

ردمك: ISBN: 978 - 9957 - 74 - 097 - 9



دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع

الأردن - عمان - وسط البلد - مجمع الفحيص التجاري

تلفون: 4655877 6 962+ - فاكس: 4655875 6 962+

موبايل: 5525494 79 962+ - ص. ب 712577 عمان

الموقع الإلكتروني: www.darkonoz.com

إيميل: dar_konoz@yahoo.com - info@darkonoz.com

تنسيق وإخراج: صفاء نور البصار

00962 79 6507997

safa_nimer@hotmail.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حذف الفاعل

بين المعيارية والتطبيق

في القرآن الكريم

الإهداء

إلى ذلك الملاك الذي طوى المسافات...
واخترق القارات
لنلتقي من دون موعد، فتوقف الزمان
لترتقي الروح، فكأنها (توارت بالحجاب)
فيها أيتها الغالية؛
إن الدنيا ظلت تسعى
يدنو منها، سرٌ يغرق في عينيك
أيُ الأسماء أناديك
فكلها عندي مجهولة
لأنكَ جئت زماناً
من بوابات القَهر
فتخطيت مقاييس العقل
ونواميس الدهر
فنامي في عيني نجماً لا يأفل
وحطي رجلكِ في صدري، عشقاً لا يذبل
فنصبحُ يوماً وطناً للآخر
سيبقى حبك طفلاً يلهو
يجري في شرياني.. يبحر نحو الآتي
لا يقدر حقد خطفه
لا يُقتل... لا يُصلب
سيظلُ خفقه يغفو بين النبض وسواقي القلب

محتويات الكتاب

الفصل الأول

حذف الفاعل في أسلوب المبني للمجهول

الفصل الثاني

حذف الفاعل في بناء المطاوعة

الفصل الثالث

حذف الفاعل في أسلوب (المجاز العقلي)

الفصل الرابع

حذف الفاعل لدلالة المقام

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الجميعُ يعلمُ عِلم اليقين أن فنون الإعجاز في القرآن الكريم ليس بمستطاع بشرٍ حصرها، أو رصد بعض مسالكها.

وقد كان نصيب هذه الدراسة ظاهرة لغوية، يجدها الباحث موزعة على فروع اللغة العربية وهي ظاهرة (حذف الفاعل) في الجملة العربية.

فإذا كان لـ (حذف الفاعل) في سياق المبني للمجهول، حصة مرموقة في جهود أهل النحو.

فإن لحذف الفاعل في ميدان علم الصرف نصيباً أخر، وذلك عندما يبنى الفعل للمطاوعة.

وإذا خطونا باتجاه البحث البلاغي وجدنا أن الفاعل قد يحذف بأسلوب أطلق عليه أهل البلاغة (المجاز العقلي).

ولو توقفنا عند المستوى الذي يسميه اللغويون (المستوى الدلالي) لتنبهنا إلى أن الفاعل قد يحذف من دون أية قرينة إلا قرينة المعنى أو المقام.

وخلاصة القول، إن الفاعل قد يُحْذف في أربعة مستويات، هي:

المستوى النحوي، والصرفي والبلاغي، والدلالي.

لذلك اقترح أن تقسم هذه الدراسة على أربعة فصول، يختص كل فصل بدراسة أحد هذه المستويات، فجاء الفصل الأول: في (حذف الفاعل) في أسلوب المبني للمجهول، ثم كان الفصل الثاني: لـ (حذف الفاعل) في بناء المطاوعة والفصل الثالث: تناول (حذف الفاعل) في أسلوب (المجاز العقلي) ثم الفصل الرابع: تضمن (حذف الفاعل) لدلالة المعنى.

وقد اختارت الدراسة أن يبدأ منهجها مما يسمى (المعيارية) أي: تعرض آراء النحاة، وقواعدهم، وما وضعوه من قوانين لغوية نعرض على السياق القرآني لتقويمهما وبيان مدى دقتها وصوابها مستنيرين بتنويرات أهل التفسير، وفي مقدمتهم (الشيخ الطاهر بن عاشور) مستعينين بالجهود العظيمة التي قدمها لنا العلماء العرب القدامى والمحدثين وفي مقدمتهما كتب التفسير؛ مثل تفسير (الكشاف) للزمخشري و(الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي ومؤلفات (علوم القرآن) مثل كتاب (البرهان) للزركشي و(الإتقان) للسيوطي، وغيرهما.

وهذه بداية على الطريق نتمنى أن تعقبها دراسات أخرى أكثر فيضاً، وأكثر إلهاماً.

والله المستعان

الفصل الأول

حذف الفاعل

في أسلوب المبني للمجهول

الفصل الأول

حذف الفاعل في أسلوب المبني للمجهول

يتضمن هذا الفصل (مبحثين):

المبحث الأول

تمتلك اللغة العربية أساليب متنوعة تستغني فيها عن (الفاعل) في الجملة الفعلية، بشرط أن يحقق هذا (الاستغناء) فضيلة دلالية وفائدة بلاغية وتنويرة أسلوبية.

ويبدو أن أكثر تلك الأساليب استعمالاً:

(أسلوب المبني للمجهول) أحد أساليب التعبير يؤدي غرضاً معيناً لا يُؤدى بغيره علماً بأن هذا الأسلوب يقتضي مراعاة مستويين:

الأول: المستوى التركيبي،

يبدأ هذا المستوى من:

أ. بنية الفعل المبني للمجهول:

وقد ذهب بعض اللغويين إلى أن أسلوب المبني للمجهول أصل ويبدأ من بناء الفعل:

١. إذ يضم أوله:

ويكسر ما قبل آخره في الماضي: ضَرَب – ضُرِب.

ويفتح ما قبل آخره في المضارع: يَضْرِبُ – يُضْرَبُ.

ويضم ثانيه: إذا كان مبدوءاً بـ (تاء) (المطاوعة): تدحرج – تُدُحرج

ويضم ثالثه: إذا كان مبدوءاً بـ (همزة الوصل): اَقتدر – أُقتُدِر

٢. إذا كان الفعل المبني للمجهول ثلاثياً معتل العين، فيجوز في (قال)

إخلاص الكسر (قيل)

إخلاص الضم (قول)

الإتمام: (قُيل)

٣. الفعل المُضَعَّف، وكل فعل على وزن (افتعل) و(انفعل) فيجوز في: (حَبَّ) (أنقاد) (أختار)

إخلاص الكسر – حُبَّ (انقيد) (اختير)

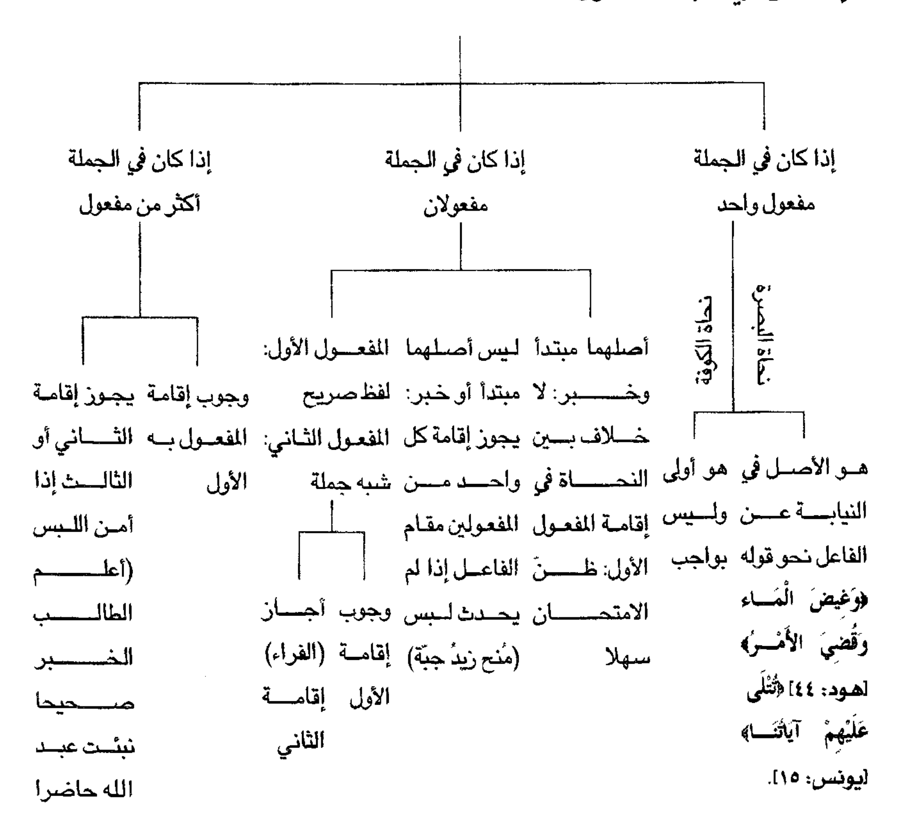
إخلاص الضم – حُبُ (أنقود) (أختور)

الإشمام – حُبَّ (انقيُد) (اختيرُ)

ب. ما ينوب عن الفاعل

(وهو ما يحلّ محلّ الفاعل المحذوف ويأخذ أحكامه ويصير ركنا في الإسناد لا يصحّ الاستغناء عنه وحكمه الرفع)

أ. إذا كان في الجملة مفعول[1]



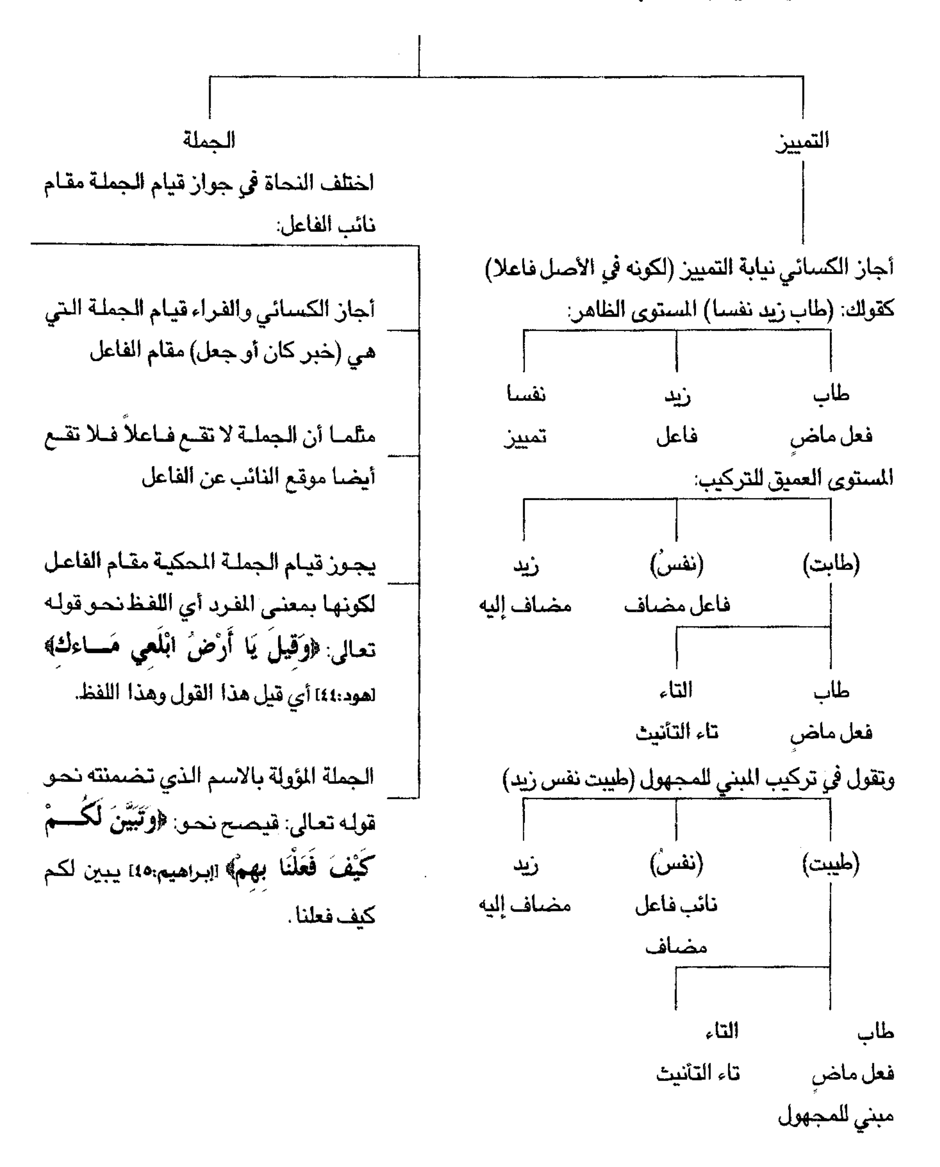
(١) ذكر بعض اللغويين أن (أسلوب المبني للمجهول: أصل) واستدلوا على ذلك بالأفعال التي وردت عن العرب مبنية للمجهول، مخصوصة لا حظ للفاعل فيها كقولهم: بهت الرجل، ونفست المرأة ولداً كما نجد أفعالاً مصوغة للفاعل لا حظ فيها للمفعول كقولهم: جلس زيد وظرف عمرو وهناك أفعال وردت عن العرب مبنية للمجهول مثل (دُهش، أولع، عني به شده هُرِعَ، أغمي عليه، شغف، أهرع، أمتقع لونه..) وقد أكد بعض علماء اللغة هذا الرأي فذكروا أن (من شدة قوة العناية بالمفعول أن جاءوا بأفعال مسندة إلى المفعول ولم يذكروا الفاعل معها أصلاً، وهي نحو قولهم (جُن زيد) و(انقطع به فهذا كإسنادهم الفعل إلى الفاعل البتة فيما يتعدى نحو: قام زيد، وقعد جعفر..) لمزيد من الفائدة ينظر: الكاتب المحتسب ٦: ٢٨٤ .
المخصص – لابن سيده – ٥: ٧٢، ٧٣، المزهر ٢. ٢٣٤ .

ب. إذا لم يكن في الكلام مفعول به/ فيقوم مقامه ما يأتي[1]:

المصدر أو اسم المصدر	الظرف	الجار والمجرور
بشرط الفائدة التي تتحقق في حالين: التصرف - الاختصاص ب: الوصف (جلس جلوساً مريحاً) أو: الإضافة (جلس أو العدد: جلس مرتين جلوس الأمراء قال تعالى ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [الحاقة: ١٣].	بشرط أن يكون مفيدا وتتحقق الفائدة بأمرين: التصرف: - الاختصاص: بأحد أمور ثلاثة: الوصف: سير وقت طويل - الإضافة: سير وقت الأصل. قال تعالى ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ﴾ [سبأ: ٥٤]. - التعريف: صيم رمضان صيم اليوم. قال عز وجل ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ [الأنعام: ١٦].	بشرط: التصرف - الاختصاص ب: الوصف (ضُرِب به ضربا) - الإضافة (ولما سقط في أيديهم) - التعريف: كقولك (نُقِل عن سيبويه) و(حكي عن الأصمعي) قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ٣٥] ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧]

(١) ينظر: الكتاب (١: ١٩-٢٠)
المقتضب (٤: ٥٠-٥١)
معاني النحو وإعرابه؛ (١: ٩٩)
الأصول في النحو (١: ٧٦)
المحتسب (١: ٦٤)
التسهيل: (٧٧)
شرح المفصل (٧: ٧٤)
شرح الكافية (١: ١١٩)
شرح شذور الذهب (١٣٠)
شرح ابن عقيل (١: ١٦٢)
شرح التصريح (١: ٢٨٦-٢٨٧)

ت. ويجوز أن يكون نائب الفاعل[1]



---

(١) شرح الكافية (١: ٢١٩).

ثانياً: المستوى الدلالي:

يعتمد هذا المستوى على تفسير ظاهرة لغوية مفادها أن العدول عن الجملة المبنية للمعلوم إلى الجملة المبنية للمجهول لابد أن يحقق أغراضاً دلالية وبلاغية؛

ولكن نص غرضه العام وأغراض أخرى تختص بسياق النص.

ولعلّ في مقدمة هذه الأغراض (الإيجاز والاختصار وتحصيل المعنى الكثير في اللفظ القليل فإنّ تركيب البناء للمجهول يقتضي حذف الفاعل)[1]

فإن كان المتلقي يعلم الفاعل المحذوف، فإن الحذف يحرض الذهن على التركيز في الحدث الذي يتضمنه الفعل، نحو قوله تعالى ﴿خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧].

وإذا كان الفاعل مجهولاً، غير معلوم، فيتساوى التعبير بالمعلوم أو بالمجهول.

ويكون في سياقه تنبيه إلى أن الغرض من البناء للمجهول لا يتعلق بذكر الفاعل. (لأن الفاعل ليس بذي أهمية وإنما المهم هو الحدث ذاته، كقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ﴾ [النساء: ٨٦]. فالمهم هنا هو بيان الحكم في حالة التحية)... ومن الأغراض التي يحققها أسلوب المبني للمجهول وقد أشار إليها بعض علماء اللغة العربية (التفخيم والإعظام لما فيها من الإيهام، لذهاب الذهن في كل مذهب، وتشوقه إلى ما هو المراد فيرجع قاصراً عن إدراكه، فعند ذلك يعظم شأنه، ويعلو في النفس مكانه.

ألا ترى أن المحذوف إذا ظهر في اللفظ زال ما كان يختلج في الوهم من المراد وخلص للمذكور.

---

(١) البرهان في علوم القرآن (٣:١١٩).

فإذا استنبط الذهن اللفظ المحذوف، أستلذ بكشف ما خفي من لفظ. (وكلما كان الشعور بالمحذوف أعسر، كان التلذذ به أشد وأحسن)[1].

ومن أغراض حذف الفاعل أيضاً، (التعجب) و(التهويل) و(الإهمال) وغيرها. ولعل من المفيد أن نشير هنا إلى أن الدراسة التطبيقية التي سنعرضها في الصفحات الآتية لا تفصل بين المستوى (التركيبي) و(المستوى الدلالي)، فلا يستقيم التطبيق بفصلهما.

---

(١) دروس في شروح الألفية (٣٧).

المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية

ونستهل الدراسة التطبيقية: بـ

أولاً: تنوع السياقات القرآنية التي يقع في تركيبها الفعل المبني للمجهول:

فقد تقع صيغة الفعل المبني للمجهول في سياق الجملة الفعلية المنفية كما في قوله تعالى ﴿وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ٤٨]. فإن بناء (يُقبل) للمجهول أبلغ، لأنه في اللفظ أعم، وإن كان يعلم أن الذي لا يقبل هو الله تعالى والضمير في (منها) عائد على (نفس) المتأخرة لأنها أقرب مذكور أي: لا يقبل من النفس المتشفعة شفاعة شافع.

ولعل من المفيد أن نشير هنا إلى أن التركيب قد فصل بين الفعل (يُقبل) والفعل (يُؤخذ) وبين فاعليهما (شفاعة) و(عدل) بالجار والمجرور (منها) فحصل بذلك مسوغ لترك اقتران الفعل بـ (تاء) التأنيث.

ومثله قوله عز وجل ﴿فَالْيَوْمَ لاَ يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ﴾ [الحديد: ١٥].

كذلك قوله تعالى ﴿وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠].

ومثله أيضا قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ [التوبة: ٥٣].

فإن صيغة الأمر في (أنفقوا) للتسوية.

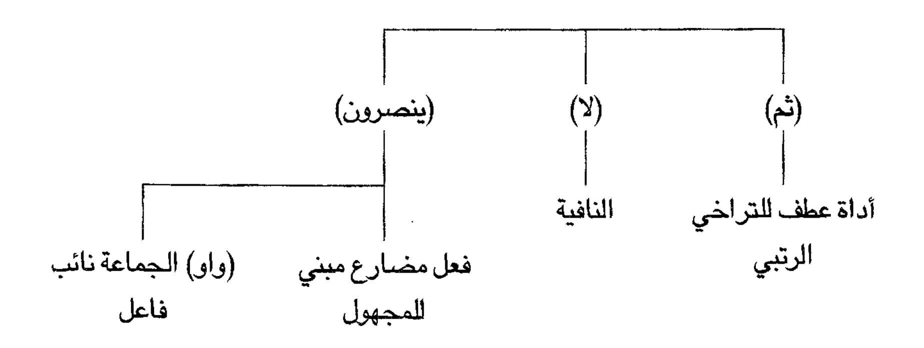
أي: أنفقوا أولا تنفقوا، كما دلت عليه (أو) في قوله (طوعا أو كرها) وهو في معنى (الخبر الشرطي) لأنه في قوة أن يقال (لن يتقبل منكم إن انفقتم طوعا أو أنفقتم كرها).

و (الكره) أشد الإلزام، وبينه وبين الطوع مراتب متعددة.

وانتصب (طوعا أو كرها) على النيابة عن المفعول المطلق بتقدير (إنفاق طوع أو إنفاق كره)(١). وذهب أبو جعفر النحاس إلى أن قوله تعالى (طوعا أو كرها) مصدران في محل نصب (حال)، أي: (إن أنفقتم طائعين أو مكرهين)(٢).

أما الجملة الفعلية المنفية بـ (لن) – الدالة على توكيد النفي، فقد وقع الفعل (يُتَقبّل)(*) مضارعا مبنيا للمجهول، فحذف الفاعل لينوب (الجار والمجرور) عن الفاعل المحذوف أي: لا يتقبل منكم شيء.

ونقرأ أيضا قوله تعالى ﴿ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ﴾ [الحشر: ١٢].



فقد قصد صيغة الفعل المبني للمجهول الواقعة في سياق النفي،

---

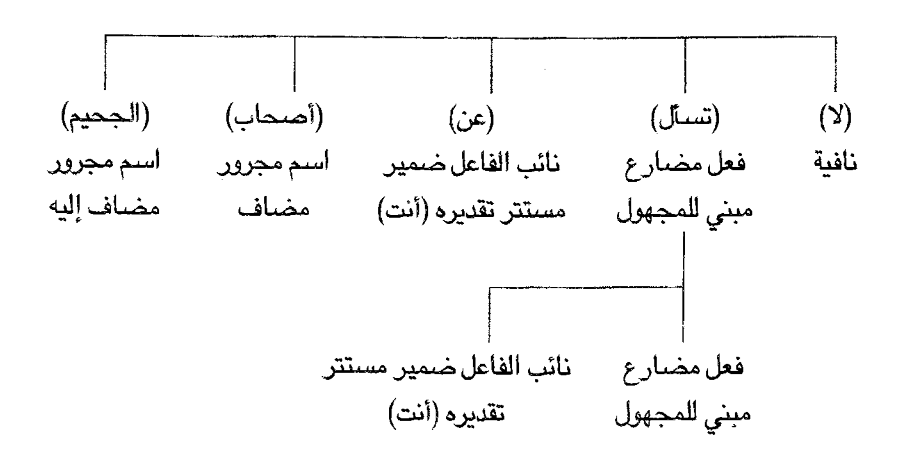
(١) التحرير والتنوير (٢٦: ٣٥).

(٢) إعراب القرآن (٢: ٢٢٠).

(*) وقد ورد الفعل (يتقبل) في سورة المائدة: الآية (٧) التوبة الآية (٥٣).

تأييد أهل الكتاب من الانتفاع بإغاثة المنافقين، وتثبيت رسول الله (ﷺ) والمسلمين وتأمينهم من أعدائهم.

ثم تأمل قوله عز وجل ﴿وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩].

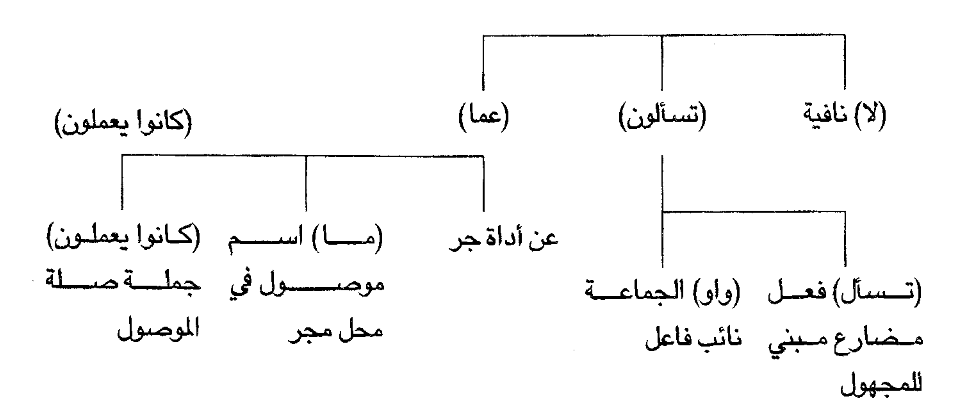


قرأ الجمهور (تسأل) بضم (التاء) ورفع (اللام) على أن (لا) نافية أي: (لا يسألك الله عن أصحاب الجحيم)، ويبدو أن الخطاب للرسول محمد ﷺ ومعنى القول الكريم (أنك لا تسأل عن الكفار ما لهم لا يؤمنون لأن ذلك ليس إليك..) وفي ذلك تسلية للرسول محمد ﷺ وتخفيف ما كان يجده من عناد المشركين، فكأنه قيل: لست مسؤولا عنهم فلا يحزنك كفرهم..

ومثله(*) قوله تعالى ﴿وَلاَ يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨]. فإنه يحتمل أن يكون السؤال كناية عن علم الله بذنوبهم. والكلام تهديد للمجرمين ليكونوا بالحذر من يؤخذوا بغتة.

ونقرأ قوله عز وجل ﴿وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤].

(*) ومثله أيضا قوله عز وجل ﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلاَ جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩].



فأنت ترى أن صيغة المبني للمجهول (تسألون) الواقعة في تركيب الجملة الفعلية المنفية بـ (لا) قد حقق سياقها معنى (تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب؛ كما تقول كيف فلان؟ سائلاً عن الواقع في (بلية) فيقال لك (لا تسأل عنه).

ووجه التعظيم أن المستخبر يجزع أن يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته فلا تسأله ولا تكلفه ما يضجره.

أو أنت يا مستخبر لا تقدر على استماع خبره لإيحاشه السامع وإضجاره فلا تسأل...)[1].

ويفهم من سياق الكلام دلالة أخرى هي أن (لا يسأل أحد عن عمل أحد فكما لا ينفعكم حسناتهم فكذلك لا تسألون ولا تؤاخذون بسيئات من اكتسبها)[2].

وقد يتضمن التركيب القرآني من صيغة مبنية للمجهول مشتقة من فعل معلوم واحد، في قوله تعالى **﴿قُل لاَّ تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلاَ نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾** [سبأ: ٢٥] فالفعل (تسأل) للمخاطب والفعل (تسألون) للمخاطبين، جاءا بصيغة

---

(١) الكشاف (١: ١٨١-١٨٢).

(٢) البحر المحيط (١: ٥٧٧).

المبني للمجهول في تركيب واحد ومثله أيضاً قوله تعالى ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

فالفعلان (يسأل)، و(يسألون) مبنيان للمجهول، ولما كان الضمير المرفوع بالنيابة عن الفاعل مشعراً بفاعل حذف لقصد التعميم أي: لا يسأل الله تعالى عما يفعل.

فكأن جملة (لا يسأل عما يفعل)؛ تمهيداً لجملة (وهم يسألون) على أن تقديمه على جملة (وهم يسألون) اقتضته مناسبة الحديث عن تنزيهه تعالى عن الشركاء، فكان انتقالاً بديعاً بالرجوع إلى بقية أحوال المقربين، والسؤال هنا بمعنى؛ المحاسب وطلب بيان سبب الفعل إذ هم يسألون عما يفعلون وشأن الإله أن لا يسأل.

وقد تضمن قوله تعالى (لا يسأل عما يفعل)؛ كناية عن جريان أفعال الله تعالى على مقتضى الحكمة إذ إنها لا مجال فيها لانتقاد منتقد إذا أتقن الناظر التدبر فيها أو كشف عما خفي عنها..[1].

ومثل هذه الخصوصية التركيبية في النسق القرآن تجدها في مواضع كثيرة في الكتاب العزيز ومن تلك المواضع قوله تعالى ﴿فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ [الأنبياء: ٤٧].

فالظلم ضد العدل، ووقوعه في سياق النفي دل على تأكيد العموم من الفعل (تظلم) الواقع في سياق النفي، أي: لا تظلم بنقص من خير استحقته ولا بزيادة شيء لم تستحقه.

فأنت ترى أن الجملة المنفية المبنية للمجهول جامعة لمعانٍ عديدة مع إيجاز لفظها بنفي جنس الظلم ونفي عن كل نفس، فأفاد أن لا بقاء لظلم من دون جزاء.

---

(١) التحرير والتنوير (١٧: ٤٥-٤٦.. بتصرف).

ومثله قوله عز وجل ﴿فَالْيَوْمَ لاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلاَ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: ٥٤].

فالفعل المبني للمجهول (يظلمون)، ونائب الفاعل (واو) الجماعة، ومثله قوله تعالى (تجزون).فالمعنى: قد أيقنتم أن وعد الله حق وأن الرسل صدقوا فاليوم يوم الجزاء كما كان الرسل ينذرونكم.

إن تركيب الجملة هنا يشعر بالتعريض بالمشركين بأنهم سيلقون جزاءً قاسياً لكنه عادل لا ظلم فيه، (ولا تجوزن إلا ما كنتم تعملون)

أي: إلا على وفاق ما كنتم تعملون وعلى مقداره، وانتصب (شيئاً على المفعول المطلق، أي (شيئاً من الظلم).

ومثله أيضاً قوله تعالى (... ولا يظلمون فتيلاً). فالفعل (يظلمون) مبني للمجهول، وقد حذف فاعله فأناب (واو) الجماعة عن الفاعل أي: أن تزكية الله غيرهم لا تعد ظلماً لهم لأن الله لا يظلم أحد وهو الذي يهدي إلى سبيل الحق.

وقد تضمنت العبارة القرآنية صيغتين متقابلتين للفعل الواحد ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٩].

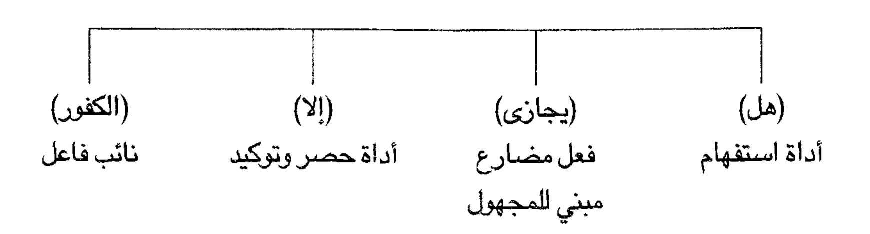
قرأ الجمهور الفعل الأول مبيناً للفاعل (تظلمون)، والثاني مبنياً للمفعول (تظلمون) أي: لا تظلمون الغريم بطلب زيادة على رأس المال ولا تظلمون أنتم بنقصان رأس المال وقرئ الأول مبنياً للمفعول (تظلمون) والثاني مبنياً للفاعل (تظلمون).

ومثله قوله عز وجل. وهو قوله عز وجل ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤].

أي: يعطي الناس ما يأكلونه مما أخرج لهم من الأرض من حبوب وثمار وكلأ وصيد وهذا استدلال على المشركين بما هو مسلم عندهم؛ لأنهم يعترفون بأن الرازق هو الله سبحانه وتعالى وهو خالق المخلوقات، وإنما جعلوا الآلهة الأخرى شركاء في استحقاق العبادة. وقد كثر في القرآن الكريم الاحتجاج

بمثل هذا المعنى الجليل، أما قوله تعالى (ولا يطعم) فتكميل دال على المعنى المطلق(١).

وتقع صيغة المبني للمجهول في الجملة الفعلية المؤكدة. كما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧].



المعنى: ما يجازى ذلك الجزاء إلا الكفور، لأن ذلك الجزاء عظيم في نوعه فإن العقوبة من جنس الجزاء؛ أي: هل يجازى مثل جزائهم إلا الكفور

والخطاب للمشركين الذين يسمعون القرآن...ومقتضى الظاهر أن يقال

(هل يجزون إلا ما كانوا يعملون)

فكانت هذه الجملة كالتلخيص للكلام...ويجوز أن تكون مقولا لقول محذوف يوجه إلى الناس.

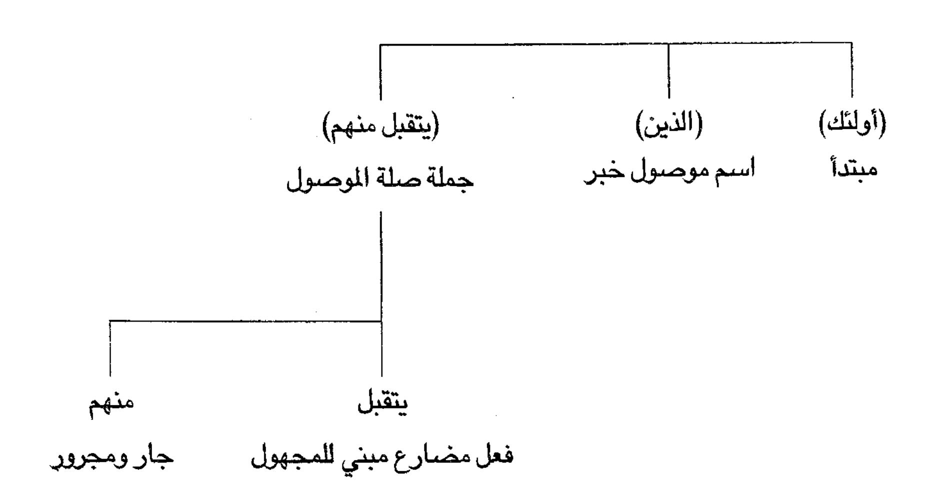
ومثله قوله عز وجل ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٣٩].

وقد يقع أسلوب المبني للمجهول في سياق الجملة الأسمية المثبتة:

نحو قوله عز وجل ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ﴾ [الأحقاف: ١٦].

---

(١) التحرير والتنوير (٧: ١٥٨).



و(التقبل): ترتب آثار العمل من ثواب على العمل واستجابة للدعاء وفي هذا إيماء على أن هذا الدعاء مرجو الإجابة.

لأن الله تولى تلقينه مثل الدعاء في سورة (الفاتحة) ودعاء آخر في سورة (البقرة)[1].

وقد عُدّي الفعل المبني للمجهول بأداة الجر (عن) وحقه أن يعدى بـ (من) تغليبا لجانب المدعو لهم، وهم الوالدان والذرية.

ولم يذكر الفاعل، لظهور أن المتقبل هو الله تعالى.

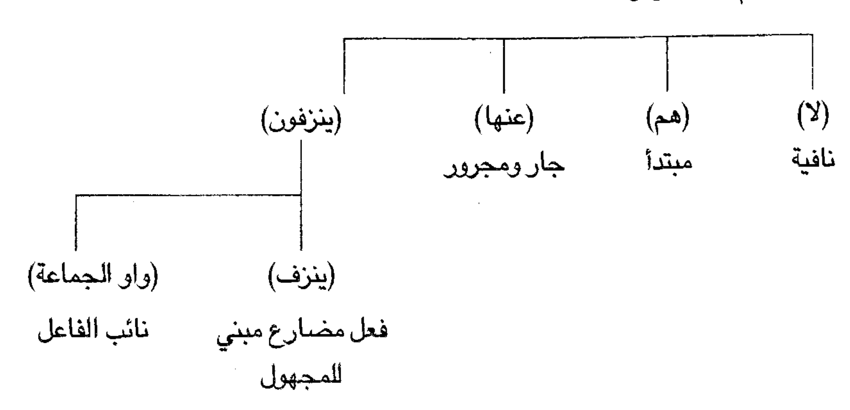
وأناب الجار والمجرور (منهم) عن الفاعل:

وقد يقع أسلوب المبني للمجهول في سياق جملة اسمية منفية؛ نحو قوله تعالى.

---

(١) التحرير والتنوير ٢٦: ٣٥.

﴿وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصافات:٤٧].



فالجملة الاسمية المنفية (ولا هم عنها ينزفون) تقدم فيها المسند إليه (هم) على المسند الفعلي المبني للمجهول (ينزفون) ليفيد التقديم تخصيص المسند إليه بالخبر الفعلي (ينزفون).

أي: بخلاف شاربي الخمر من أهل الدنيا. ولفظ (ينزفون) من نزف الشارب إذا ذهب عقله، ويقال للسكران نزيف ومنزوف، ويقال للمطعون نزف فمات إذا خرج دمه كله، والمعنى: لا فيها فساد قط من أنواع الفساد التي تكون في شرب الخمر..[1]

أي: (لا يعتريهم نزف بسببها كما يحصل للشاربين في الدنيا و(النزف): اختلاط العقل ولعل من المفيد التنبيه إلى أن الفعل (ينزفون) لم يقع إلا مبنيا للمجهول: الصافات: ٤٧. الواقعة: ١٩.

ومثله قوله تعالى ﴿... وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الطور: ٤٦].

---

(١) الكشاف ٤: ٤١.

فقد تشابه تركيب القول الكريم مع تركيب الجملة السابقة إذ وقع خبر المبتدأ (هم)؛ جملة فعلية (ينصرون...)، وقد بني الفعل (ينصرون) للمجهول، ليعم نفي كل ناصر مع إيجاز العبارة.

ومثله(*) أيضا قوله تعالى ﴿... وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [النحل: ٨٤].

فإن تقديم المسند إليه، (المبتدأ): (هم) على المسند؛ الجملة الفعلية المبنية للمجهول وقد تصدرت التركيب (لا) النافية.

وفي القول الكريم تعريض بأن الله يعتب غيرهم، أي: يرضى المؤمنين، أي: يغفر لهم وأعلم أن اقتران الفعل (يستعتبون) بـ (السين) و(التاء)؛ للمبالغة.

ومعنى الإعتاب؛ إعطاء العتبى وهي الرضا، وهو هنا مبني للمجهول؛ أي: لا يستعتبهم أحد، أي: لا يرضون بما يسألون.

ثم أنعم النظر في قوله تعالى ﴿فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٨٦].

كذلك قوله عز وجل ﴿لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [البقرة: ١٦٢].

فقد تشابه التركيب في الموضعين

وما بين (ينصرون) و(ينظرون) جناس غير تام، إذ آثر السياق لفظ (ينصرون) و(ينظرون) جناس غير تام، إذ آثر السياق لفظ (ينصرون)

بدلا من (ينظرون) التي وردت في الموضع الثاني.

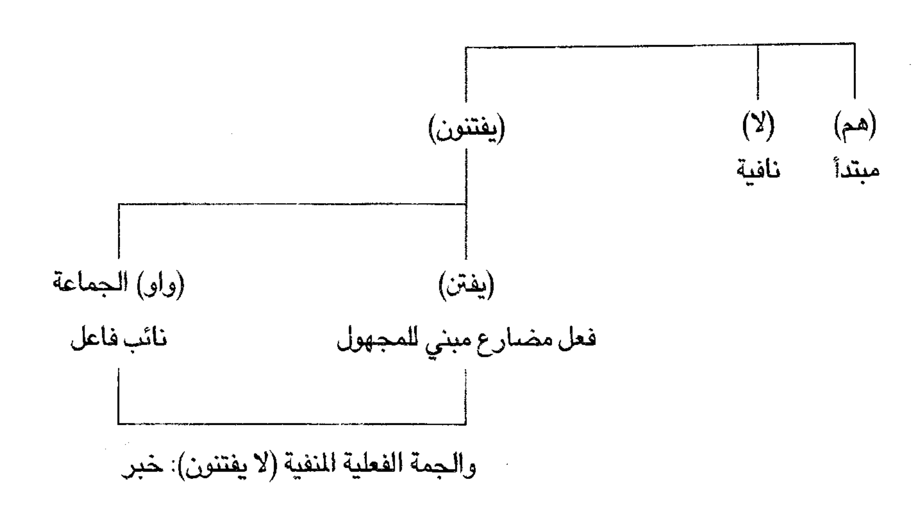
لأن (الإنظار)؛ الإمهال، تقول: نظره نظرة، أمهله، فالمراد: ولا هم يمهلون في نزول العذاب بهم في الدنيا فهو عذاب القتل.

(*) وقد ورد مثله في سورة الروم: الآية ٥٧، الجاثية: الآية ٣٥. ومثله قوله تعالى: (...ولا هم ينصرون) ورد في سورة البقرة: الآية ٤٨، ١٢٣، آل عمران: الآية ١١١ والأنبياء: الآية ٣٩ الطور: الآية ٤٦، الدخان: الآية ٤١.

وقيل: لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، وهو كناية عن الغضب والتحقير وفي مجيء الجملة أسمية في الموضعين، دلالة على الثبات والاستقرار.

وقد يقع النفي على الجملة الفعلية الواقعة خبرا للمبتدأ(*)

كما في قوله تعالى ﴿وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢].



فقد جاء الفعل (يفتنون) مبنيا للمجهول، وحذف الفاعل واستغنى عن ذكره لظهور أن الفاعل قوم ليسوا بمؤمنين.

والمعنى: أحسب الذين قالوا آمنا أن يتركهم أعداء الدين دون أن يفتنوهم؟

و(الفتن) و(الفتون) فساد حال الناس بالعدوان والأذى في الأنفس والأموال والأهلين.

(*) ورد مثل هذا التركيب في سورة البقرة: الآية ٢٨١، آل عمران: الآية ٢٥، ١٦١، النساء: الآية ٤٩، ١٢٤. الأنعام: الآية ١٦٠، يونس: الآية ٤٧، ٥٤، النحل: الآية ١١١؛ المؤمنون: الآية ٦٢، الزمر: الآية ٦٩، الجاثية: الآية ٢٢، الأحقاف: الآية ١٩.

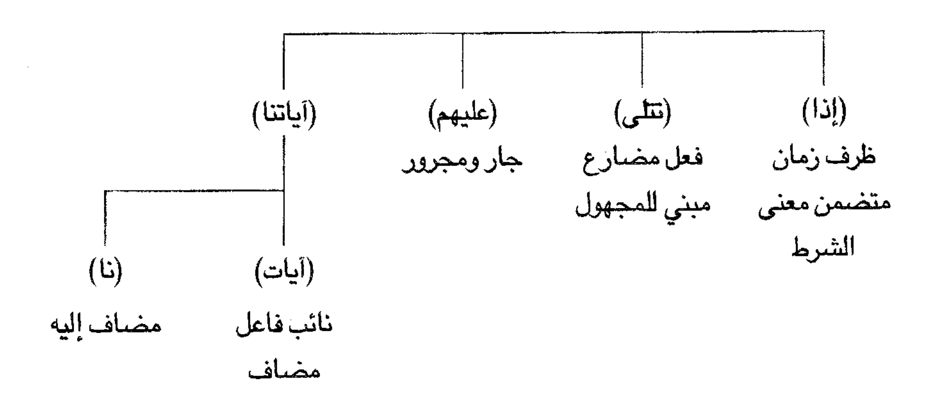
ثانياً: ما ينوب عن الفاعل المحذوف:

وتتضمن هذه المسألة خمسة أنواع من التراكيب:

النوع الأول: الجملة الفعلية التي تتضمن مفعولا به:

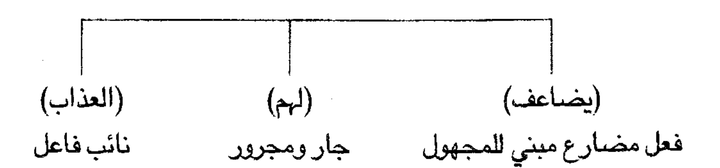
إذا تضمن التركيب القرآني مفعولا به، فلا ينوب عن الفاعل إلا هو، سواء وقع في التركيب متعلقات أخرى أم لم تقع؛ حتى وإن تقدمت على ما كان في الأصل مفعولا به،

ومن ذلك قوله عز وجل ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ [الأنفال: ٣١](*). يونس: ١٥.



(*) مريم: الآية ٥٨، ٧٣- الحج: الآية ٧٢، لقمان: الآية ٧، سبأ: الآية ٤٣.
الجاثية: الآية ٢٥.
الإحقاف: الآية ٧ القلم: الآية ١٥.
المطففين: الآية ١٣.

ومثله قوله تعالى: ﴿يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ [هود: ٢٠، الفرقان: ٦٩، الأحزاب: ٣٠]



النوع الثاني: الجملة الفعلية الخالية من المفعول به.

إذا خلت الجملة من (المفعول به)

فقد يقوم المصدر مقام نائب الفاعل، كما في قوله عز وجل:

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [الحاقة(*): ١٣]

(إذا)	(نفخ)	(في)	(الصور)	(نفخة)	(واحدة)
ظرف زمان متضمن معنى الشرط	فعل ماضٍ مبني للمجهول	أداة جر	اسم مجرور	مصدر نائب فاعل	صفة

فأنت ترى أن المصدر (نفخة) ناب عن الفاعل، للفعل المبني للمجهول (نفخ) وقد تضمن التركيب (الجار والمجرور) (في الصور) المتقدم على المصدر (نفخة). في السياق نفسه ذهب جمهور النحاة إلى أن المصدر المكون من (أن، والفعل) الذي يجيء بعد ضمير المتكلم (التاء) نائب عن الفاعل؛ كما في قوله تعالى ﴿أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ﴾ [الرعد: ٣٦]، الزمر: ١١ ﴿أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ﴾ [الأنعام: ١٤]، يونس: ٧٢، ١٠٤، النمل: ٩١.

(❖) النمل: الآية ٩١، الزمر، الآية ١٢، غافر الآية ٦٦، الشورى: الآية ١٦.

لابد له (من تقدير حرف الجر مع بعض الأفعال حين تأويلها مع (أن) المصدرية.

أما بعضها الآخر فمعه حرف التعليل والجر (اللام) و(أن) المضمرة بعد، والجار والمجرور متعلق بالفعل المبني للمجهول (أمر)[1].

أو قد يقوم الظرف مقام نائب الفاعل ومن ذلك قوله عز وجل - ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ [الأنعام: ١٦].

وقوله تعالى ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤].

وربما يكون الجار والمجرور قد قام مقام الفاعل، كما في قوله عز وجل ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧].

﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ٣٥].

ومن جماليات هذا التركيب أن بعض الأفعال التي تأتي مبنية للمجهول يغلب في تركيبها أن يتقدم الجار والمجرور على الفعل.

كما في الفعل (رجع) — ومشتقاته — وقد ورد مثل هذا التركيب في صورتين..

الصورة الأولى:

يتقدم الجار والمجرور الفعل المضارع المبني للمجهول، (ترجع)[*]

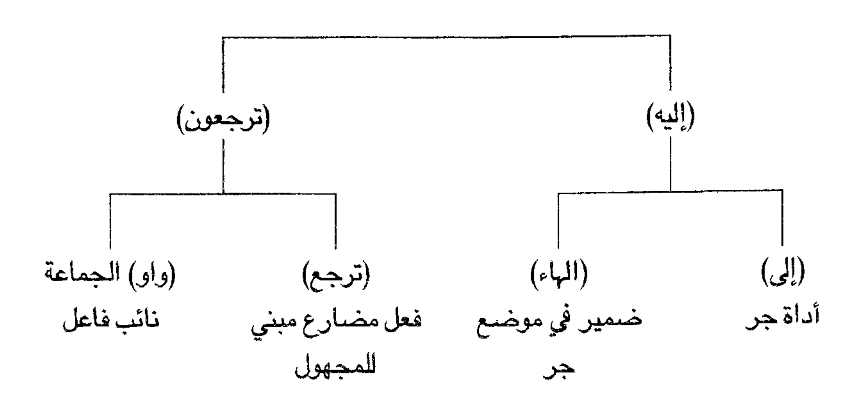
---

(١) المبني للمجهول في الدرس النحوي: ١٢٢.

(*) ترجعون: البقرة: ٨، ٢٥٤، ٢٨١، يونس: ٥٦، هود: ٣٤، الأنبياء: ٣٥، المؤمنون: ١١٥، القصص: ٧٠، ٨٨، العنكبوت: ١٧، ٥٧، الروم: ١١، السجدة: ١١، يس: ٢٢، ٨٣، الزمر: ٤٤، فصلت: ٢١، الزخرف: ٨٥، الجاثية: ١٥.

(يرجعون): آل عمران: ٨٣، الأنعام: ٣٦، مريم: ٤٠، القصص: ٣٩، غافر: ٧٧.

كما في قوله عز وجل ﴿... وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يونس: ٥٦].



(الرجوع): في الأصل؛ المآب إلى الموضوع الذي خرج منه الراجع، وفي المجاز نهاية الشيء وغايته وظهور أثره وقد تقدم الجار والمجرور (إليه) على الفعل المضارع المبني للمجهول (ترجعون).

وحذف فاعله لعلم الجميع، من هو فاعل الإرجاع، فإنه لا يليق إلا بالله تعالى فهو عز وجل (يمهل الناس في الدنيا، وهو يرجع الأمور إليه يوم القيامة)[1].

الصورة الثانية:

تتقدم أداة الجر (إلى) والاسم المجرور؛ لفظ الجلالة (الله) عز وعلا على الفعل المبني للمجهول (ترجع)، كما في قوله تعالى ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

فإن القول الكريم، تذييل جامع لمعنى (وقضى الأمر) الذي سبقه في العبارة القرآنية وأنت ترى أن الفاعل قد حذف.

---

(١) التحرير والتنوير ١٧: ٣٤٥.

لأن إظهاره أول التركيب (إلى الله) جاء قرينة دالة على حذفه، وقد تضمن السياق قرينة أخرى أجازت الحذف.

ومثله أيضا قوله تعالى ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ[1]﴾ [هود: ١٢٣].

فقد تقدم الجار والمجرور (إليه) على الفعل المضارع (يُرْجع)*

الذي بني للمجهول، وحذف الفاعل، وناب المفعول به (الأمر) عنه أي: يرجع كل ذي أمر أمره إلى الله و(قرأ نافع بصيغة الفاعل على أن يكون الأمر هو فاعل الرجوع، أي: يرجع هو إلى الله)[2].

وأعلم أن تقدم (الجار والمجرور) على الفعل المبني للمجهول – في صورتيه – قد أفاد توكيد معنى الآية أي كأن المعنى: (إلى الله) لا إلى غيره (ترجع الأمور)

وقد يتأخر (الجار والمجرور) عن الفعل المبني للمجهول، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّي﴾ [فصّلت: ٥٠].

فقد جيء في حكاية قوله (ولئن رجعت)، بأداة الشرط (إنْ) التي بلغت وقوعها في الشرط المشكوك حدوثه، لأنه جعل رجوعه إلى الله أمرا مفروضا ضعيف الاحتمال.

ونقرأ أيضا قوله عز وجل ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١].

وقوله تعالى ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ [النور: ٦٤].

---

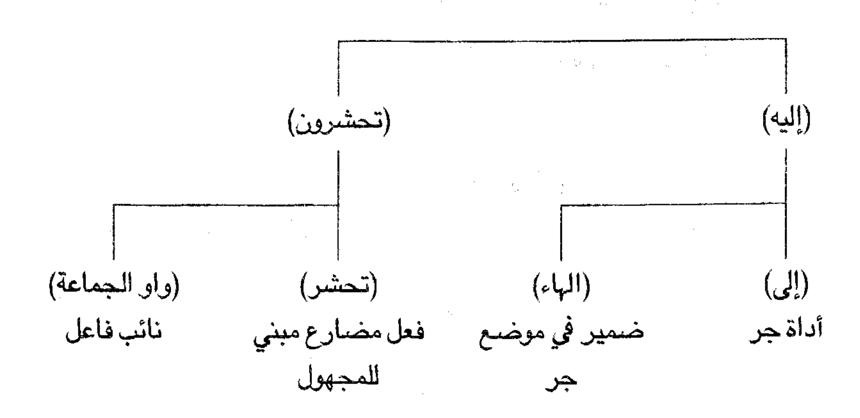
(١) ومثله قوله عز وجل ﴿وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ [الأنفال: ٤٤] قرأ نافع وابن كثير (ترجع) – بضم التاء وفتح الجيم، أي: يرجعها راجع إلى الله، والذي يرجعها هو الله هو يرجعها إليه، وقرأ البقرة (ترجع) بفتح التاء وكسر الجيم – أي: ترجع بنفسها إلى الله، ورجوعها برجوع أسبابها.

(*) (تُرْجَع) ومثله في سورة البقرة: ٢١٠، آل عمران: ١٠٩، الأنفال: ٤٤. الحج: ٧٦، فاطر: ٤، الحديد: ٥.

(٢) التحرير

فإن الجار والمجرور (إلى الله) و(إليه) قد تأخر عن الفعل المبني للمجهول (تُرْجَعُونَ) أو (يُرْجَعُونَ)، وحذف الفاعل، لعلم الجميع به، ولدلالة السياق عليه فناب (واو) الجماعة عن (الفاعل المحذوف).

ومن الأفعال التي يماثل تركيبها الفعل (يرجع) أو مشتقاته — الفعل (تحشرون) كما في قوله تعالى ﴿إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة: ٢٠٣].



فإن الفعل المضارع (تحشرون) مبني لغير فاعله وناب (واو) الجماعة عن الفاعل المحذوف لعلم السامع به وكأن بتقديم الجار والمجرور (إليه) أفاد (التخصيص).

ومثله أيضا قوله عز وجل ﴿.... وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ [العنكبوت: ٢١].

والقلب هو الرجوع، أي: وإليه ترجعون.

وتقديم الجار والمجرور على الفعل المبني للمجهول (تقلبون)

للاهتمام والتأكيد إذ ليس المقام للحصر فليس ثمة اعتقاد مردود[١].

---

(١) التحرير والتنوير ٢٠: ٢٣٢.

ومن المواضع التي تقدم فيها الجار والمجرور على الفعل المبني للمجهول، قوله تعالى.. ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٢].

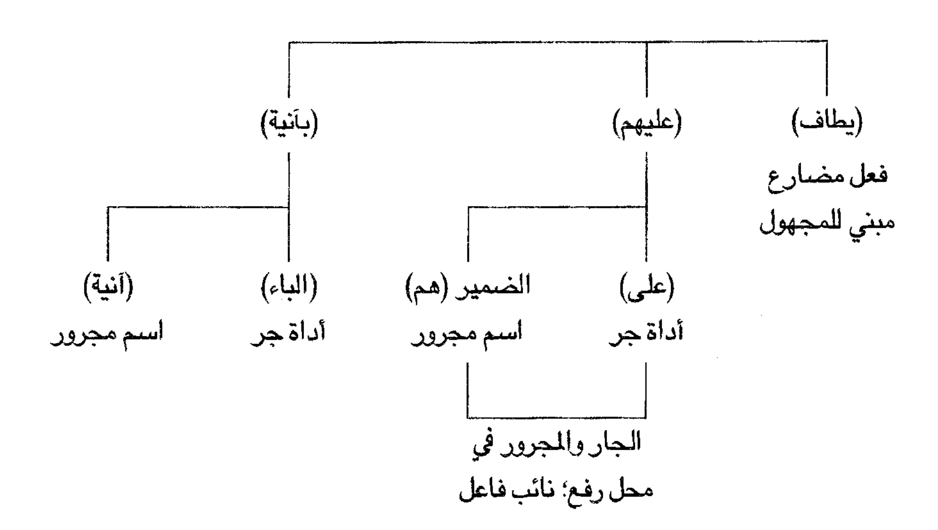
﴿عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣].

﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ [المرسلات: ١٢].

وغلب اقتران الفعل المبني للمجهول (يطاف) بأداة الجر (على) والاسم المجرور بعدها؛ فقال تعالى ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ م...﴾ [الصافات: ٤٥].

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ ...﴾ [الزُّخرُف: ٧١].

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ ...﴾ [الإنسان: ١٥].



فالفعل (يطاف) مضارع مبني للمجهول، قامت شبه الجملة (عليهم) مقام الفاعل المحذوف.

وقد صرح به في مواضع أخرى في السياق القرآني، كقوله عز وجل ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ [الإنسان: ١٩]

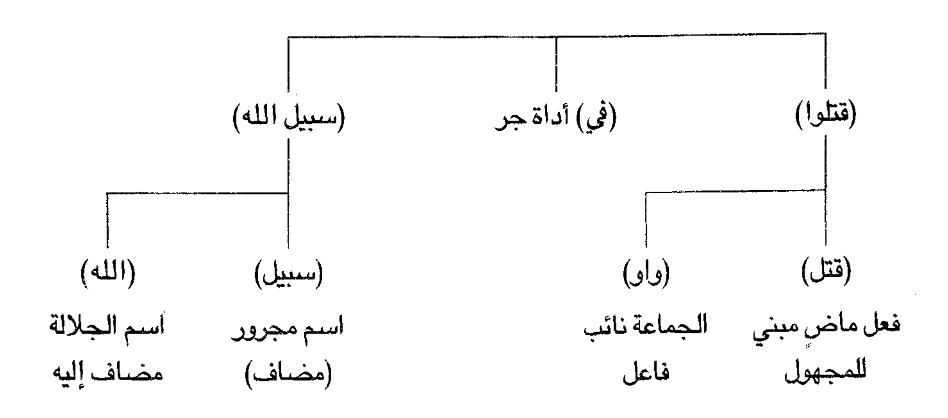
وقال تعالى في سورة الواقعة ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ [الواقعة: ١٧].

وقال عز وجل في سورة الطور ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾ [الطور: ٢٤].

ومما يجري هذا المجرى، تعلق الجار والمجرور (في سبيل الله) بالفعل المبني للمجهول (قتِل) بصيغة الماضي أو بصيغة المضارع(❖).

ليدل السياق على معنى (أن يجود بنفسه في سبيل الدين الإسلامي الحنيف).

ومن ذلك قوله عز وجل ﴿قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٩].



قال أهل التفسير (قد أثبت القرآن الكريم للمجاهدين موتا ظاهرا بقوله تعالى (قتلوا) ونفي عنهم الموت الحقيقي بقوله عز وجل: (بل أحياء عند ربهم يرزقون) الذي أعقب القول المبني للمجهول (قتلوا في سبيل الله)

فعلمنا أنهم وإن كانوا أموات الأجساد فهم أحياء الأرواح[1].

(❖) (قتلتم) في سورة آل عمران: ١٥٧، ١٦٩، ١٩٥، محمد: ٤ (يقتل) النساء: ٧٤، التوبة: ١١١.

(١) التحرير والتنوير ٣: ١٦٥.

وأنت ترى أن الفعل (قتِل) مبني للمجهول، وقد ناب (واو) الجماعة عن الفاعل الذي حذف لعدم تعلق الغرض به، وهو إظهار منزلة الشهداء عند ربهم وتكريم الله لأرواحهم ومقامهم في الجنة...

ومثله قوله عز وجل ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ﴾ [البقرة: ١٥٤].

فقد جاء الفعل المضارع (يُقتل) مبنيا للمجهول، ووقع الجار والمجرور (في سبيل الله) موقع الفعل المحذوف. ومعنى القول الكريم أن المتلقين (نهوا عن قولهم عن الشهداء أموات، وأخبر تعالى أنهم (أحياء) وارتفاع (أموات) و(أحياء) على أنه خبر مبتدأ محذوف.

أي: (ولا تقولوا)...(هم أموات بل هم أحياء)

ويحتمل أن يكون (بل أحياء) مندرجا تحت قول مضمر، أي: بل قولوا: هم أحياء، ولكن يرجح الوجه الأول[1].

فكأن سياق القول الكريم أفاد تسلية أهل الشهداء وإخوانهم من المؤمنين بدراك أنهم أحياء فهم مغبوطون لا محزون عليهم.

وقد يحذف الجار والمجرور المتعلق بالفعل المبني للمجهول (يُقتَّل) لدلالة السياق عليه، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ﴾ [الحج: ٥٨].

ولعل من المناسب في هذا السياق أن نتوقف عند قوله تعالى في سورة آل عمران الآية: ١٥٧ ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾

ثم نتابع القول الكريم ي الآية التالية ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٨].

---

(١) البحر المحيط ١: ٦٢١.

فأنت ترى أن الأفعال في الموضعين قد جاءت مبنية للمجهول (قُتِلْتُمْ) (مُتُّمْ) (تُحشَرُونَ)

في سياقين متماثلين: ....: تركيب شرطي بـ (إن) مقترن بـ (لام) جواب القسم (لئن) وقد تقدم (القتل) في الآية الأولى: ١٥٧، و(الموت) في الآية: ١٥٨ من سورة سبأ.

اعتباراً بعطف ما يظن أنه أبعد عن الحكم، فإن كون القتل في سبيل الله للمغفرة أمر قريب، ولكن كون الموت في غير سبيل الله مثل ذلك خفي مستبعد، يقول تعالى ﴿لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾ [آل عمران: ١٥٦]. كذلك تقديم (الموت) في الآية الثانية؛ لأن القتل في سبيل الله قد يظن أنه بعيد عن أن يعقبه الحشر مع ما فيه من التفنن، ومن ذلك (رد العجز على الصدر) وجعل (القتل) مبدأ الكلام وعوده، ومعنى الآية (لا تفروا من القتال ومما أمرتكم به وفروا من عقاب الله فإنكم إليه تحشرون لا يملك لكم أحد ضراً ولا نفعاً غيره)[1].

النوع الثالث: الجملة الفعلية التي يتعدى فعلها إلى مفعولين:

قد يكون الفعل المبني للمجهول متعدياً إلى مفعولين ينوب الأول عن الفاعل المحذوف

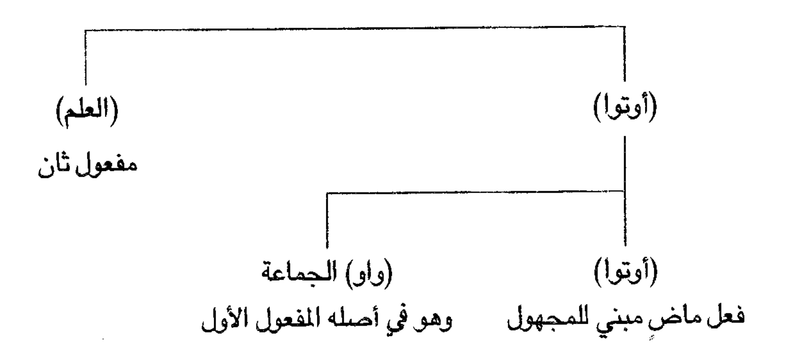
أما الفعل الثاني، فقد يذكر في بعض الآيات، أو يحذف في بعضها الآخر؛ وذلك بحسب ما يقتضيه المقام.

ومن الأفعال المتعدية إلى مفعولين وذكر في سياقها المفعول الثاني الفعل (أوتوا).

---

(١) إعراب القرآن ١: ٤١٥، الجامع لأحكام القرآن ٤: ٢٥٩.

كما في قوله تعالى: ﴿ أُوتُواْ الْعِلْمَ ﴾ [النحل:٢٧]



(الإيتاء): غلب على معناه؛ إعطاء الخير إذا لم يذكر مفعوله الثاني، أو ذكر غير معين، كقوله عز وجل ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

فإذا ذكر مفعوله الثاني، فالغالب؛ أنه ليس بسوء، ولم أره يستعمل في إعطاء السوء، فلا تقول (آتاه سجنا، وآتاه ضربا) إلا في مقام التهكم والمشاكلة..)[1]

وأنت ترى أن الفعل (أوتوا) ينصب مفعولين، أولهما قام مقام الفاعل (نائب فاعل) وهو (واو) الجماعة أما المفعول الثاني، فهو لفظ (العلم المراد به (الوحي)..

ويتنوع المفعول به الثاني بحسب سياق الجملة الفعلية المبنية للمجهول كما في قوله تعالى: ﴿يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

فقد ذكر المفعول الثاني في التركيب الشرطي، وهو (الحكمة) لفعل الشرط (يؤت)، و(خيرا) للفعل الواقع في جواب الشرط (أوتي).

---

(١) التحرير والتنوير ٢٢: ٣٩.

قال أهل التفسير (قرأ الجمهور، ومن يؤت الحكمة على بناء المفعول وقرئ على البناء للفاعل، أي: ومَن يؤتِهِ الله الحكمة.

والإظهار في مقام الإضمار، لإظهار الاعتناء بشأنها وللإشعار بعلة الحكم).

والغرض من السياق، ليس بتعيين الفاعل، وهو معلوم للجميع فالكل من عند الله – عز وعلا – بل المقصود بيان ما وهبها الله من عقل وحكمة وخير كثير.

وتأمل قوله عز وعلا ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ١٦].

فأنت ترى أن جملة القول (علمنا منطق الطير)

جاءت فعلية مبنية للمجهول، حذف فاعلها، فقام الضمير (نا) مقام الفاعل وهو المراد به نفسه، جاء به على صيغة المتكلم المشارك إما لقصد التواضع، كأنه جماعة (عملوا) وليس هو وحده وإما لأنه المناسب لإظهار عظمة الملك. وفي ذلك تهويل لأمر السلطان عند الرغبة[(١)].

ومثله قوله تعالى ﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ﴾ [الأنعام: ٩١].

فإن الفعل (عُلّم) متعدٍ إلى مفعولين، مبني للمجهول، حذف فاعله للعلم به ولأن السياق الكريم سيذكره في الجملة الثانية (قل الله...) الأنعام: ٩١.

فقام المفعول الأول مقام الفاعل المحذوف، وذكر المفعول الثاني، وهو الاسم الموصول (ما).

ونتابع قراءة الآية الأولى (وورث سليمان...) لنتأمل قوله عز وجل ﴿... وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٦].

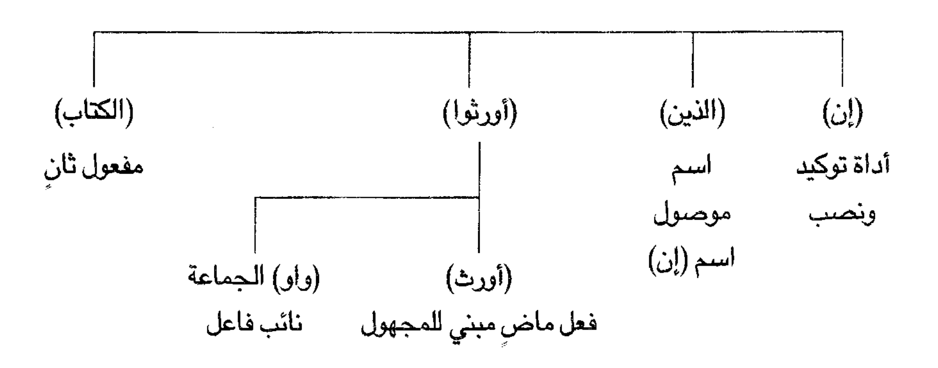
---

(١) التحرير والتنوير ١٨٩: ٢٣٨.

فإن القول الكريم جملة فعلية مبنية للمجهول، قد حذف الفاعل فيها للعلم به. والفعل (أوتي) متعدٍ إلى مفعولين، ناب المفعول به الأول عن الفاعل المحذوف.

أما المفعول به الثاني فهو (شبه الجملة) (من كل شيء). ونتوقف عند كلام الزمخشري في تفسيره القول الكريم (فإن قلت: كيف قال ﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]. مع قول سليمان (عليه السلام) ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ١٦] قلت: بينهما فرق، لأن سليمان (عليه السلام) عطف قوله على ما هو معجزة من الله، وهو تعليم منطق الطير، فرجع أولاً إلى ما أوتي من النبوة والحكمة وأسباب الدين، ثم إلى الملك وأسباب الدنيا وعطفه (الهدهد) على (الملك) فلم يرد إلا ما أوتيت من أسباب الدنيا اللائقة لحالها فبين الكلام بون بعيد)[1].

ومن الأفعال التي جاءت مبنية للمجهول، وهي تتعدى إلى مفعولين الفعل (أورث) الذي تضمن معنى(العطاء)؛ وذلك في قوله تعالى ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ﴾ [الشورى: ١٤].



ومعنى (أورثوا): صار إليهم علم الكتاب الذي اختلت فيه سلفهم فاستعيرت (الإرث) للدلالة على انتقال (الكتاب) إليهم. (يقال: ورثت علما من فلان استفدت

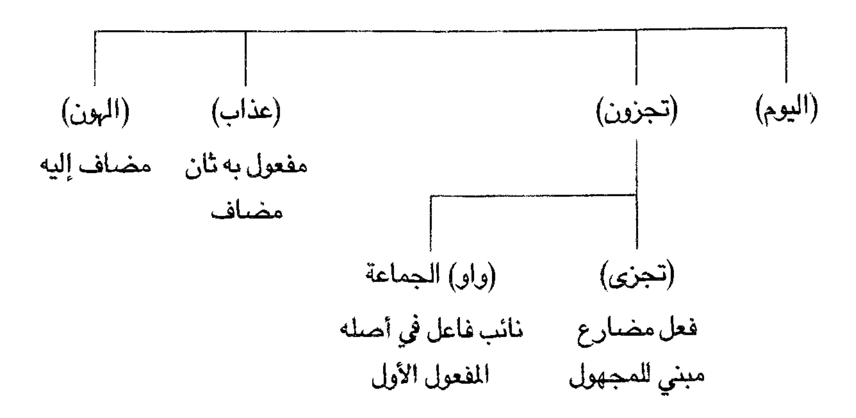
---

(١) الكشاف ٣: ٣٤٩.

منه، قال تعالى: ﴿وَرِثُواْ الْكِتَابَ﴾ [الأعراف: ١٦٩]. فالفعل (ورث) جاء مبنيا للمجهول، فحذف الفاعل لعلم الجميع به، وقد ذكر في أكثر من موضع، ومنها قوله عز وجل ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢]

وقام (واو) الجماعة مقام الفاعل، وهو في الأصل المفعول الأول. أما المفعول الثاني فهو لفظ (الكتاب).

ومن الأفعال المتعدية إلى مفعولين ليس أصلهما مبتدأ وخبرا الفعل (يجزى) الذي كثر وقوعه مبنيا للمجهول، ومن ذلك قوله تعالى ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ [الأنعام: ٩٣].



فإن القول الكريم استئناف وعيد، فُصِل للاستقلال والاهتمام،

ومعنى (تجزون): تعطون جزاء

و (الجزاء): هو عوض العمل أو ما يقابله به من أجر وعقوبة، قال تعالى ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾ [النبأ: ٢٦]. وفي المثل: (المرء مجزي بما صنع إن خيراً فخير وإن شراً

فشر)[1]. وهو يتعدى بنفسه إلى الشيء المعطى جزاءً، ويتعدى بـ (الباء) إلى الشيء المكافأ عنه كما في الآية الكريمة ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ ع.... بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

فـ(الباء) في قوله عز وجل (بما كنتم) بـ (باء) العوض لتعديه فعل (تجزون) إلى المجزى عنه، ويجوز جعل (الباء) للسببية أي: تجزون عذاب الهون بسبب قولكم[2].

وهذا الوجه أقرب إلى الواقع اللغوي للنص الكريم.

ومثله قوله عز وجل ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٦].

فقد عدي الفعل المبني للمجهول (تجزون) إلى لفظ (ما كنتم تعملون) من دون (الباء) خلافاً لقوله بتعديه (كلوا وأشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون) ليشمل القصر مفعول الفعل المقصود بـ (إنما) أي: تجوزن مثل عملكم لا أكثر منه.

فينتفي الظلم عن مقدار الجزاء كما انتفى الظلم عن أصله ولهذه الخصوصية لم يعلق معمول الفعل بـ (الباء)، إذ جعل الجزاء وبمنزلة الفعل نفسه.

ومثله قوله تعالى ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٤٧].

فإن الاستفهام بـ (هل) معناه: النفي.

والمفعول الثاني للفعل المبني للمجهول (يجزون) محذوف، والتقدير: (هل يجزون إلا مكافئ ما كانوا يعملون)

لأن الجزاء لا يكون نفس المجزى عليه.

وبعد، فأنت ترى أن الفعل (جزى) يتعدى إلى العوض المجعول جزاء بنفسه، ويتعدى إلى العمل المجزى عليه بـ (الباء).

---

(١) المفردات في غريب القرآن: ٩٣.

(٢) التحرير والتنوير ٧: ٣٨٠.

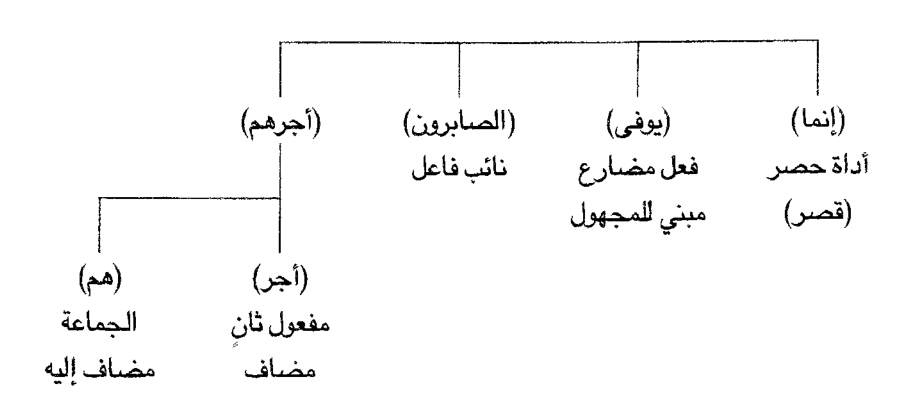
ونقرأ أيضاً قوله عز وجل ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣].

فإن الفعل (يُجزَ) مضارع مبني للمجهول، وقع في جواب الشرط وقد حذف الفاعل، فناب عن الفاعل الضمير المستتر وتقديره (هو)÷ الذي يعود على اسم الشرط (من)

ومثله أيضا قوله عز وجل ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى﴾ [الليل: ١٩].

فإن الفعل (تجزى) فعل مضارع مبني للمجهول، حذف فاعله، وناب عنه الضمير المستتر وتقديره (هي) يعود على لفظ (نعمة).

ومثله الفعل (يوفى) في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر: ١٠].



فالقصر المستفاد من (إنما) منصب على القيد وهو قوله تعالى (بغير حساب) وهو قصر قلب مبني على قلب ظن الصابرين أن أجر صبرهم بمقدار صبرهم.

أي: أن أجرهم لا يزيد على مقدار مشقة صبرهم.

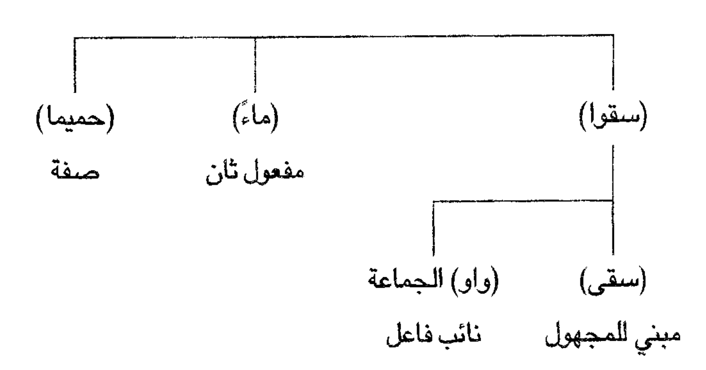
قال أهل اللغة (توفية الشيء؛ بذله وافيا، واستيفاؤه تناوله وافيا)[1].

فالفعل (يوفى)؛ جاء مبنيا للمجهول حذف فاعله، فناب المفعول الأول (الصابرون) عن الفاعل، أما المفعول الثاني فهو لفظ (أجرهم).

وأنت ترى أن الفعل (يوفى) يفيد معنى العطاء، وقد حذف الفاعل لعلم الجميع به.

ومثله قوله عز وجل ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

ونقرأ قوله تعالى ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا﴾ [محمد: ١٥].



فـ (السقي) والسقيا أن يعطيه ما يشرب و(الاستقاء) أن يجعل له ذلك حتى يتناوله كيف يشاء والفعل (سقى) جاء مبنيا للمجهول، فحذف الفاعل لعلم الجميع به ولعدم تعلق الغرض به، فناب (واو) الجماعة عن الفاعل، و(الواو) راجع إلى قوله تعالى (من هو خالد في النار)، وقد جاء السياق الكريم (وسقوا ماء حميما) لمقابلة ما وصف به أهل الجنة في قوله عز وجل (فيها أنهار) ومثله قوله تعالى ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ [الإنسان: ١٧].

---

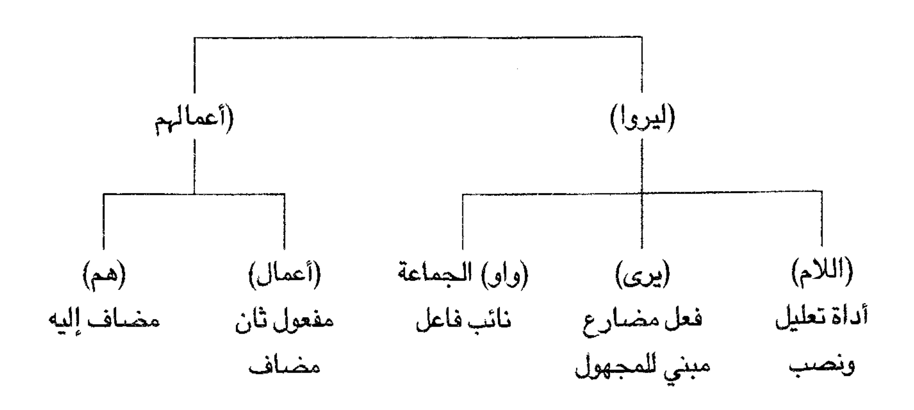
(١) المفردات في غريب القرآن: ٥٢٨.

ومثله قوله تعالى ﴿وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ [طه: ٨٧]

﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ﴾ [إبراهيم: ٢٣]

﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ [نوح: ٢٥].

أما قوله عز وجل ﴿... لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ [الزلزلة: ٦].



فقد بني الفعل (يُرَى) للمجهول، وحذف الفاعل، لأن المقصود رؤيتهم أعمالهم لا تعيين من يريهم إياها.

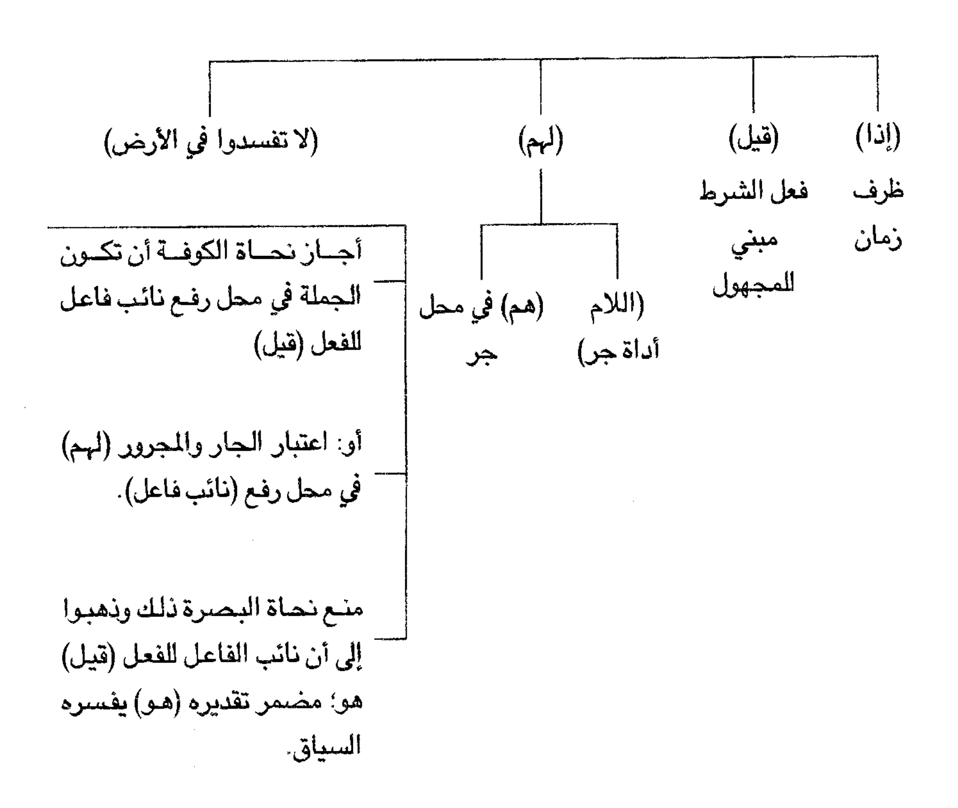
ويجوز أن تكون (الرؤية) في العلم بجزاء الأعمال فإن الأعمال لا تُرى ولكن يظهر لأهلها جزاؤها ويجوز أن تكون (الرؤية) بصرية، والمرئي هو منازل الجزاء.

النوع الرابع: وقوع جملة القول؛ موقع نائب الفاعل:

ويتضمن هذا النمط (أربع) صور:

الصورة الأولى: إذا + فعل القول المبني للمجهول (قيل + أداة الجر (اللام) + ضمير الغيبة (الهاء)

وقد ورد مثل هذا التركيب في (ستة عشر(*)) موضعا من القرآن الكريم ومنها قوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١].



فإذا تأملت التركيب الكريم وجدته قد تضمن أكثر من دقيقة لغوية؛

(*) البقرة: ١١، ١٣، ٩١، ١٧٠، ٢٠٦، النساء: ٦١، المائدة: ١٠٤، النحل: ٢٤، الفرقان: ٦٠، لقمان: ٢١، يس: ٤٥، ٤٧، الصافات: ٣٥، الجاثية: ٣٢، المنافقون: ٥، المرسلات: ٤٨.

الأولى: أن تجرد (إذا) من معنى الشرط، وعدولها عن دلالتها الشائعة على الزمن المستقبل، إلى الدلالة على الزمن الماضي؛ يؤدي بأن السياق قد أكسبها دلالة خاصة تبدأ من الزمن الماضي، مع إفادتها التكرار، واستمرار الحال.

الثانية: إن في موقع الجار والمجرور(لهم)؛ إشارة لقصد التعجب من حال المكابرة والجهل عند المشركين، والجزم بسوء موقفهم.

الثالثة: من نكت القرآن (المغفول عنها؛ تقييد هذا الفهم (قيل) بالظرف فإن الذي يتبادر إلى الذهن أن محل المذمة هو أنهم يقولون: ﴿**إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ**﴾ [البقرة: ١١].

مع كونهم مفسدين، ولكن عند التأمل يظهر أن هذا القول يكون قائلوه أجدر بالمذمة حين يقولون في جواب من يقول لهم (لا تفسدوا في الأرض).

فإن هذا الجواب الصادر من المفسدين لا ينشأ إلا عن مرض القلب وأفن الرأي لأن شأن الفساد أن لا يخفى، ولئن خفي فالتصميم عليه واعتقاده أنه صلاح بعد الإيقاظ إليه والموعظة إفراط في الغباوة أو المكابرة وجهل فوق جهل[١].

الرابعة: إن ذكر فعل القول (قيل) يقتضي صدوره عن قائل يسألهم عن أمرٍ حدث بينهم وليس على سبيل الفرض، لذلك، فإن حذف فاعل (القول) هنا للإبهام فيحتمل (أن يكون الله تعالى؛ أو الرسول (ﷺ) أو بعض المؤمنين)[٢].

---

(١) الكشاف ١: ٧١، تفسير أبي السعود ١: ٤٣. التحرير والتنوير ١: ٢٨٣.

(٢) البحر المحيط ١: ١٩٦.

وكل ذلك محتمل (ولا يجوز أن يكون القائل بذلك من لا يختص بالدين والنصيحة وإن كان الأقرب هو أن القائل لهم ذلك من شافههم بذلك)[1].

الخامسة: (اللام) في قوله تعالى (لهم) متعلقة بـ (قيل) ومعناها، الإنهاء والتبليغ أما ضمير الغيبة (هم) أو الغائب (الهاء).

فكأن السياق الكريم يُشعر بالعدول عن الخطاب إلى الغيبة، توطئة لذمهم لفرط جهلهم وحمقهم، فهم ليسوا أهلاً لتكريمهم بالخطاب، بل ينبغي أن يصرف عنهم إلى من يعقله.

فإنك تجد أن السياق الكريم، إذا خص المؤمنين بالحديث اقترنت أداة الجر (اللام) بكاف الخطاب و(ميم) الجمع..

قال تعالى في سورة المجادلة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ﴾ [المجادلة: ١١].

قال أهل التفسير..الخطاب بـ (يأيها الذين أمنوا) خطاب لجميع المؤمنين يعم من حضور مجلس الرسول (ﷺ) وغيرهم ممن عسى أن يحضروه، وابتدئت الآية بالأمر بالفسخ لأن إقامة الذين أقيموا إنما كان لطلب التفسيخ فإناطة الحكم إيماء إلى علة الحكم، ومادة (التفعل) هنا للتكلف، أي: يكلف أن يجعل فسحة في المكان وذلك بمضايقة مع الجلاس.

أي: (إذا قال النبي (ﷺ) لكم ذلك لأن أمره لا يكون إلا لمراعاة حق راجح على غيره، (المجلس:، مكان الجلوس)...

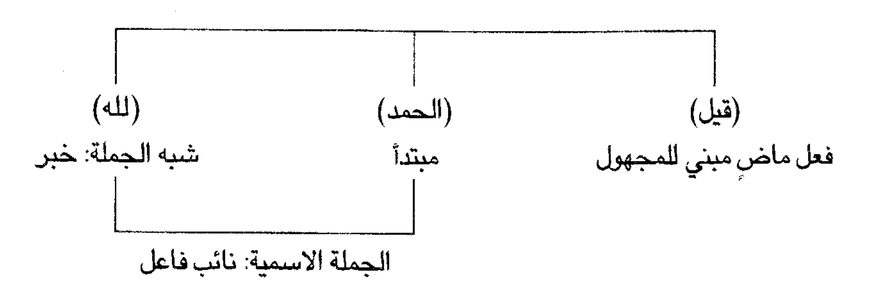
---

(١) تفسير الرازي ١: ٦٠.

وضمير (لكم) عائد على الذين آمنوا، باعتبار أن الذين يفسحون هم من جملة المؤمنين لأن الحكم مشاع بين جميع الأمة وإنما الجزاء للذين تعلق بهم الأمر تعلقا إلزاميا.

الصورة الثانية: الفعل المبني للمجهول (قيل) + نائب الفاعل: جملة اسمية

قال الله عز وجل ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

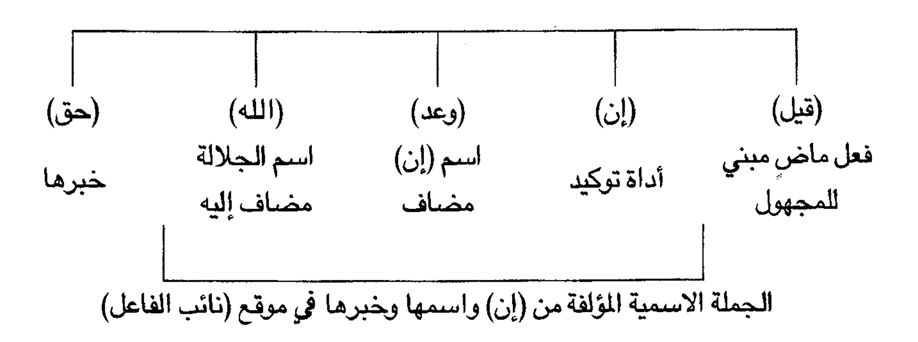


فقد بني الفعل (قيل) للمجهول لعدم تعلق الغرض بمعرفة القائل، بل المقصود هو؛ مضمون القول، وهو (الحمد لله).

ومثله قوله تعالى ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين: ١٧].

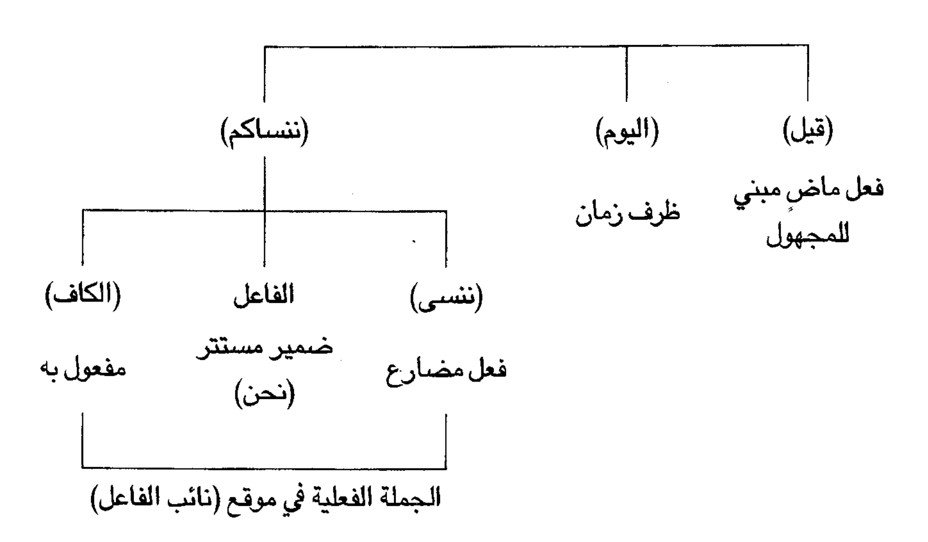
فقد آثر السياق أن يقع نائب الفاعل؛ جملة اسمية، مؤلفة من المبتدأ المعرفة (هذا) وجاء الخبر معرفة أيضا، وهو الاسم الموصول (الذي) ليذكروا تكذيبهم به في الدنيا.

وتتنوع الجملة الواقعة نائب فاعل، فقد تأتي جملة اسمية مؤكدة، كما في قوله عز وعلا ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [الجاثية: ٣٢].



الصورة الثالثة: الفعل المبني للمجهول (قيل) + نائب الفاعل (جملة فعلية)

قال الله عز وجل ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ﴾ [الجاثية: ٣٤]



قال بعض المفسرين (معنى الآية الكريمة: كما وُعدوا جهنم وأحاطت بهم نودوا (اليوم ننساكم) تيئيساً لهم من العفو عنهم.

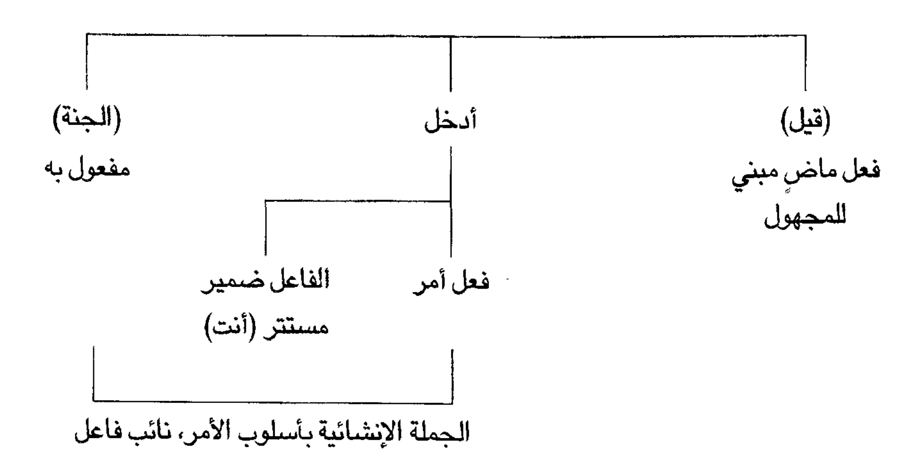
وبني الفعل (قيل) للنائب حطا لهم عن رتبة أن يصرح باسم الله تعالى في حكاية الكلام الذي واجههم به..بناءً على أن ضمير (ننساكم) ضمير الجلالة

وليس من قبيل قول الملائكة، فإن كان من قول خزنة جهنم ببناء فعل (قيل) للنائب للعلم بالفاعل[1].

الصورة الرابعة: الفعل المبني للمجهول (قيل) + نائب الفاعل: جملة إنشائية

إذا كانت الصورة السابقة قد تضمنت وقوع الجملة الخبرية بأنواعها نائبا عن الفاعل فإن في هذه الصورة تأتي بالجملة الإنشائية نائبا عن الفاعل؛

وتتنوع جمل هذه الصورة، فقد تكون الجملة الإنشائية بأسلوب الأمر[*] نحو قوله تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ [يس: ٢٦].



ف (إن قلت: كيف مخرج هذا القول في علم البيان؟

قلت: مخرجة الاستئناف، لأن هذا من مظان المسألة عن حاله عند لقاء ربه

(١) التحرير والتنوير ٢٥: ٣٧٤.

(*) ومثله ورد في التوبة: ٤٦، يونس: ٥٢، هود: ٤٤، ٤٨، النمل: ٤٤، القصص: ٦٤، النور: ٢٨ السجدة: ٢٠، ٤٥، ٤٧، الزمر: ٧٢، الذاريات: ٤٣، الحديد: ١٣، التحريم: ١٠.

كأن قائلا قال: كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في نصرة دينه والتسخي لوجهه بروحه؟

فقيل: (قيل أدخل الجنة) ولم يقل (قيل له) لانصباب الغرض إلى المقول وعظمه لا إلى المقول له مع كونه معلوما[1].

ومثله قوله عز وجل ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾ [الحديد: ١٣].

فإن ما (يظهر من إسناد (قيل) بصيغة المجهول، هو أن قائله غير المؤمنين المخاطبين وإنما هو من كلام الملائكة السائقين للمنافقين تهكما، فلا نور وراءهم، وإنما أرادوا إطماعهم ثم تخييبهم بضرب السور بينهم وبين المؤمنين، لأن الخيبة بعد الطمع أشد حسرة)[2].

فأنت ترى أن سياق المبني للمجهول قد تضمن دلالة الاستهزاء جزاءً على استهزائهم بالمؤمنين.

وقد تفصل أداة (اللام) المقترنة بجملة صلة الموصول بين الفعل المبني للمجهول (قيل) وبين الجملة الطلبية الواقعة نائب الفاعل.

كقوله تعالى ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ﴾ [يونس: ٥٢].

فإن صيغة الماضي (قيل) مستعملة في معنى المستقبل تنبيها على تحقيق وقوعه مثل قوله عز وعلا (أتى أمر الله).

أما قوله تعالى (للذين ظلموا) فهو إظهار في مقام الإضمار لتسجيل الظلم عليهم وهو ظلم النفس بالإشراك.

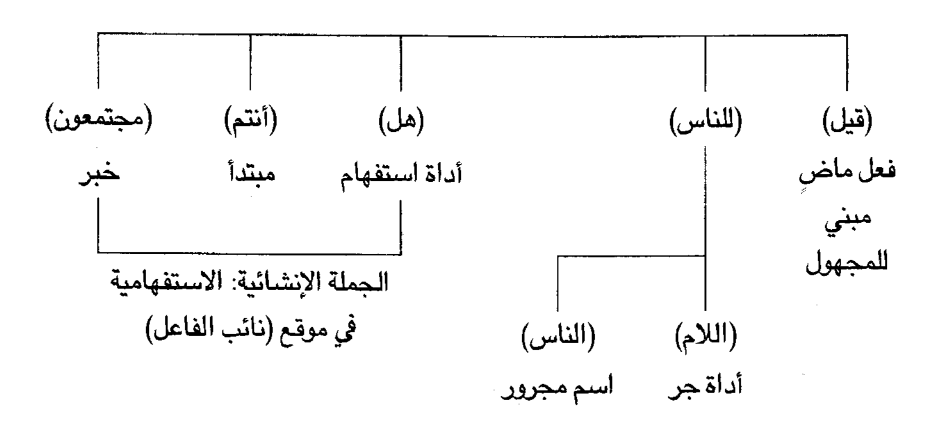
---

(١) الكشاف ٤: ١١.

(٢) التحرير والتنوير ٢٧: ٣٨٢-٣٨٣.

وقد تكون الجملة الإنشائية الواقعة نائب الفاعل، بأسلوب الاستفهام الذي يفيد الإنكار(*)

كقوله عز وجل: ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء:٣٩]



ومثله قوله عز وجل ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ [الشعراء: ٩٢].

فقد بني الفعل (قيل): للمجهول، وأسند فعل القول إلى فاعل محذوف، غير معلوم لأن الغرض متعلق بمعرفة القول لا بمعرفة القائل، فالقائل الملائكة بإذن من الله تعالى لأن المشركين أحقر من أن يوجه الله إليهم خطابه مباشرة[1].

ومثله أيضا قوله عز وجل ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [غافر: ٧٣].

فإن (ثم) هنا للتراخي الرتبي لا محالة، لأن هذا القول يقال لهم قبل دخول النار بدليل أن مما وقع في آخر القول (أدخلوا أبواب جهنم)

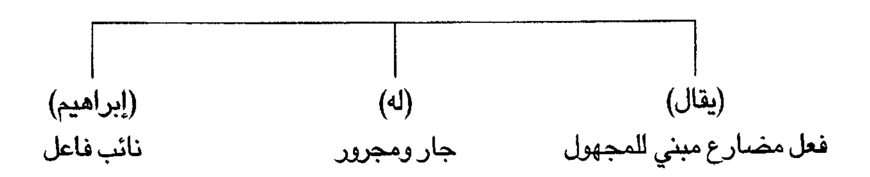
(*) ومثله قوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾[النحل:٢٤] ﴿فَلَمَّا جَاءتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ﴾[النمل:٤٢]. وقد ورد أيضاً في سورة النحل: ٢٤، ٣٠، الشعراء: ٦٢، غافر: ٧٣.

(١) التحرير والتنوير ١٩: ١٠١.

وهذا (القول ارتقاء في تقريعهم وإعلان خطل آرائهم بين أهل المحشر وهو أشد على النفس من ألم الجسم.

وجاءت (قيل) بصيغة الماضي، لأنه محقق الوقوع، فكأنه وقع ومضى، والقائل لهم: ناطق بإذن الله)[1].

وقد يقع نائب الفاعل اسما مفردا مرفوعا بعد فعل القول المبني للمجهول (يقال): كما في قوله تعالى ﴿... يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٠].



فإن رفع لفظ (إبراهيم) على أنه نائب فاعل لـ (يُقال)

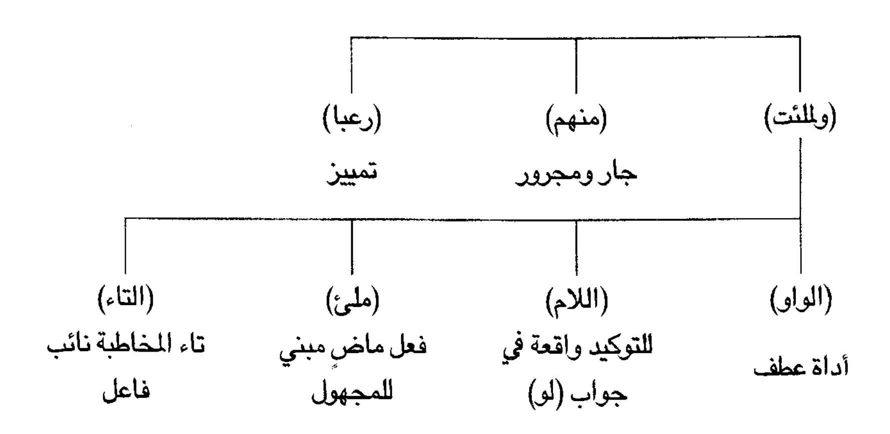
لأن فعل القول إذا بُني إلى المجهول كثيرا ما يضمن معنى الدعوة أو التسمية فلذلك حصلت الفائدة من تعديته إلى المفرد. ولعل من المفيد أن ننبه هنا إلى أن شأن فعل القول أن لا يتعدى إلا إلى الجملة، أو إلى مفرد فيه معنى الجملة، مثله قوله تعالى ﴿ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

---

(١) التحرير والتنوير ٢٣: ٢٠٣.

النوع الخامس: (التمييز) الذي موقعه الفاعلية...

قال الله تعالى ﴿... وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكهف: ١٨].



فأنت ترى أن الفعل (ملئت) مبني للمجهول.

وأصل الجملة: (ملأك الرعب)

والفعل (ملأ): بتشديد اللام، مضاعف، ملأ للمبالغة، أي: ملئت ثم ملئت وهذه قراءة الجمهور، وقرأ بعضهم (الملئت) بالتخفيف، والتخفيف أشهر في اللغة[1].

و(الملء) يقتضي كون المظروف حالا في جميع فراغ الظرف بحيث لا تبقى في الظرف سعة لزيادة شيء من المظروف.

فالسياق الكريم قد مثل تمكّن الصفة من النفس إذ لا يخالطها التفكير في غيرها بملء الظرف بالمظروف.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٠: ٣٨٢-٣٨٣.

وتضمن قوله تعالى (ملئت) استعارة تمثيلية، ويقابله في الدلالة قوله عز وجل (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا).

وانتصب (رعباً) تمييز النسبة المحول من الفاعل في المعنى، لأن الرعب هو الذي يملأ فلما بني الفعل (ملئت) إلى المجهول لقصد الإجمال ثم التفصيل. صار ماحقه أن يكون فاعلا تمييزا، وهو إسناد بديع حصل منه التفصيل بعد الإجمال، وليس تمييزا محولا عن المفعول كما قد يلوح بادئ الرأي[1].

وقد نقل الرضي في (شرح الكافية) أن (الكسائي أجاز قيام التمييز نائبا عن الفاعل)[2].

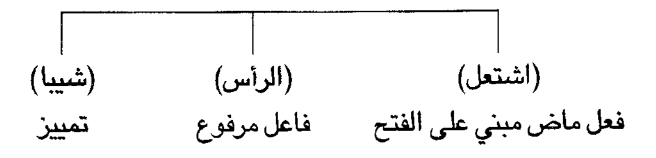
وللنحاة في تفسير النصب في لفظة (رعبا): عدة أوجه.

الأول: أن اللفظة منصوبة على التمييز[3].

الثاني: انتصب (رعبا) على أنه مفعول ثان.

الثالث: ذهب بعضهم[4] إلى أنه (تمييز منقول من المفعول كقوله تعالى (وفجرنا الأرض عيونا). على مذهب من أجاز نقل التمييز من المفعول. وهذا بعيد، لأنك لو سلطت عليه الفعل ما تعدي إليه، تعدى المفعول به بخلاف قوله عز وجل (وفجرنا الأرض عيونا).

ثمَّ نقرأ قوله تعالى: ﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ [مريم:٤]



(١) التحرير والتنوير ١٥: ٢٨٢-٢٨٣.

(٢) شرح الكافية ١: ٨٤.

(٣) إعراب القرآن ٢: ٤٥١.

(٤) البحر المحيط ٦: ١٠٩.

فقد أسند الفعل (اشتعل) إلى لفظ (الرأس) وهو مكان الشعر ومنبته لإفادة شمول اشتعال الرأس، وأُخّر (الشيب) مميزا.

والرتبة الأصلية للجملة: (واشتعل شيب الرأس)

أو: (واشتعل الشيب في شعر الرأس)

فأنت ترى أن لفظ (الشيب) قد نقل من (الفاعلية) إلى موقع (التمييز) ليسند (الاشتعال) إلى (الرأس) الذي عمه الشيب.

ولم يضف لفظ (الرأس) اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا (عليه السلام)[1].

وعموم الشيب في الرأس علامة للتوغل في كبر السن.

وقد حقق نظم الآية الكريمة، أكثر من فن بليغ بديع.

فقد شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وإنارته وانتشاره في الشعر وفشوه فيه، وأخذه منه كل مأخذ باشتعال النار.

ثم أخرجه مخرج الاستعارة؛ إذ شبه عموم الشيب في شعر رأسه أو غلبته عليه باشتعال النار في الفحم بجامع انتشار شيء لامع في جسم أسود، تشبيهاً مركباً تركيبياً تمثيلياً قابلاً لاعتبار التفريق، وهو أبدع أنواع المركب، فشبه الشعر الأسود بفحم والشعر الأبيض بنار على طريقة التمثيلية المكنية ورمز إلى الأمرين بفعل (اشتعل) وأسند الاشتعال إلى الرأس، وهو مجاز عقلي، لأن الاشتعال من صفات النار المشبه بها الشيب، فكان الظاهر إسناده إلى (الشيب)، فلما جيء باسم (الشيب) تمييزاً لنسبة الاشتعال حصل بذلك خصوصية المجاز وغرابته وخصوصية التفصيل بعد الإجمال مع إفادة تنكير (شيباً)؛ التعظيم فحصل إيجاز بديع[2].

---

(١) التحرير والتنوير ٢٧: ١٨٣.

(٢) المصدر نفسه ٢٧: ١٨٣.

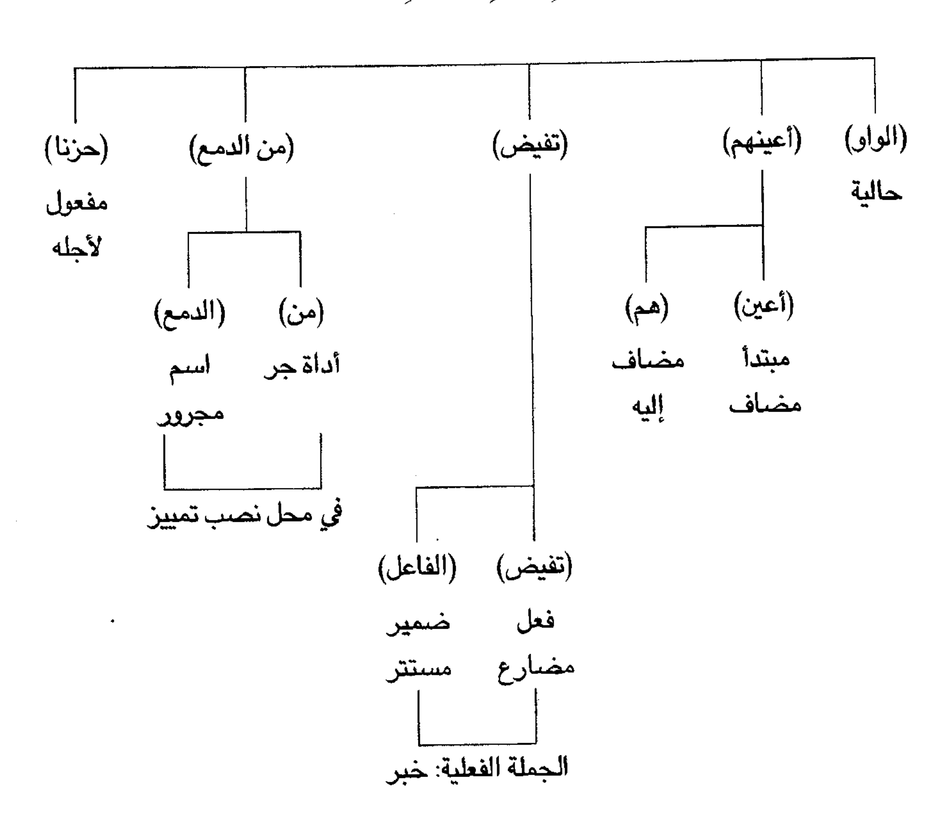
ونظيره في النظم قوله عز وجل ﴿وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا﴾ [القمر: ١٢]

أي: (وجعلنا الأرض كلها كأنها عيون تتفجر)

وأصل الرتبة: (وفجرنا عيون الأرض)

ولا يخفى على الدارس ذلك الفرق الكبير بين: بلاغة النظم الكريم والرتبة الأصلية للقول.

وتأمل قوله تعالى ﴿وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا﴾ [التوبة: ٩٢].



قال أهل اللغة (الفيض) و(الفيضان)؛ خروج الماء ونحوه من قراره ووعائه و(فاض الماء) إذا سال منصبا[1].

وقد توقف الزمخشري عند هذا القول الكريم – في موضعيه[*] - منبها إلى بلاغة نظمه فإن قلت: ما معنى قوله (تفيض من الدمع)؟

قلت: معناه؛ تمتلئ من الدمع حتى تفيض، لأن الفيض أن يمتلئ الإناء أو غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه، فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء، وهو من إقامة المسبب مقام السبب، أو قصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء فجعلت أعينهم كأنها تفيض بأنفسها، أي: تسيل من الدمع من أجل البكاء، من قولك: دمعت عينه دمعا[2]. أو كقولك: تفيض دمعا، وهو أبلغ من: (يفيض دمعها).

لأن العين جعلت كلها دمع فائض، و(من) للبيان، كقولك: أفديك من رجل ومحل الجار المجرور النصب على التمييز[3].

وإذا أنعمنا النظر في نظم العبارة الكريمة (وأعينهم تفيض من الدمع) أدركنا أنها في قمة البلاغة؛

أي: كأني بها قد تجاوزت ثلاث مرتبات لغوية، لتصل إلى موضعها في الإعجاز المبين الذي لا مقام بعده، إذ جعلت (العين) كأنها كلها دمع فائض.

أما المرتبة الأولى، فهي أصل التركيب:

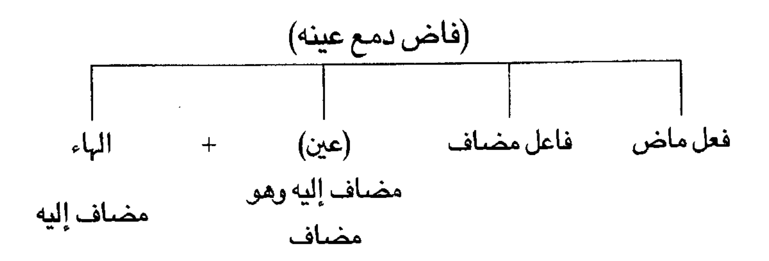
---

(١) المفردات في غريب القرآن: ٣٨٧.

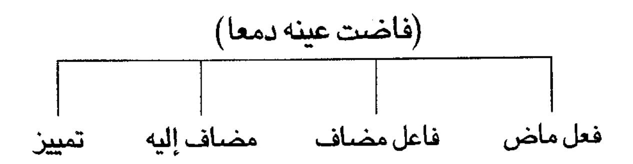
(*) أما الموضع الثاني، فهو قوله عز وعلا ﴿ترى أَعْيُنَهُمْ تفيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾[المائدة:٨٣].

(٢) الكشاف: ٢: ٦٥٥-٦٥٦.

(٣) المصدر نفسه ٢: ٢٩١.



أما المرتبة الثانية، فهي محولة من الأولى:



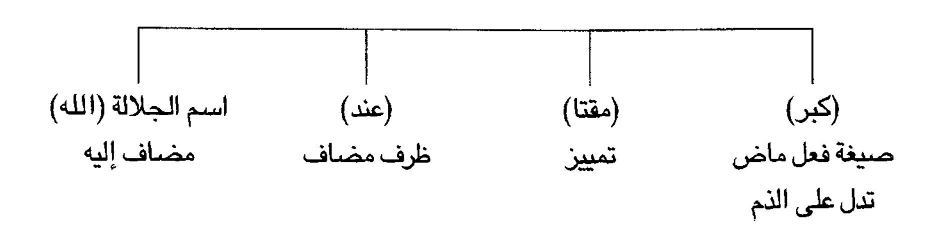
فقد تحول (الفعل) إلى لفظ (العين) مجازا ومبالغة، ثم نبهت على الأصل والحقيقة بنصب ما كان (فاعلاً) على (التمييز).

وأما الثالثة؛ فقد وقع فيها ذلك التحويل، وهي الجملة القرآنية (وأعينهم تفيض من الدمع) وهي -كما ترى- أبلغ من الرتبة الأولى والثانية، بإطراح المنبِّهة على الأصل. وعدم نصب التمييز وإبرازه في صورة التعليل.

وأعلم أن تقدم الاسم المرفوع (أعينهم) على الخبر؛ الجملة الفعلية (تفيض من الدمع) أفاد توكيد المعنى، فضلا عما تدل عليه الجملة الأسمية من دوام الحال واستمرارها. وفي قوله تعالى (من الدمع) تعليل (وإنما كان الكلام مع التعليل أبعد عن الأصل منه مع التمييز، لأن التمييز في مثله قد استقر كونه فاعلا في الأصل، مثل: تصبب زيد عرقا. وكقوله تعالى (واشتعل الرأس شيبا) و(تفجرت الأرض عيونا)

قال (ابن منير الأسكندري) فإن قلت: (فاضت عينه دمعا) فهم هذا الأصل في العادة في أمثاله، وأما التعليل فلم يعهد فيه ذلك، ألا تراك تقول: فاضت عينه من ذكر الله، كما تقول: فاضت عينه من الدمع، فلا يفهم التعليل ما يفهم التمييز[1].

ونقرأ أيضا قوله تعالى ﴿كَبُرَ مَقْتًا عندَ اللَّه﴾ [غافر: ٣٥].



الجملة الخبرية أفادت معنى الإنشاء، أي: ذم جدالهم بغير حق.

بمعنى: كبر جدالهم مقتا عند الله. والفعل (كبر) هنا ملحق بأفعال الذم مثل (ساء)، مستعار للشدة.

و(المقت)؛ تمييز لـ (الكبر)، وهو تمييز نسبة محول عن الفاعل وفاعل (كبر) المحذوف يدل عليه الضمير المأخوذ من (يجادلون)

والتقدير: (كبر جدالهم مقتا عند الله)

أو: (مقت جدالهم مقتا شديدا عند الله) بمعنى: كبر مقت جدالهم.

و(المقت) شدة البغض، وهو كناية عن شدة العقاب على ذلك من الله تعالى وكونه مقتا عند الله عز وجل، فهو تشنيع له وتفضيع.

---

(١) هامش الكشاف ٢: ٦٥٦.

ومما يجري هذا المجرى قوله عز وجل: ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾ [ص: ٣٢]. فإن قوله تعالى (أحببت حب الخير) أصله: (أحببت الخير حباً) فحوّل التركيب إلى (أحببت حب الخير)

فصار (حب الخير) تمييزا، لإسناد نسبة المحبة إلى نفسه لغرض الإجمال وتضمن (أحببت) معنى (عوضت) فعدي بـ (عن) في قوله عز وعلا (ذكر ربي) فصار المعنى: أحببت الخير حبا فجاوزت ذكر ربي.

والمراد بـ (ذكر الرب) الصلاة، و(الخير): المال وكل نفيس.

ومثله قوله عز وجل: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

فقد ذهب بعض علماء اللغة إلى جواز وقوع ضمير المصدر نائباً عن الفاعل[١].

يقول الزمخشري قوله تعالى (كحب الله) كتعظيم الله والخضوع له، أي: كما يحب الله على أنه مصدر من المبني للمفعول، وإنما استغنى عن ذكر من يحبه لأنه غير ملبس

وقيل: كحبهم الله أي: يسوون بينه وبينهم في محبتهم.

لأنهم كانوا يقرون بالله ويتقربون إليه[٢].

وذهب (ابن عطية) إلى أن (حب) مصدر مضاف إلى المفعول في اللفظ، وهو على التقدير، مضاف إلى الفاعل المضمر، تقديره: كحبكم الله، أو: كحبهم[*].

---

(١) حاشية الصبان ٢: ٦٥-٦٦.

(٢) الكشاف ١: ٢٠٩.

(*) ذكر أبو حيان أن قول ابن عطية (مضاف إلى الفاعل المضمر) لا يعني أن المصدر أضمر فيه الفاعل، وإنما سماه (مضمراً) لما قدره: كحبكم، فأبرزه مضمراً حين أظهر تقديره. أو يعني المضمر المحذوف وهو موجود في اصطلاح النحويين أعني: أن يسمى الحذف إضماراً: البحر المحيط ١: ٦٤٣.

ويرى أبو حيان أن (الكاف) في قوله عز وجل (كحب) في موضع نصب؛ أما على الحال من ضمير الحب المحذوف، على رأي سيبويه.

أو على أنه نعت لمصدر محذوف، على رأي جمهور المعربين[1].

والتقدير على الأول: (يحبونه) أي: الحب مشبهاً حب الله.

والتقدير على الثاني: (حباً مثل حب الله)، والمصدر مضاف للمفعول المنصوب والفاعل محذوف، التقدير: كحب المؤمنين الله.

والمعنى: أنهم سووا بين الحبين؛ حب الأنداد وحب الله.

أي: أن قوله عز وجل (كحب الله) من الإضافة إلى المفعول، فهو بمنزلة الفعل المبني للمجهول فالفاعل المحذوف هنا لقصد التعميم، أي: كيفما قدرت حب محب لله، فحب هؤلاء أندادهم مساو لذلك الحب[2].

أما قوله تعالى ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ﴾ [الحشر: ١٣].

فهو تركيب غريب النسيج بديعه، فالمألوف في أداء، مثل هذا المعنى.

أن يقال: (لرهبتهم منكم في صدورهم أشد من رهبتهم من الله)

فحوّل عن هذا النسج إلى النسج الذي حبك عليه في الآية ليتأتى الابتداء بضمير المسلمين اهتماماً به وليكون متعلق الرهبة ذوات المسلمين لتوقع بطشهم.

وليتأتى التمييز المحوّل عن الفاعل، لما فيه من خصوصية الإجمال مع التفصيل كما تقرر في خصوصية قوله تعالى (واشتعل الرأس شيباً) دون (اشتعل شيب الرأس)

---

(١) البحر المحيط ١: ٦٤٣.

(٢) التحرير والتنوير ٢: ٩١.

وليتأتى حذف المضاف في تركيب (من الله) إذ التقدير: (من رهبة الله) لأن حذفه لا يحسن إلا إذا كان موقعه متصلاً بلفظ (رهبة)

إذ لا يحسن أن يقال (لرهبتهم أشد من الله)[1].

ثالثاً: خصوصية الأفعال التي تبنى للمجهول

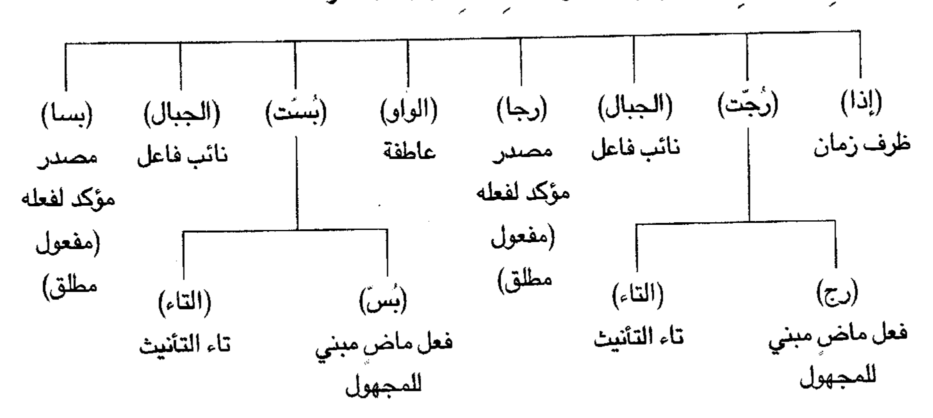
يتضمن هذا الموضوع خمس (مسائل) منها:

المسألة الأولى: الأفعال التي لم تستعمل إلا مبينة للمجهول، أو يغلب مجيئها مبينة للمجهول:

هذا النوع كثير في القرآن، سنحاول عرض بعض الأمثلة بحسب الترتيب الألف بائي:

الفعلان (بُسّت) و(رُجّت): فقد ورد الفعلان (رُجّت) و(بُسّت) في موضع واحد مبنيين للمجهول وذلك في قوله تعالى:

﴿إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا * وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ [الواقعة: ٤-٥]



---

(١) التحرير والتنوير ٢٨: ١٠١-١٠٢.

و(الـرج)؛ تحريـك الـشيء وإزعاجـه، يقـال: رَجّـهُ فـارتج، و(الرجرجـة): الاضطراب[1]. والتحريك الشديد، فمعنى (رُجّت): رجها راج وهو ما يطرأ فيها من الزلزال والخسف ونحو ذلك...

وتأكيـده بالمـصدر للدلالـة علـى تحققـه وليتـأتى التنـوين المـشعر بـالتعظيم والتهويل[2].

و(بُسّت) بمعنـى: فتّتَـتْ، أي أن (الـبسّ) يطلـق بمعنـى: التفتـت، وهـو تفـرق الأجـزاء المجموعـة، ومنـه البيـسه مـن أسمـاء الـسويق؛ أي: فتّتَـتْ الـجبـال ونـسِفت فيكون كقوله تعالى **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَـــذَرُهَا قَاعًـــا صَفْصَفًا﴾** [طه ١٠٥: ١٠٦]

وتأكيده بقوله تعالى (بسّا) كالتأكيد في قوله عز وجل (رَجّا) لإفادة التعظيم بالتنوين وقيل: معناه: (سُقتُ سوقا سريعا) من قولهم (انبّست الحياتُ): انسابت انسياباً سريعاً ويقال: بَسّ الغنم، إذا ساقها، و(بَسْتُ الإبل: زجرتها عند السّوق)

ثم فرع السياق الكريم، بقوله تعالى (فكانت هباءً منبثا) وجاء التفريع لائقا بمعاني (البسّ) لأن الجبال إذا سيرت فإنما تسير تسييرا يفتتها ويفرقها أي: تسيير بعثرة وارتطام.

(بهت):

جاء الفعل (بهت) في موضعين من القرآن الكريم.

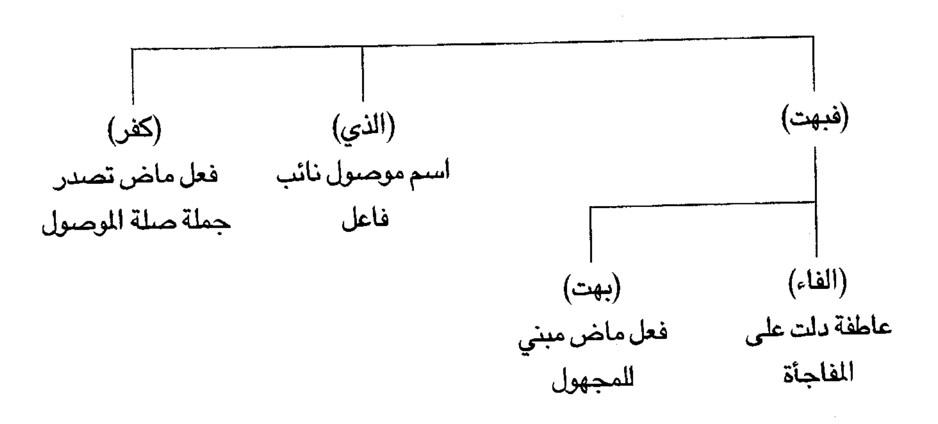
وقد وقع مبنيا للمعلوم في أحدهما وذلك في قوله تعالى: **﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ﴾** [الأنبياء:٤٠]

---

(١) مفردات غريب القرآن: ١٨٧.

(٢) التحرير والتنوير ٢٧: ٢٨٤.

وجاء مبنياً للمجهول في الموضع الآخر ﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾ [البقرة:٢٥٨]



قال أهل اللغة (بهته، فبهت)، بمعنى: أعجزه عن الجواب فعجز أو فاجأه بما لم يعرف دفعه، قال تعالى ﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٤٠].

والفعل في قوله عز وجل (فبهت الذي كفر)؛ بمعنى (دُهِش وتَحَيّرن وقد بهَتَهُ)[١]. وهو مبني للمجهول، وقد حذف الفاعل، وهو سيدنا (إبراهيم) –عليه السلام– إذ هو المناظر له فلما أتى بالحجّة الدامغة بهته وحيّره.

ويجوز أن يكون الفاعل المحذوف هو؛ المصدر المفهوم من (قال) أي: (حيرة قول إبراهيم وبهته، أي: فبهت قول إبراهيم من كفر...)[٢].

فأنت ترى أن الفاعل حُذِف لدلالة السياق عليه، وقد حقق الحذف إيجازا منح المتلقي مساحة أوسع في تصدر هذا الموقف الذي (بهت) الكافرين.

---

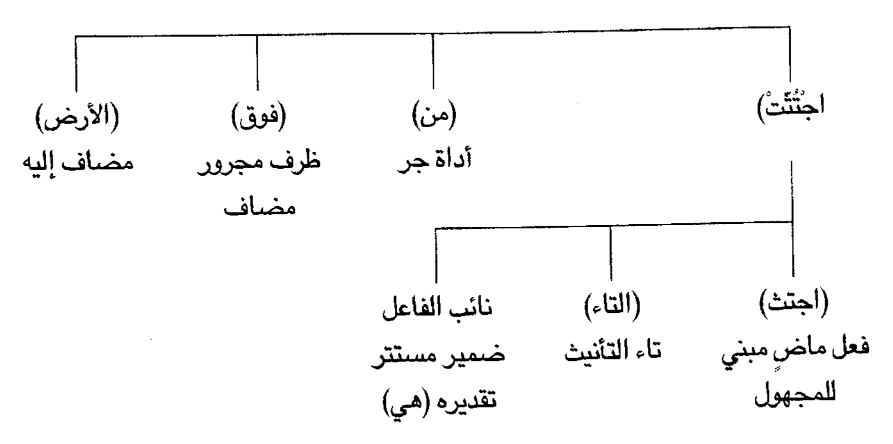
(١) التحرير والتنوير ٣: ٣٤.

(٢) المفردات في غريب القرآن: ٦٣.

(اجْتُثّ):

ورد الفعل (أجّتث) في موضع واحدٍ فقط

جاء فيه بصيغة المبني للمجهول، وذلك في قوله تعالى ﴿... اجْتُثَّتْ مِن فَــوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦]:



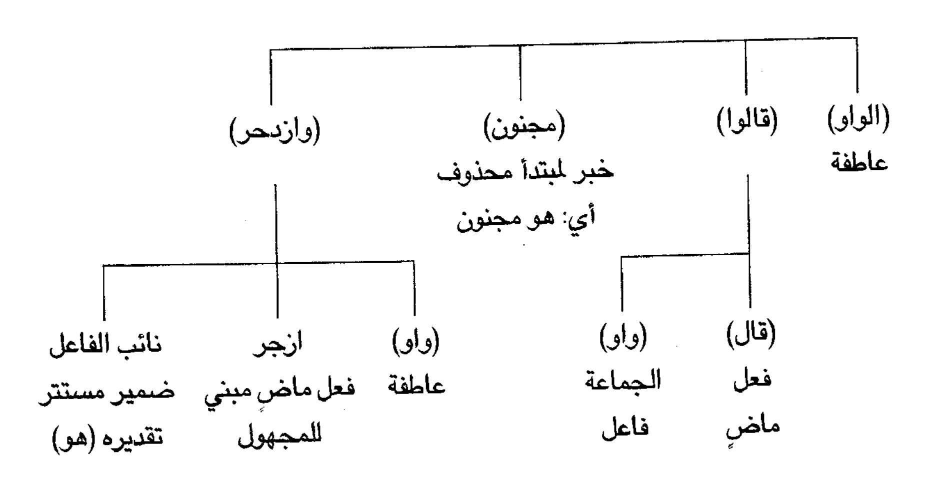
قال أهل اللغة: (يقال: جثثته فانجث؛ اقتعلت جثته..)

و (الاجتثاث: قطع الشيء كله، وهو مشتق من (الجثة)، وهي الذات وقد جاء الفعل (اجتث) مبنيا للمجهول، في جملة وقعت صفة لقوله عز وجل (شجرة خبيثة)، لأن الناس لا يتركونها تلتف على الأشجار فتقتلها.

وجاء قوله تعالى (من فوق الأرض) لـ (اجتثت).

(ازدجر):

وقع الفعل (ازدجر) في موضع واحد من الكتاب العزيز وقد استعمل فيه مبنيا للمجهول؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿... وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ [القمر: ٩].



(ازدجر) وبمعنى (طُرد) أي: زجر وتهدد بقولهم (لَئن لم تنتهِ لَنرْجُمنَّكَ[1])(*) قال أهل التفسير (أي: زجر عن دعوى النبوة بالسب والوعيد بالقتل..)[2].

ولفظ (ازدجر): مبني للمجهول، وهو من (افتعل) من (الزجر) وصيغة (الافتعال) هنا للمبالغة مثلها: (افتقر)، و(اضطر)

ونكتة بناء الفعل للمجهول هنا للتوصل إلى حذف ما يسند إليه فعل الازدجار المبني للفاعل وهو ضمير (قوم نوح)..

فعدل عن أن يقال (وازدجروه) إلى قوله عز وجل (وازدجر) محاشاة للدال على ذات نوح وهو ضمير من أن يقع مفعولاً لضميرهم ومرادهم أنهم ازدجروه، أي: نهو عن ادعاء الرسالة بغلظة وقد تحقق أيضاً، تجانس الفاصلة القرآنية، ... ونستبعد الرأي القائل (قيل: إنما قال (وازدجر) بلفظ ما لم يسم فاعله لأنه رأس آية)[3]. لأن الفاصلة تتبع المعاني وليس العكس.

---

(١) إعراب القرآن – النحاس ٤: ٢٨٧.

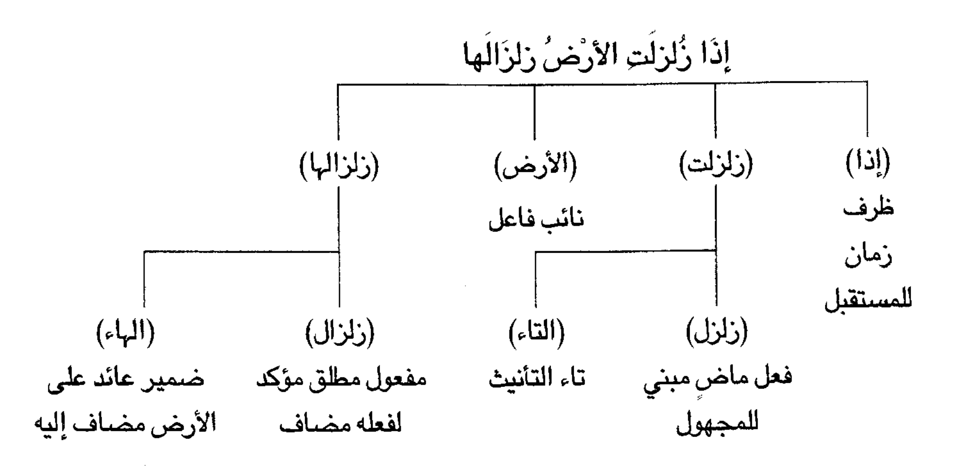
(*) الآية هي: ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾[الشعراء:١١٦].

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٧: ١٢٨.

(٣) المصدر نفسه ١٧: ١٢٨.

(زلزل)

جاء الفعل (زلزل) في ثلاثة(*) مواضع من القرآن الكريم وقد استعمل في تلك المواضع بصيغة المبني للمجهول ومنها قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة:١] .



قال أهل اللغة (التزلزل): الاضطراب، وتكرير حروف لفظه تنبيه على تكرير معنى الزلل فيه)[1].

ومعنى (زُلزلت): حُركت تحريكا شديدا حتى يخيل للناس أنها خرجت من حيزها لأن فعل (زلزل) مأخوذ من (الزَلَلْ) وهو: زلق الرجلين.

فلما عنوا شدة الزلل ضاعفوا الفعل للدلالة بالتضعيف على شدة الفعل كما قالوا (كبكبة) أي: كبّه، و(لملم بالمكان) من اللم.

(*) وقال تعالى ﴿ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ﴾[البقرة:٢١٤] ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا﴾[الأحزاب:١١]

(١) المفردات في غريب القرآن: ٢١٦.

وإنما بني فعل (زلزلت) بصيغة النائب عن الفاعل، لأنه معلوم فاعله وهو (الله) تعالى وناب المفعول به، عن الفاعل، ليتركز الذهن في أحداث إذا وقعت دلت على يوم البعث والحساب وانتصب لفظ (زلزالها) على المفعول المطلق المؤكد لفعله، إشارة إلى هول ذلك الحدث وهو (الزلزال) فالمعنى: (إذا زلزلت الأرض زلزالا) وأضيف (زلزالها) إلى ضمير (الأرض) لإفادة تمكنه منها وتكرره حتى كأنه عرف نسبته إليها لكثرة اتصاله بها[1].

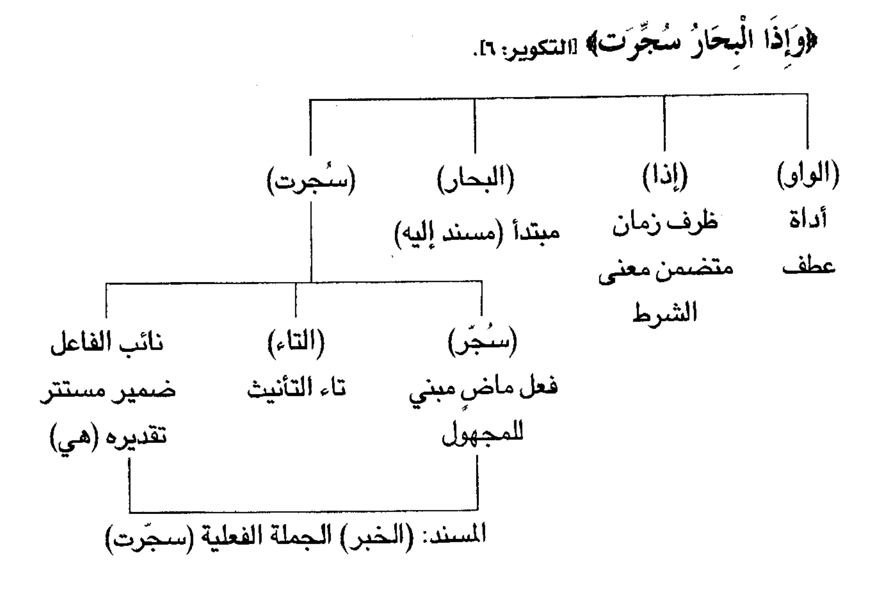
(سُجرّت)

جاء الفعل (سُجّر) في موضعين من القرآن الكريم.

وقد استعمل فيهما مبنيا للمجهول.

أما الموضوع الأول، فهو قوله تعالى:

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦].



(١) التحرير والتنوير ٣٠: ٤٩٠.

قال أهل اللغة (سجّرت) من (السّجْرُ): تهييج النار.

يقال: سَجّرتُ التنّور، ومنه ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [الطور: ٦].

وقوله تعالى أي: أضْرِمتْ نارا.

وقيل: غيضت مياهها...[1]

وذكر بعض المفسرين أن (تسجير البحار: فيضانها)

قال تعالى ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [الطور: ٦]، والمراد تجاوز مياهها معدل سطوحها واختلاط بعضها ببعض...

يقال: (سجّر مضاعفا، وسَجَر: مخففا وقرئ بهما فقرأه الجمهور مشدّدا، وقرأه ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب مخففا)[2].

ومثله قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: ٧٢].

و (السجر) ملء التنور بالوقود لتقوية النار فيه.

فإسناد فعل (يسجرون) إلى ضميرهم إسناد مجازي لأن الذي يسجر هو مكانهم من جهنم فأريد بإسناد المسجور إليهم المبالغة في تعلق السجر بهم، أو هو استعارة تبعية بتشبيههم بالتنور في استقرار النار بباطنهم[3]، كما في قوله تعالى ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ [الحج: ٢٠].

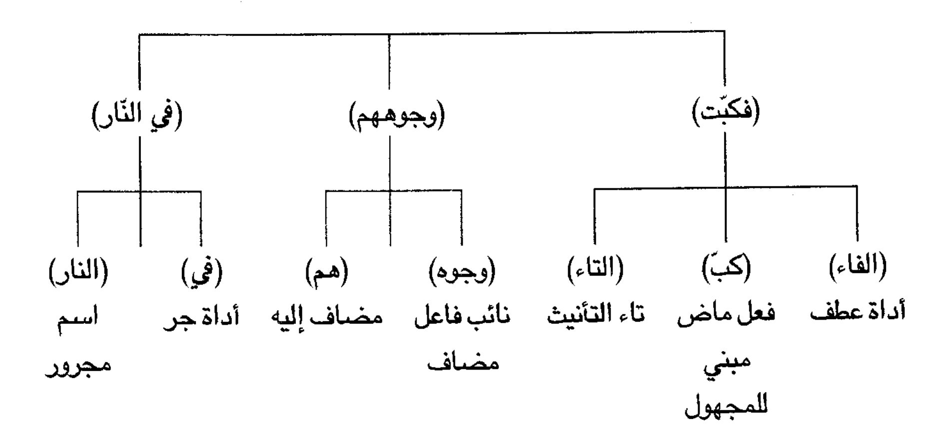
(كبّت) جاء الفعل مبنيا للمجهول في قوله عز وجل ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ [النمل: ٩٠].

---

(١) المفردات في غريب القرآن: ٢٢٤.

(٢) التحرير والتنوير ٣٠: ١٤٢.

(٣) المصدر نفسه ٢٤: ٢٠٣.



(الكبّ):

جعل ظاهر الشيء إلى الأرض.

وأنت ترى أن الفعل (كبّت) جاء مبنيا للمجهول، وحُذِف الفاعل فأسند (الكبّ) إلى لفظ (الوجوه)، إذ وقع نائبا عن الفاعل.

وكأن في تعديه (كبَت) إلى (الوجوه) دون بقية أجزاء الجسد.

لمحة لغوية دقيقة، وهي: أن الوجوه أول ما يقلب إلى الأرض عند الكب[1].

وإن كان الكب لجميع الجسم، وهذا من قبيل قوله تعالى ﴿**وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ**﴾ [الأعراف: ١٤٩].

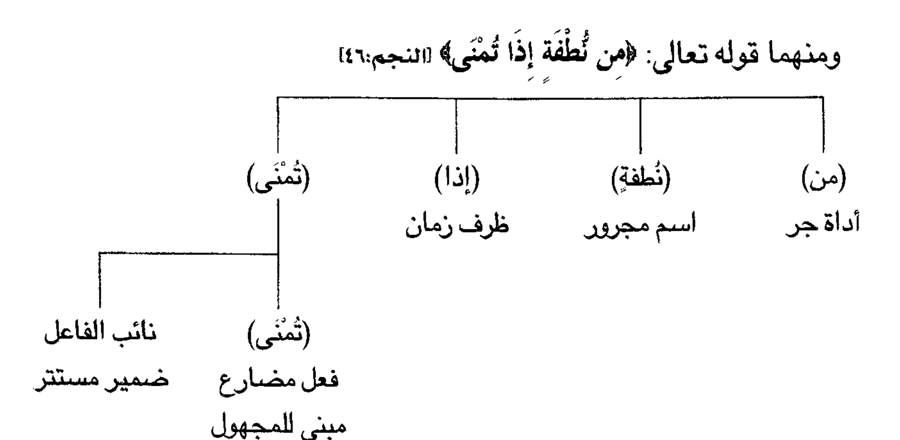
(تُمْنَى) ورد الفعل (تمنى) في موضعين من القرآن الكريم.

وقد استعمل فيهما مبنيا للمجهول:

---

(١) المصدر السابق ٢٠: ٥٣.

ومنهما قوله تعالى: ﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ [النجم:٤٦]



قال أهل اللغة (المَنْيُ) التقدْيرُ، يقال مني لك الماني، أي: قدّرَ لك المقدرُ ومنه المنا الذي يوزن به فيما قيل.

والمني للذي قدر به الحيوانات، قال تعالى ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾ [القيامة: ٣٧].

وقال عز وجل؛ أي: تُقدّرُ بالعزة الإلهية ما لم يكن منه وقيل، إن معنى (تُمنَى) تُدْفق، وفسروه بمعنى تقذف أيضا .

وقيل معنى (تمنى) تُرَاق.

ثم أن الفعل (تُمْنَى) (يحتمل أنه مضارع (أمنى) بهمزة التعدية وسقطت في المضارع، فوزنه أفعل.

ويحتمل أنه مضارع (مَنى) مثل (رَمَى) فوزنه (تُفعَل)[١].

بُني فعل (تُمْنَى) للمجهول؛ لأن النطفة تدفعها قوة طبيعية في الجسم خفيةز فكأن فاعل الإمناء مجهول لعدم ظهوره.

ويبدو أن معنى (تمنى) هنا تصب في الرحم وتراق، وقيل: تُمْنى: تُقدّر

---

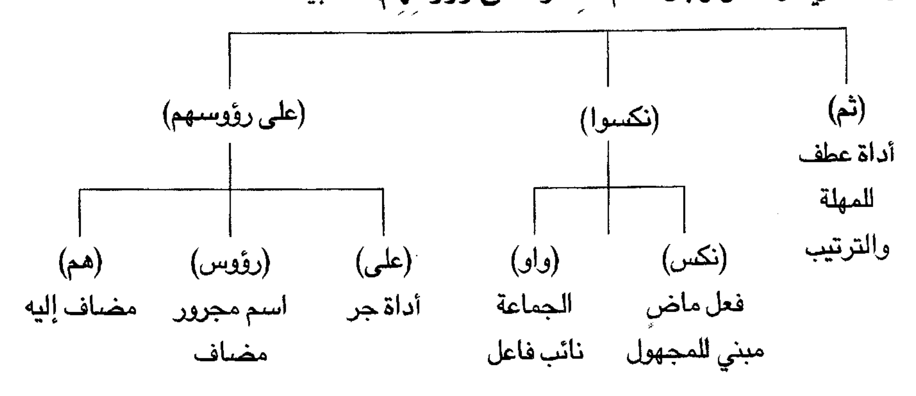
(١) إعراب القرآن – النحاس – ٤ : ٢٧٨.

يقال: منيت الشيء إذا قدرته[1]. وقد أفاد تصدر (إذا) الفعل المبني للمجهول (تمنى) (الايذان بسرعة الخلق عند دفق النطفة في رحم المرأة، فإنه عند التقاء النطفتين يبتدئ تخلق النسل فهذه إشارة خفية إلى أن البويضة التي هي نطفة المرأة حاصلة في الرحم فإذا أمنيت عليها نطفة الذكر أخذت في التخلق إذا لم يعقها عائق.

ويبدو أيضا أن في تقييد (تمنى) بـ (إذا) في قوله تعالى (إذا تمنى...) إشارة إلى أن التخلق إنما يحصل من إنصباب النطفة على أخرى، فعند اختلاط الماءين يحصل تخلق النسل.

الفعل (نكسوا):

ورد الفعل (نُكس) في موضع واحد(*) من القرآن الكريم، وجاء مبنيا لمجهول: وذلك في قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٦٥].



(١) الجامع لأحكام القرآن ١٧: ١١٥.

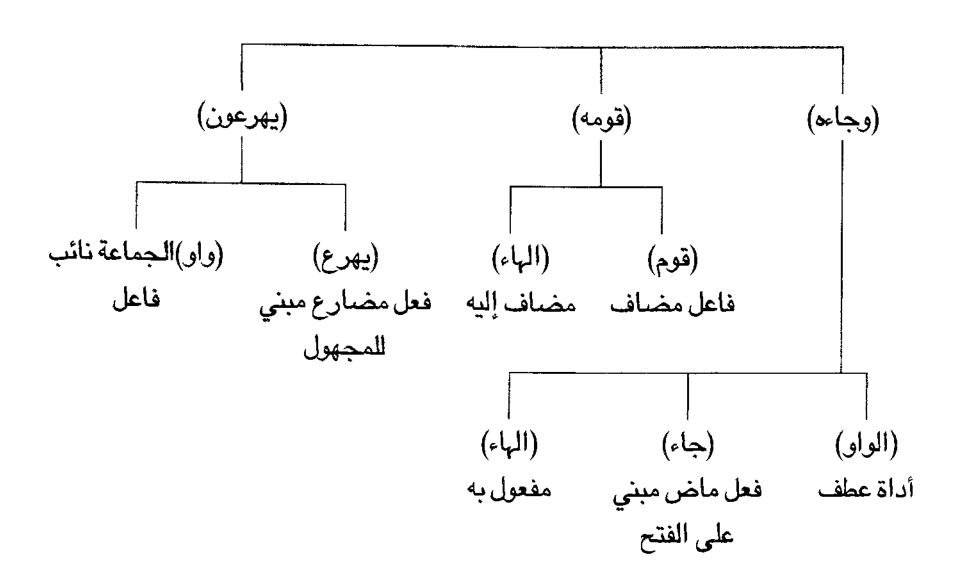
(*) وجاء بصيغة المضارع (ننكس) في سورة: يس: ٦٨ ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلا يَعْقِلُونَ﴾[يس:٦٨] وجاء بصيغة (اسم الفاعل) في سورة السجدة: ١٢ ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ﴾[السجدة:١٢].

(النكس):

قلب أعلى الشيء أسفله، وقلب أسفله أعلاه، وقيل (لا يقال: نكسته – بالتشديد – إلا لما يقلب فيجعل رأسه أسفله)[1] والفعل (نكس): مبني للمجهول أي: نكسهم ناكس.

وكأن الفعل جاء مبنيا للمجهول لعدم تعلق الغرض ببيان الفاعل أي: لما لمن يكن لذلك النكس إلا أنفسهم، فصار القول الكريم، بمعنى: (انتكسوا على رؤوسهم) وهذا ضرب من التمثيل.

(يُهْرَع) احتفظ الفعل (يُهْرَع) في موضعيه[*] في القرآن الكريم ببنائه للمجهول: ومنها قوله عز وجل ﴿وَجَاءهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ﴾ [هود: ٧٨].



---

(١) المفردات في غريب القرآن: ٥٠٥.

(❖) الموضع الآخر في سورة الصافات: ٧٠.

أسند فعل المجيء (جاء) إلى (القوم) لأن مثل ذلك المجيء دأبهم والمعنى (جاءه بعض قومه).

فإذا جاء بعضهم فيعقبه مجيء بعض آخر في وقت آخر، وهذا من إسناد الفعل إلى القبيلة إذا فعله بعضها، أما الفعل (يُهْرَعون) فقد جاء بصيغة المبني للمجهول.

قال بعض أهل اللغة (إن.يهرعون، من الأفعال التي التزموا فيها صيغة المبني للمجهول لأنها في الأصل مسندة إلى فاعل غير معلوم)، ومعنى (يهرع): المشي الشبيه بمشي المدفوع، وهو في أصله: مشي الأسير الذي يسرع به[1].

ويقال: (هَرِعَ) و(أهْرَعَ): ساقه سَوْقاً بِعُنْفٍ وتَخْرِيف، و(الهريع): السّريع المشيء والبكاء...[2]

وقيل: إنه الارتعاد من غضبٍ أو خوفٍ، ولا تقاطع بين هذه الدلالات.

(اهِلّ):

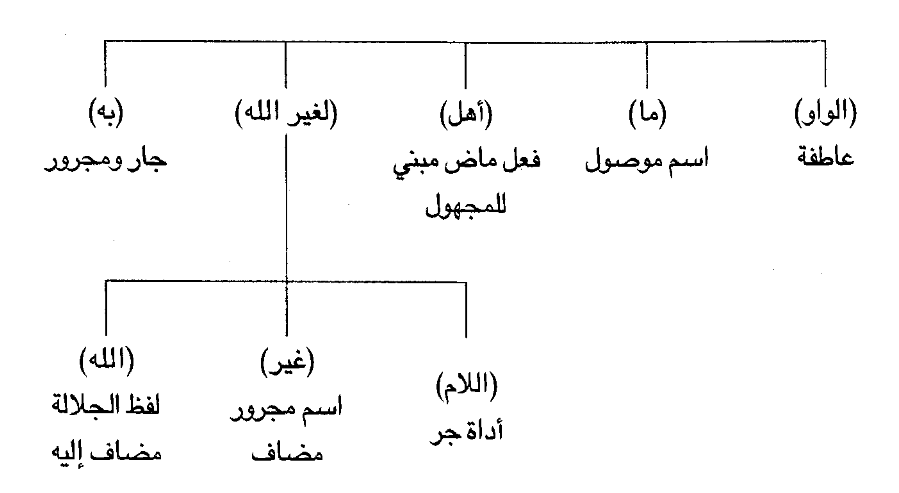
التزم الفعل (أهل) البناء للمجهول في جميع مواضعه[*] في الكتاب المجيد ومنها قوله تعالى﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [المائدة: ٣].

---

(١) التحرير والتنوير ١٢: ١٢٦.

(٢) المفردات في غريب القرآن: ٥٤٢.

(*) ورد مثله في سورة البقرة: ١٧٣، الأنعام: ١٤٥، النحل: ١١٥.



فأنت ترى أن الفعل (أهل) جاء مبنيا للمجهول، وحذف الفاعل لعدم تعلق الغرض من البناء للمجهول، ببيان الفاعل.

وأصل التركيب؛ ما أهل عليه المهل غير اسم الله.

أي: (ما ذكر عليه غير اسم الله وهو ما كان يذبح لأجل الأصنام..)[1].

قال أهل التفسير: (ضمن الفعل (أهل) معنى: تقرب، فعدي لمتعلقه بـ (الباء) وبـ (اللام)، مثل (تقرب)، فالضمير المجرور بـ (الباء) عائد إلى (ما أهل) وفائدة هذا التضمين؛ تحريم ما تقرب به لغير الله تعالى سواء نودي عليه باسم المتقرب إليه أم لا والمراد بـ (غير الله)؛ الأصنام، ونحوها[2].

ولعل من المفيد أن نشير هنا إلى أن قوله تعالى (وما أهل...) قد جاء في ثلاثة مواضع. الموضع الأول في (سورة البقرة): ١٧٣. (وما أهل به لغير الله)؛ فقد تقدم لفظ (به) على قوله تعالى (لغير الله)، وهو التركيب الأصل الذي يقتضيه

---

(١) المفردات في غريب القرآن: ٥٤٤.

(٢) التحرير والتنوير ٢ ت: ١٢٥.

حكم النظم الكريم. لأن (الباء) التي يتعدى بها الفعل في هذا الموضوع من (الباءات) التي تجيء كحرف من الفعل نفسه تقول: (ذهبت بزيد) ثم تقول: (أذهبت زيداً).

فتصير (الباء) كـ (الهمزة) المزيدة في بنية الفعل، فيجب لذلك أن تكون أحق بالتقديم وما يتعدى إليه الفعل بـ (اللام) لا يترك؛ لأنه بمنزلة الحرف من الفعل نفسه، فصار قوله عز وجل (... أهل به لغير الله) بمنزلة ذبح لغير الله مسمى عليه اسم بعض الآلهة، فلما كان هذا الأصل في الأول جرت الآية الأولى عليه،

ولما كان في الإهلال بالمذبوح لا يستنكر إلا إذا كان لغير الله، كان ما عدا الأصل بتقديم المستنكر أحق وأولى.

ألا ترى أنهم يقدمون المفعول إذا كانوا ببيانه أعنى، فيقولون: (ضرب زيداً عمرو) فيقدمون المفعول على الفاعل لأن الاهتمام بأمره أتم لأن هذا ينفي ما فيه وهم متوهم.

أو قول قائل: ضرب محمد زيداً، فيقع الخلاف في المفعول لا في الفاعل.

فيقول المنكر لذلك المثبت صحة ما عنده: ضرب عمرُ زيداً لا محمداً.

فإن ترك قوله قول (لا محمداً)، كان مكتفياً عنه بتقديم المفعول.

فالعناية بتقديم ما يزيل الشك عنه أتم، وهو بالتقديم أحق[1].

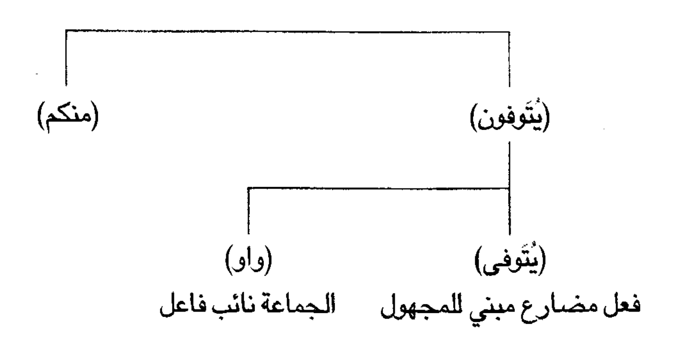
(يُتَوفّى)

من الأفعال التي التزمت العرب فيها البناء للمجهول مثل (عُنى) و(اضْطُر) (يُتَوَفّى) إذ جاء مبنياً للمجهول في أربعة مواضع من القرآن الكريم.

---

(١) درة التنزيل: ٢٢-٢٣.

ومنها قوله عز وجل ﴿... يُتَوَفَّوْنَ منكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٤].



فقد عبر عن الموت بـ (التوفي)، فجاء الفعل (يتوفون) مبنيا للمجهول.

قال أهل اللغة (يتوفون) من الأفعال التي التزمت العرب فيها البناء للمجهول...

وذلك في كل فعل قد عرف فاعله ما هو، أو لم يعرفوا له فاعلا معينا وهو من (توفاه الله) أو (توفاه الموت).

فاستعمال التوفي منه مجاز، تنزيلا لعمر الحي منزلة حق للموت، أو لخالق الموت فقالوا: (توفي فلان) فصار المراد من (توفى): مات.

ومثله قوله عز وجل ﴿ وَمنكُم مَّن يُتَوَفَّى...﴾ [الحج: ٥، غافر: ٦٧].

ويبدو أن إيثار العرب لصيغة البناء المجهول، لأن الفاعل معلوم لجميع الناس وقد صرح بالفاعل في أكثر من موضع ومنها قوله عز وجل.

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزُمَر: ٤٢].

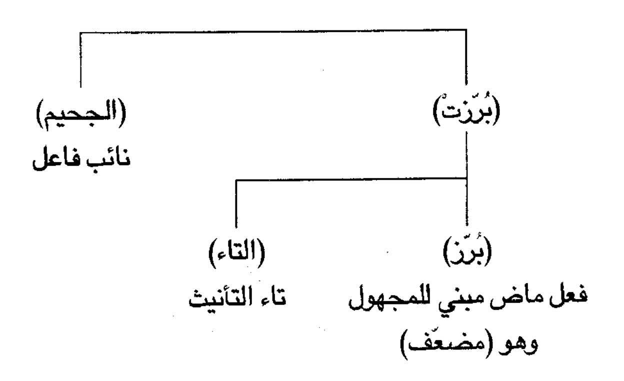
﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾ [النحل: ٧٠].

وقال عزوجل: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾ [السجدة: ١١].

فظهور الفاعل (المجهول عندهم) في مقام التعليم أو الموعظة فأبقى استعمال الفعل مبنيا للمجهول فيما عدا ذلك، إيجازا وتبعا للاستعمال[1].

المسألة الثانية: أفعال مضعفة لم تستعمل إلا مبنية للمجهول:

(بُرّز) الفعل (برز) في أصل استعماله القرآني يأتي معلوما وحين يرد مضعفا يبنى للمجهول، كما في قوله تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ [النازعات:٣٦]



(البراز)؛ الفضاء، و(المبارزة) للقتال؛ الظهور من الصف

و (تبريز الجحيم) إظهارها لأهلها. ومعنى (وَبُرِّزَتِ الجَحِيمُ): أنهم يعرضون عليها...

ومعلوم أن (الجحيم)؛ كل نار عظيمة في حفرة عميقة.

فأنت ترى أن الفعل (برز) جاء مضعفا فاقتضى بناؤه للمجهول لإفادة إظهار ما تعنيه لفظة (الجحيم) من دلالة الترهيب.

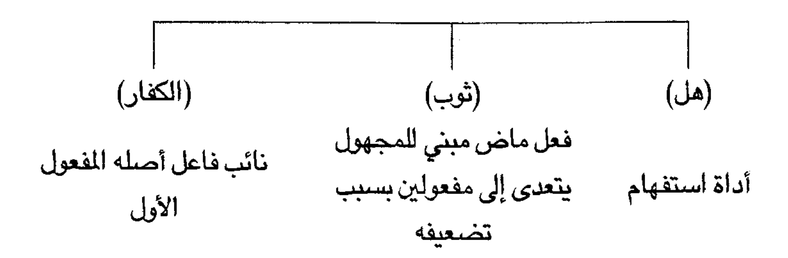
---

(١) ينظر: البحر المحيط ٢: ٢٣٢. التحرير والتنوير ٢: ٢٣٤.

وقيل إن المقصود بـ (الجحيم)؛ جهنم، لذلك قرن الفعل (بُرّزت) بتاء التأنيث لأن (جهنم) مؤنثة في الاستعمال، وقيل أيضا معنى (الجحيم): النار.

وقد بني الفعل المضعف (بُرّزت) للمجهول (لعدم تعلق الغرض ببيان مبرّزها إذ الموعظة في الإعلام بوقوع إبرازها يؤمئذ)، وقد أفاد تضعيف الفعل (بُرّزت)؛ المبالغة في المعنى ويبدو أن من خصوصيات الجملة القرآنية، أن بعض الأفعال تضعف في مادتها فتبنى للمجهول، لتدل على المبالغة في الترهيب أو الترغيب، بحسب مقتضيات السياق.

(ثُوّب) جاء الفعل (ثُوّب) مضعفا فبني للمجهول، وذلك في قوله تعالى ﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ ...﴾ [المطفّفين: ٣٦].



فقد تصدر (هل) الاستفهامية؛ الجملة الفعلية المبنية للمجهول المؤلفة من الفعل المضعف (ثوب) المبني للمجهول، وقد حذف فاعله فوقع لفظ (الكفار) نائبا عن الفاعل.

وأنت ترى أن الخطاب بهذا الاستفهام موجه إلى غير معين، بل إلى كل من يسمع ذلك النداء يوم القيامة[1].

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠: ٢١٥.

وقد تضمن السياق الكريم معنى التقدير والتعجب من عدم إفلاتهم منه بعد دهور، وفي الجملة محسن براعة المقطع، لأنها جامع لما اشتملت عليه السورة.

ثم تأمل قوله عز وجل ﴿فَأَثَابَكُمْ غُمَّاً بِغَمٍّ...﴾ [آل عمران: ١٥٣].

﴿وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

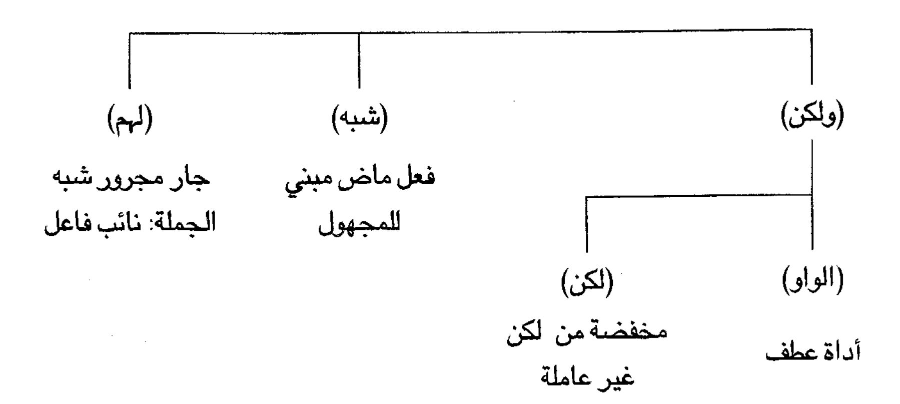
﴿فَأَثَابَهُمُ اللّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّاتٍ﴾ [المائدة: ٨٥].

فالفعل (ثاب) إذا سبقته (همزة) التعدية، لا يستعمل إلا بصيغة المعلوم ويكون متعديا إلى مفعولين صريحين.

قال أهل النحو (يقال: ثوبه، كما يقال: أثابه؛ إذا أعطاه ثوابا، والفعل من باب أعطى[1].

(شُبّه):

قال تعالى ﴿وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧].



فالفعل (شبه) مشتق من (الشبه) وهو المماثلة في الصورة، وقد جاء في القول

---

(١) المصدر السابق ٣٠ : ٢١٦.

الكريم (مضعفا)، مبنيا للمجهول، وحذف المفعول الذي حقه أن يكون نائب فاعل (مشبه) لدلالة فعل (شبه) عليه. فالتقدير: (شبه مشتبه) فيكون (لهم) نائبا عن الفاعل.

وضمير (لهم) على هذا الوجه عائدا إلى (الذين قالوا): (إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم) وهم يهود زمانه.

ومعنى (شبه لهم)؛ وقعت لهم المشابهة.

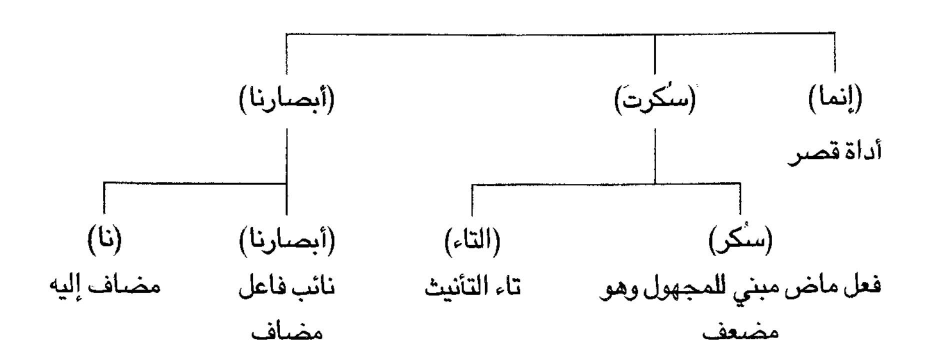
و (اللام) على هذا المعنى (عند) كما تقول: حصل لي ظن بكذا.

ويحتمل أن المعنى: ولكن شبه لليهود الأولين والآخرين خبر صلب (المسيح عليه السلام)

أي: اشتبه عليهم الكذب بالصدق، فيكون من باب قول العرب: (خُيِّل إليك) و (اختلط على فلان). وليس ثمة شبيه بـ (عيسى)، ولكن الكذب في خبره شبيه بالصدق و(اللام) على هذا (الأم)؛ لأجل، أي: لأجل تضليلهم لبس الخبر كذبه بالصدق...

(سكر):

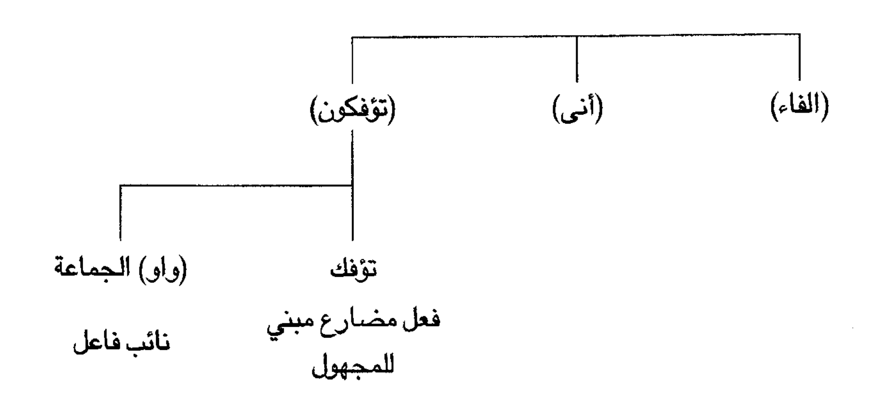
فقد جاء الفعل (سكر) مضعفا، فبني للمجهول، وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا ﴾ [الحجر:١٥]



معنى (سكرت)؛ سدّت، يقال: سكر الباب – بالتشديد – إذا سده فالفعل (سكرت) مضعف مبني للمجهول، ومعنى القول الكريم؛ أنهم سحروا فرأوا ما ليس بشيء شيئا.

المسألة الثالثة: من الأفعال التي كثر استعمالها بصيغة المبني للمجهول:

(أفِكَ): شاع أن يبني الفعل (أفِكَ) للمجهول، ويقع في الغالب مسبوقا بأداة الاستفهام (أنّي)[*]. كما في قوله عز وجل ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [الأنعام: ٩٥].



(أنى): استفهام تعجبي إنكاري من إنصرافهم من عبادة خالقهم، والفعل (تؤفكون) مضارع مبني للمجهول من الفعل: أفكه، من باب (ضَرَبه).

إذا صرفه وعدل به.

و (الإفك): كل مصروف عن وجهة الذي يحق أن يكون عليه، و(يؤفكون): يصرفون عن الحق في الاعتقاد إلى الباطل، ومن الصدق في المقال إلى الكذب، ومن

(*) ومثله ورد في سورة: يونس ٣٤، غافر ٦٢، ٦٩، المائدة: ٧٥، التوبة: ٣٠، المنافقون: ٤، الزخرف: ٨٧، الأنعام: ٩٥، الأعراف: ٤٧، الزمر: ٦.

الجميل في الفعل إلى القبيح[1].

وقد حذف الفاعل هنا لعدم تعين صارفهم عن توحيد الله، فهم أصناف كثيرون وأشياء متعددة مثل وسوسة الشيطان، وتضليل قادتهم وكبرائهم، ولهو أنفسهم.

وكأن في حذف الفاعل، إجمال بسبب إعراضهم، فهم لم يصرفهم صارف ولكن صرفوا أنفسهم عن عبادة خالقهم، أي: (فكيف تصرفون عن توحيده، فلا يوجد موجب يصرفكم عن توحيده وفي سياق (تؤفكون) إشارة إلى استحضار الحالة، فكأنه سلك مسلك المثل، فهو كقول العرب: (أين يذهب بك) أي: تذهب نفسك، إذ لا يريدون أن ذاهبا ذهبت به يسأل عنه ولكن المراد: أنه لم يذهب به أحد وإنما ذهب بنفسه[2].

ومثله قوله عز وجل ﴿قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [يونس: ٣٤].

والمعنى: فإلى أي مكان تقلبون؟ والقلب مجازي، وهو إفساد الرأي.

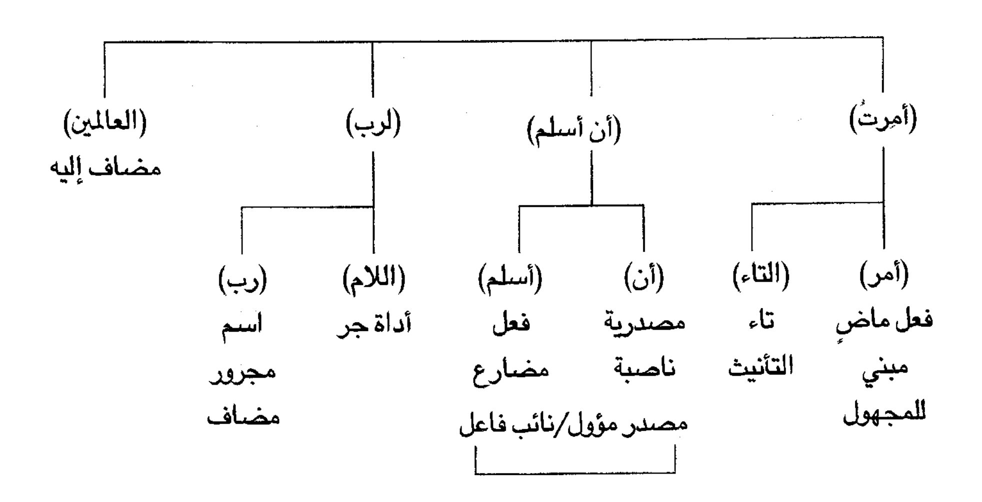
و (أنىّ) هنا استفهام عن مكان مجازي، شبهت به الحقائق التي يجول فيها التفكير. ومثله أيضا قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾ [غافر: ٦٩]. فإن بناء الفعل (يصرفون) للمجهول، وحذف الفاعل. أفاد السياق التعجب من الصارف الذي يصرفهم وهو غير كائن في مكان غير نفوسهم.

(أمِر) كثر وقوع الفعل (أمِر) — بصيغ متنوعة — مبنيا للمجهول ومن تلك المواضع قوله تعالى ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٦].

---

(١) المفردات في غريب القرآن: ١٩.

(٢) التحرير والتنوير ٢٥: ٢٧١.



فأنت ترى أن السياق الكريم قد تضمن صيغتين مبنيتين للمجهول.

الأولى، هي (نُهيتُ) الواقعة مسندا (خبرا) لأداة النصب والتوكيد (إنّ) علما بأن جملة (إني نهيتُ...)؛ هي جملة مقول القول للفعل (قل)، و(المقصود من إسناد المنهية على الرسول ﷺ: التعريض بنهي المشركين، فإن الأمر بأن يقول ذلك ما قصد منه إلا التبليغ لهم، فالمعنى (إذا كنت أنا منهيا عن ذلك فتأملوا في شأنكم واستعملوا أنظاركم فيه ليسوقهم على النظر في الأدلة سوقا لينا خفيا لأتباعه فيما نهى عنه، كما جاء صريحا لا تعريضا في قول سيدنا (إبراهيم عليه السلام) لأبيه: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ٤٣].

أما الصيغة الثانية المبنية للمجهول، فهي (أُمِرتُ)؛

وحذف الفاعل من صيغتي (نهيت) و(أُمِرْتُ) لظهور أن الناهي عن عبادة غير الله والأمر بعبادة الله؛ الخالق القاهر لا شريك له؛ (الله) لا إله إلا هو، وقد دلت

على هذا المعنى قرينة مقام التبليغ والرسالة(*).

ومثله قوله عز وجل ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البيِّنة: ٥].

فالتعبير بالفعل المسند للمجهول يفيد معنيين؛ أي: ما أمروا في كتابهم إلا بما جاء به الإسلام، فالمعنى: وما أمروا في التوراة والإنجيل إلا أن يعبدوا الله (مخلصين له الدين).

فلا معذورة لهم في الإعراض عن الإسلام على كلا التقديرين، ونائب الفاعل للفعل (أُمِروا) فحذف للعموم، أي: ما أمروا بشيء إلا بأن يعبدوا الله: أما قوله عز وجل ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّين وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الزُمَر: ١١ - ١٢].

فإن الفعل (أمر) جاء مبنياً للمجهول في الموضعين؛ وحذف الفاعل للعلم به؛ إذ من المعلوم من سياق الكلام أن الذي أمره هو (الله) تعالى، وعطف (وأمرت)

الثاني على (أمرت) الأول للتسوية بهذا الأمر الثاني، ولأنه غاير الأمر الأول بضميمة قيد التعليل فصار ذكر الأمر الأول لبيان المأمور، وذكر الأمر الثاني لبيان المأمور لأجله ليشير إلى أنه (أمر بأمرين عظيمين):

أحدهما: يشاركه فيه غيره، وهو: أن يعبد الله مخلصاً له الدين.

الثاني: يختص به، وهو: أن يعبده كذلك ليكون بعبادته أول المسلمين[1].

(*) (أمرتُ): الأنعام: ١٤ ٧١، ١٦٣، يونس: ٧٢، ١٠٤. النمل: ٩١، الردع: ٣٦، الزمر: ١١، ١٢، غافر: ٦٦، الشورى: ١٥.

(أمِرت) هود: ١١٢. (أُمِرنا) الأنعام: ٧١، (أُمِروا) النساء: ٦٠، التوبة: ٣١، البينة: ٥. (تُؤمر) الحجر: ٩٤، الصافات: ١٠٢، (يؤمرون) البقرة: ٦٨، الحجر: ٦٥، الحجر: ٦٥، النحل: ٥، التحريم: ٥.

(١) التحرير والتنوير ٢٣: ٣٥٨.

ثم نقرأ في سورة يونس ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلاَ أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ وَلَـكِنْ أَعْبُدُ اللّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٤] أي: أن الله أمرني بذلك بما ركب في من العقل وبما أوحي إلي في كتابه، وقد خص الجملة الفعلية المبنية للمجهول بقوله تعالى (من المؤمنين)

وخص نظيرتها في سورة النمل بقوله عز وجل (من المسلمين) فقال تعالى ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٩١].

أي: أمرني الله أن أتبع الدين الحق ولو كنت وحدي.

ويبدو أن لكل نظم كريم خصوصيته التي يقتضيها المقام: فإذا قرأت في سورة يونس: ﴿... وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٤].

أما في سورة (النمل) فإن قبل هذه الآية جاء قوله تعالى﴿وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [النمل: ٨١].

فكأنه قال: (أمرت أن أكون ممن إذا سمع بآياتنا آمن بها وكان من المسلمين الذين مدحوا بأن النبي (ﷺ) يسمعهم، أي: ينتفعون بما يستمعون منه...

فلما تقاربت اللفظتان وكانتا تستعملان لمعنى واحد حملت كل واحدة منهما على اللفظ الذي تقدمها ولاءمها...[1].

ويبدو أيضاً أن تكرار الفعل (أمرت) في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ ... وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾؛ للإشارة إلى الاختلاف بين الأمرين.

وأعلم أن أهل النحو يشترطون لمثل هذا التركيب تقدير (أداة جر) تسبق (أَنْ) المصدرية وذلك في قوله (إنما أمرت أن أعبد) والتقدير: بأن أعبد...

---

(١) درة التنزيل: ١١٦-١١٧.

وأمرت أن أكون...التقدير بأن أكون...

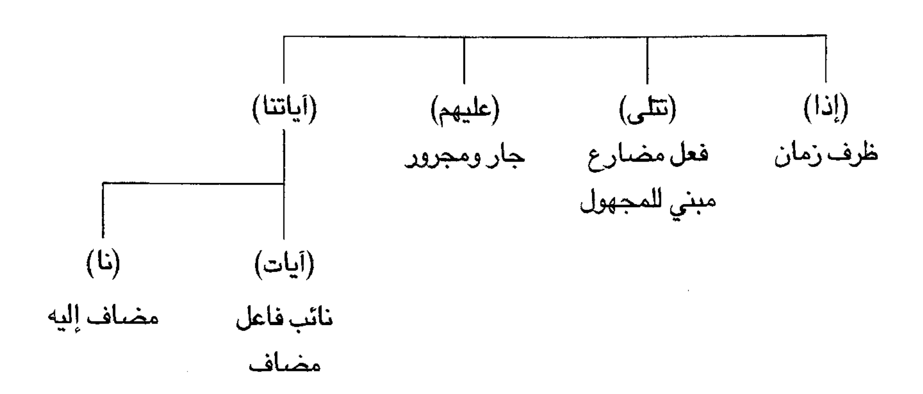
أما إذا سبق الفعل بـ (لام) التعليل و(أن) المضمرة فلا مسوغ لتقدير أداة جر، ويكون الجار والمجرور متعلقاً بالفعل المبني للمجهول (أمر).

ولعل من المفيد أن نشير هنا إلى قوله تعالى على لسان سيدنا (إبراهيم عليه السلام) (أن أكون من المسلمين).

أقوى في الدلالة على الاتصاف بالإسلام من قولك (أن أكون مسلماً)، وأقوى في الدلالة على اتصافه بالدين الحنيف.

(تتلى) كثر استعمال الفعل (تتلى) مبنياً للمجهول(*) وقد حذف الفاعل للعمل به، فوقع المفعول به نائباً عن الفاعل، وهو – في الحال – لفظ (آيات) المضافة إلى اسم الجلالة (الله) أو لفظ (الرحمن) أو (ربك) أو يضاف لفظ (آيات) إلى الضمير (نا) أو (الياء) العائدين إلى لفظ الجلالة.

ومن تلك المواضع قوله عز وجل ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ [الجاثية: ٢٥].



(*) آل عمران: ١٠١، الأنفال: ٣١، يونس: ١٥، مريم: ٥٨، ٧٣، الحج: ٧٢، المؤمنون: ٦٦، لقمان: ٧، سبأ: ٤٣، الجاثية ٨، ٢٥، ٣١، الأحقاف: ٧، المطففين: ١٣.

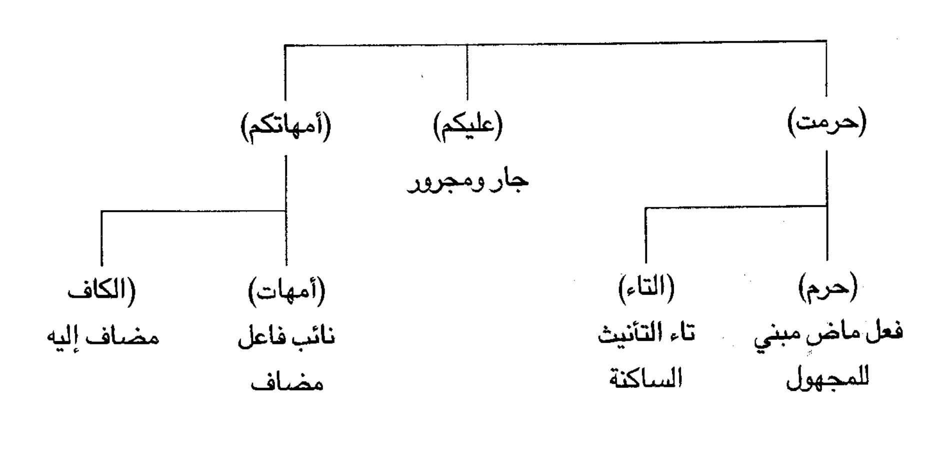
فـ (إذا) ظرف زمان متقدم للاهتمام بذكر ذلك الوقت الذي تتلى فيه الآيات عليهم وقد أفاد تصدر ظرف الزمان (إذا) الفعل المضارع المبني للمجهول (تتلى)؛ دلالة السياق على التكرار والتجدد، وكأنه تضمن معنى (كما تتلى عليهم آياتنا...)

و(التلاوة): القراءة واستظهار ما يحفظه التالي من كلام له أو لغيره يحكيه لسامعه يقول أهل اللغة (التلاوة تختص بإتباع كتب الله المنزلة تارة بالقراءة وتارة بالارتسام لما فيها من أمر ونهي وترغيب وترهيب أو ما يتوهم فيه ذلك، وهو أخص من القراءة، فكل تلاوة قراءة وليس كل قراءة تلاوة...)[1].

و (آيات الله) القرآن، سميت (آيات) لأن وحيها إلى النبي الأمي ﷺ وعجز قومه خاصتهم وعامتهم عن الإتيان بمثلها، فيه دلالة على صدق ما جاء بها فلذلك سميت (آيات) ويسمى القرآن كله أيضا باعتبار دلالة جملته على صدق الرسول (محمد) ﷺ.

(حُرِّم): من الأفعال التي كثر وقوعها مبنية للمجهول.

وقد أختص تركيبه بأن يطوي محذوفا يفهم من سياق القول، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣].

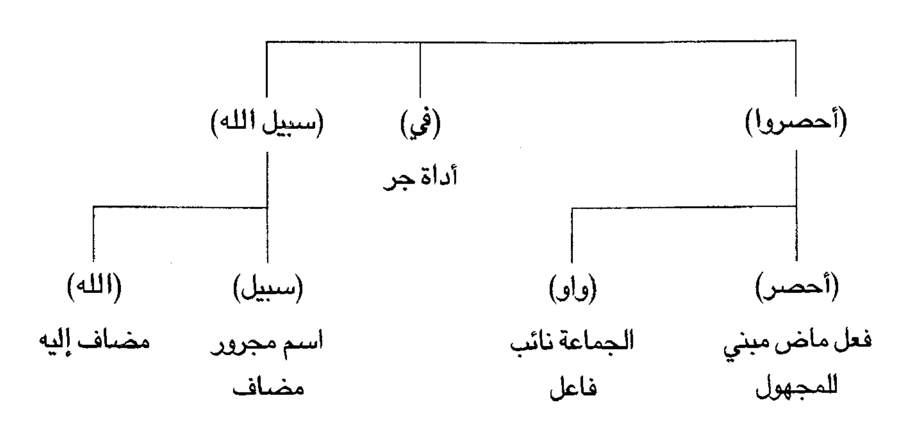


(١) المفردات في غريب القرآن: ٧٥.

فإن تقدير قوله عز وجل: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣].

هو: حرم عليكم نكاح أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم. لأن تحريم نكاحهن هو الذي يفهم من تحريمهن، كما يفهم من تحريم الخنزير، تحرم أكله، ومثله ما يفهم من تحريم الميتة، وتحرم أكلها. وذلك في قوله تعالى ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّه بِهِ﴾ [المائدة: ٣].

(أحصر) ورد الفعل (حصر) في أربعة مواضع في القرآن الكريم، وقد جاء في موضعين مبنيا للمجهول. ومنهما قوله عز وجل ﴿... أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٣].



معنى (الحصر): التضييق، والحصر والإحصار: المنع من طريق البيت فالإحصار يقال في المنع الظاهر كالعدو، والمنع الباطن كالمرض. والحصر لا يقال إلا في المنع الباطن[1]. والإحصار في كلام العرب: منع الذات من فعل ما، يقال:

(١) المفردات في غريب القرآن: ١٢٠-١٢١.

أحصره: منعه مانع، ومعنى قوله عز وجل ﴿لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّـــهِ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

أي: منعهم الفقر من السفر للجهاد وقيل المعنى: أنهم أحقاء بأن ينفق عليهم لعجزهم الحاصل بالجهاد وقيل أيضا: المعنى: عيقوا عن أعمالهم لأجل سبيل الله، وهو الهجرة[1]. وقد أشار علماء اللغة إلى أن الفعل (أحصر)، فعل مهموز لم تكسبه (همزته) التعدية، لأنه مرادف (حصره)، ونظيرهما (صده) و(أصده) أما قوله تعالى ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ [البقرة: ١٩٦].

ففد جاء الشرط بـ (إن) لأن مضمون الشرط كريه لهم، فألقى إليهم الكلام.

إلقاء الخبر الذي يشك في وقوعه، والمقصود: إشعارهم بأن المشركين سيمنعونهم من العمرة[2].

الفعل (أحضر): جاء الفعل (أحضر) المصدر (بهمزة التعدية) في موضعين:

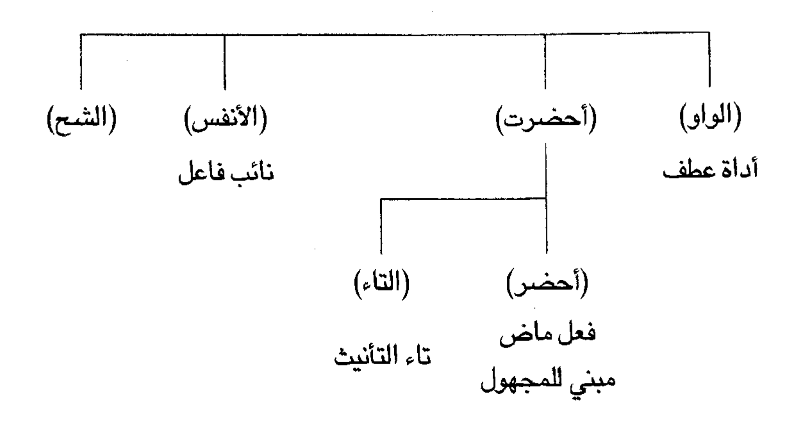
استعمل في الموضع الأول بصيغة المعلوم، وذلك في قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَت عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٣ - ١٤].

واستعمل في الموضع الثاني بصيغة البناء للمجهول، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ﴾ [النساء: ١٢٨].

---

(١) التحرير والتنوير ٣: ٧٤.

(٢) المصدر نفسه ٢: ٢٢٢.



ومعنى قوله تعالى ﴿وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ﴾: ملازمة الشح للنفوس البشرية حتى كأنه حاضر لديه لا يغيب عنها أبدا ولا تنفك عنه، يعني أنها مطبوعة عليه[1]. ولكونها من أفعال الجبلة بني فعله للمجهول على طريقة العرب في بناء كل فعل غير معلوم الفاعل للمجهول. كقولهم (شغف بفلانة) و(اضطر إلى كذا).

(فالشح): منصوب على أنه مفعول ثان لـ (أحضرت) لأنه من باب (أعطى) وأصل (الشح) في كلام العرب: البخل بالمال ... ويجوز أن يكون المراد من (الشح) ما جبلت عليه النفوس: من (المشاحة) وعدم التساهل ... وقد اشتهر عند العرب ذم الشح بالمال وذم من لا سماحة فيه[2].

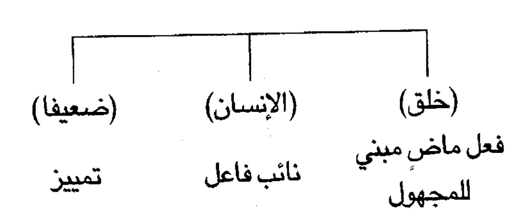
(خُلِق) قد كثُر مجيء الفعل (خلق[*]) – أو مضارعه – مبنيا للمجهول، فيحذف الفاعل لينوب عنه المفعول، وهو في الغالب لفظ (الإنسان) ومن تلك

(١) الكشاف ٢: ٥٥٩.

(٢) التحرير والتنوير ٥: ٢١٧.

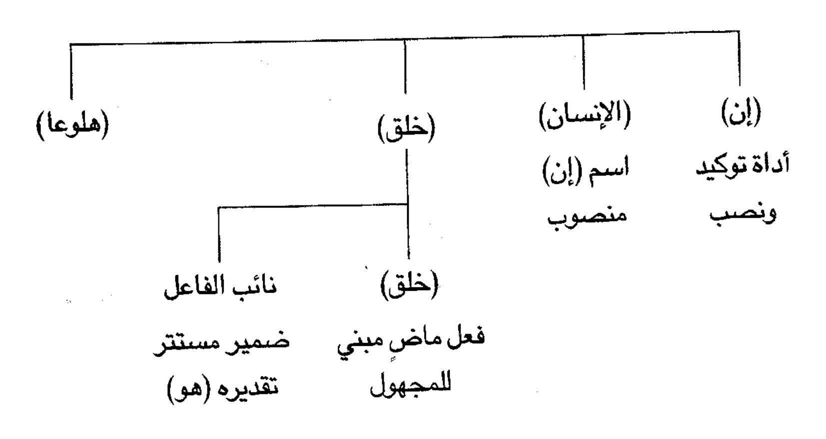
(❖) (خُلِق) النساء: ٢٨، الأنبياء: ٣٧، المعارج: ١٩، الطارق: ٥، ٦ الغاشية: ١٧ (يخلق): الفجر: ٨. (يخلقون) الأعراف: ١٩١، النحل: ٢٠، الفرقان: ٣، (خلقوا) الطور: ٣٥.

المواضع قوله عز وجل ﴿يُرِيدُ اللّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].



ومثله قوله تعالى ﴿خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧].

وقد يكون (نائب الفاعل) ضميرا مستترا. كما في قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [المعارج: ١٩].



فأنت ترى أن الفعل (خلق) مبني للمجهول، وحذف الفاعل وهو الله تعالى للعلم به ولأن المقصود من ذلك التنبيه على (أن الإنسان لإيثاره الجزع والهلع والعجل، وتمكن تلك الطبائع منه ورسوخها فيه، كأنه مجبول عليها مطبوع بها وكأنه أمر خلقي وضروري غير اختياري. قال أهل اللغة (...وخص (الخلق)

بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة... أي: كأنه مخلوق فيه ذلك كقولك: مجبول على كذا أو مدعو إليه من جهة الخلق.)[1].

والمراد بـ (الإنسان)، جنس الإنسان، لا فرد معين، فإن الله تعالى جعل للإنسان عقلا وحكمة، إن أحسن استعمالها تحلت صفاته فإذا أخبر عن الإنسان بشدة تلبسه ببعض النقائض وجعل ذلك من طبع فيه جُبل عليه. فالمقصود من ذلك؛ إلقاء تبعة ذلك عليه لأنه فرط في إرضاء نفسه على ما فيها من جبلة الخير، وأرخى لها العنان إلى غاية الشر وفرط في نصائح الشرائع والحكماء[2].

فـ (الضعف) و(العجل) و(الهلع) وغيرها؛ جبلة إنسانية، وكأن الفعل (خلق) إذا دل على جبلة إنسانية، غلب بناؤه للمجهول، فيقتضي هذا البناء وحذف الفاعل المعلوم، إيجازا يوجب التنبيه، والحذر من تمكنها.

فمثلا قوله عز وجل ﴿خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧].

فـ (العجل): هو السرعة، وخلق الإنسان منه؛ استعارة لتمكن الوصف من جبلة إنسانية (شبهت شدة ملازمة الوصف بكونه مادة لتكوين موصوفة لأن ضعف صفة الصبر في الإنسان من مقتضى التفكير في المحبة والكراهية.

فإذا فكر العقل في شيء محبوب استعجل حصوله بداعي المحبة.

وإذا فكر في شيء مكروه استعجل إزالته بداعي الكراهية.

ولا تخلو أحوال الإنسان عن هذين الوصفين فلا جرم إن كان الإنسان عجولا بالطبع فكأنه مخلوق بالعجلة[3].

ومثله قوله تعالى ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً﴾ [الإسراء: ١١].

---

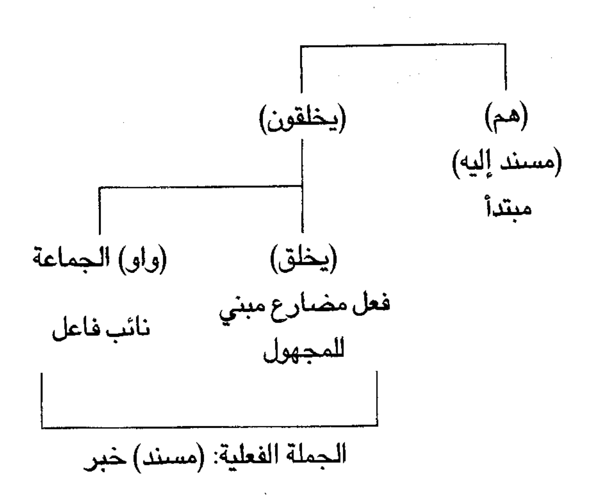
(١) المفردات في غريب القرآن: ١٥٨.

(٢) التحرير والتنوير ٢٩: ٢٦٩.

(٣) المصدر نفسه.

يقول الزمخشري (كانوا يستعجلونك عذاب الله وآياته الملجئة إلى العلم والإقدار (ويقولون متى هذا الوعد) فأراد نهيهم عن الاستعجال وزجرهم، فقدم أولا ذم الإنسان على إفراط العجلة، وأنه مطبوع عليها ثم نهاهم وزجرهم، كأنه قال: ليس ببدع منكم أن تستجعلوا فإنكم مجبولون على ذلك وهو طبعكم وسجيتكم)[1].

ومن المواضع التي وقع فيها الفعل المبني للمجهول بصيغة المضارع قوله تعالى ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١].



فإن دلالة المضارع المبني للمجهول (يُخْلَق): على الاستمرار والتكرار دلالة ناشئة عن معنى التجدد الذي في أصل المسند الفعلي؛ فالمخلوقية لا تفارقهم لأنها تتجدد آنا فآنا، بازدياد المواليد. وقد حذف الفاعل لعلم الجميع به، ولدلالة المقام عليه، فهم مخلوقون لله تعالى. فأسند الفعل المبني للمجهول (يخلقون) إلى نائب

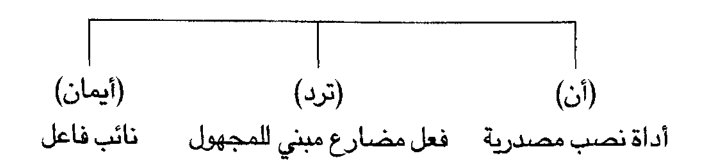
---

(١) الكشاف ٣: ١٤.

الفاعل (واو) الجماعة. ومعنى الآية الكريمة ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١].

أن (الاستفهام مستعمل في التعجب والإنكار وصيغة المضارع في (يشركون) دالة على تجدد هذا الإشراك منهم، ونفي المضارع في قوله (مالا يخلق) للدلالة على تجدد نفي الخالقية عنهم. وأصل معنى التجدد الذي يدل عليه المسند الفعلي هو حدوث معنى المسند للمسند إليه. وأنه ليس مجرد ثبوت وتقرر، فيعلم منه: أنهم لا يخلقون في الاستقبال، وأنهم ما خلقوا شيئا في الماضي، لأنه لو كان الخلق صفة ثابتة لهم لكان متقررا في الماضي والحال والاستقبال)[1].

(رُد): كثُر استعمال[*] الفعل (رُدّ) – وتصريفاته – مبنيا للمجهول ومن ذلك قوله عز وجل ﴿أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ﴾ [المائدة: ١٠٨].



(الرّدّ): صرف الشيء بذاته أو بحالة من أحواله، يقال: رددته فارتد[2].

ومعنى (أن ترد أيمان)؛ أن ترجع أيمان إلى ورثة الموصي بعد أيمان الشهيدين، فالرد هنا مجاز في الانتقال. مثل قوله عز وجل ﴿ثُمَّ رُدُّواْ إِلَى اللّهِ﴾ [الأنعام: ٦٢].

---

(١) التحرير والتنوير ٩: ٢١٦.

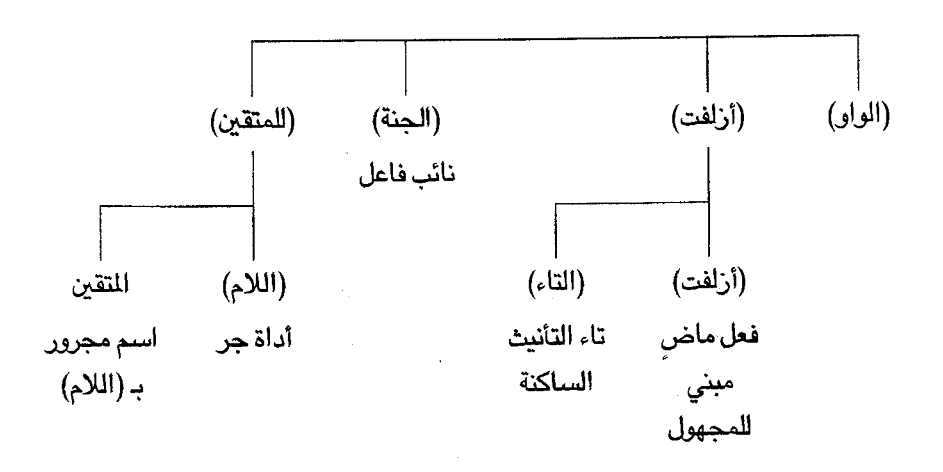
(❖) (ردت) يوسف: ٦٥، الكهف: ٣٦، (ردوا) النساء: ٩١، الأنعام: ٢٨، ٦٢، يونس: ٣٠، (ترد) المائدة: ١٠٨ .(تردون) التوبة: ٩٤، ١٠٥، الجمعة: ٨، (ترد) الأنعام: ٢٧، ٧١. الأعراف: ٥٣ (يرد) الأنعام: ١٤٧، يوسف: ١١٠، النحل: ٧٠، الكهف: ٨٧، فصلت: ٤٧.

(٢) المفردات في غريب القرآن: ١٩٢.

فالرد؛ الإجماع. قال تعالى ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [التوبة: ٩٤].

أي: تصيرون بعد الموت إلى الله عز وجل. والمراد هنا مصير النفوس إلى عالم الخلد الذي لا تصرف فيه لغير الله. وكأن السياق الكريم قد عدل عن أن يقال: (ثم تردون إليه) أي: إلى الله تعالى. لما في الإظهار من التنبيه على أنه لا يعزب عنه شيء من أعمالهم، وفي ذلك زيادة في الترغيب والترهيب لعلموا أنه لا يخفى على الله شيء[1].

(أزلف): ورد الفعل (أزلف) في أربعة مواضع(*) من القرآن الكريم جاء في ثلاثة(**) مواضع منها مبنيا للمجهول قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الشعراء: ٩٠].



قال أهل اللغة (الزلفة)؛ المنزلة والحظوة...وأزلفته: جعلت له زلفى.

---

(١) التحرير والتنوير ٧: ٩٤.

(*) استعمل مبنياً للمعلوم في موضع واحد فقط، هو قوله تعالى ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ﴾ [الشعراء:٦٤].

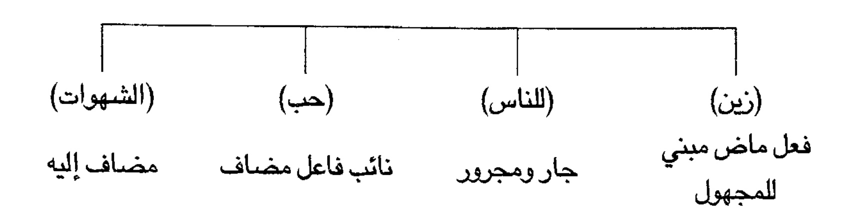
(**) أما الموضعين الآخرين منهما ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق:٣١] .. ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ [التكوير:١٣].

وقوله تعالى ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: قربت وأدنيت ليدخلوها.

وقال الزجاج: قرب دخولهم إياها[1].

وقال بعض المفسرين: (أزلفنا: قربنا وأدنينا، مشتق من الزلف بالتحريك وهو القرب والظاهر أن فعله كفرح، ويقال: أزدلف (اقترف) وتزلف: تقرب فهمزة (أزلفنا) للتعدية، والمعنى: أن المتقين يجدون الجنة حاضرة فلا يتجشمون مشقة السوق إليها[2].

(زُيّن): جاء الفعل (زين) مبنيا للمجهول في مواضع كثيرة[*] في القرآن الكريم ومنها قوله تعالى ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ [آل عمران: ١٤].



قال أهل اللغة (الزينة الحقيقية: مالا يشين الإنسان في شيء من أحواله لا في الدنيا ولا في الآخرة، فيقال: زانه كذا، وزينه كذا؛ إذا أظهر حسنه إما بالفعل أو بالقول)[3].

وقد نسب الله عز وجل؛ بالتزيين في مواضع إلى نفسه.

---

(١) المفردات في غريب القرآن: ٢١٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٣: ١٢٤.

(❖) ومنها قوله تعالى: البقرة ٢١٢، الأنعام: ١٢٢، التوبة: ٣٧، يونس: ١٢، الرعد: ، فاطر: ٨، غافر: ٣٧، محمد: ١٤، الفتح: ١٢.

(٣) المفردات في غريب القرآن: ٧٦.

وفي مواضع إلى الشيطان، وفي مواضع أخرى ذكره غير مسمى فاعله كما في الآية (زُيِّن للنّاس...) و(الزينة) هنا ما من الشيء من المحاسن، والفعل (زين) جاء مبنيا للمجهول، للجري على سنن الكبرياء[1]، وهو رأي بعض المفسرين، وحذف فاعل التزيين، لخفائه عن إدراك عموم المخاطبين؛ لأن ما يدل على الغرائز والسجايا لما جعل فاعله في متعارف العموم كان الشأن إسناد أفعاله للمجهول كقولهم (عُني بكذا) و(اضطر إلى كذا)؛ لأن الفاعل لم يبق مقصوداً بحال[2].

وقيل في (زين) قولان: قال بعضهم: الله زينها محبة، كما قال تعالى ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الكهف: ٧].

وقال بعضهم: الشيطان زينها لأن الله تعالى قد زهد فيها وأعلم أنها متاع الغرور.

وقال بعض المفسرين: (الدلالة الأولى أجود. لأن جعلها زينة محبوبة، والله قد زهد فيها بأن أعلم وأرى زوالها)[3].

وفصل الشيخ الطاهر بن عاشور هذا القول فذكر أن:

(التزيين؛ أمر جبلي جعله الله في الخلقة، قال تعالى ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾.

ولما رجع التزيين إلى انفعال في الجبلة كان فاعله على الحقيقة هو: خالق هذه الجبلات، والمزين هو الله بخلقه لا بدعوته...

---

(١) تفسير أبي السعود ٢: ٤.

(٢) التحرير والتنوير ٣: ١٨٠.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١: ٢٨٤.

وهذا المعنى يفهم من كلام (أبي السعود العمادي[1] في تفسيره (التزيين من حيث الخلق والإيجاد مستند إلى الله سبحانه كما يعرب عنه القراءة على البناء للفاعل.

إذ ما من شيء إلا وهو خالقه، وكل من الشيطان والقوى الحيوانية وما في الدنيا من الأمور البهية والأشياء الشهية مزين بالعرض.

فكأن أهل التفسير متفقون على أن (فاعل التزيين بهذا المعنى حقيقة هو (الله) تعالى، وإن فسر بالتحسين بالقول ونحوه من الوسوسة كما في قوله عز وجل ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ﴾ [الحجر: ٣٩].

ومن تنويرات أهل التفسير في هذا المساق قول الطاهر بن عاشور أن (تعليق التزيين) ب (الحب) جرى على خلاف مقتضى الظاهر؛ لأن المزين للناس هو (الشهوات) أي: المشتهيات نفسها لاحبها، فإذا زينت لهم أحبوها.

فإن الحب ينشأ عن الاستحسان، وليس الحب بمزين، وهذا إيجاز يغني عن أن يقال (زينت للناس الشهوات فأحبوها)، والوجه عندي، أما أن يجعل (حب الشهوات) مصدرا نائبا عن الفاعل، وأصل الكلام: (زين للناس الشهوات حبا) فَحُوِّل وأضيف إلى النائب عن الفاعل وجعل نائبا عن الفاعل.

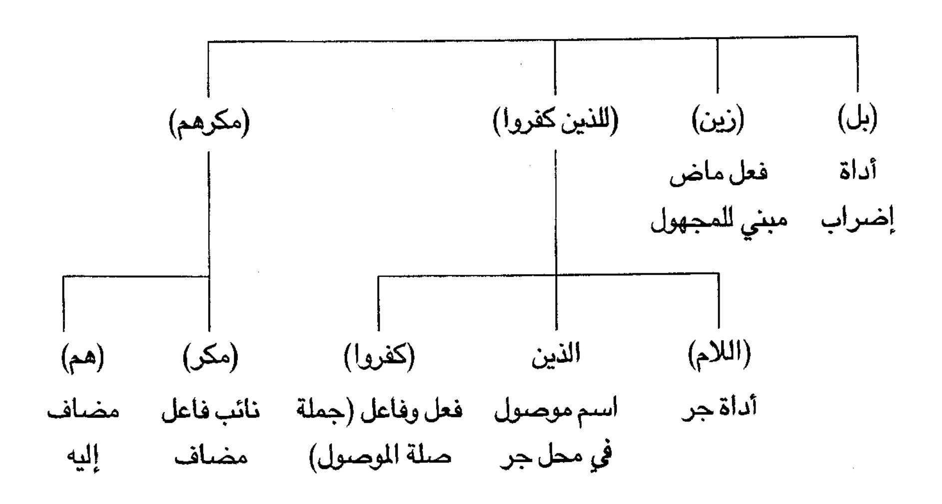
وإما أن يجعل (حب) مصدرا بمعنى المفعول، أي: محبو الشهوات أي: الشهوات المحبوبة وإما أن يجعل (زين) كناية مرادا به لازم التزيين وهو إقبال النفس على ما في المزين من المستحسنات مع ستر ما فيه من الإضرار[2].

---

(١) تفسير أبي السعود ١: ٢١٣.

(٢) التحرير والتنوير ٣: ١٧٩.

ونقرأ قوله عز وجل ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ﴾ [الرعد: ٣٣].



قال بعض المفسرين (لما كان الفعل المبني يقتضي فاعلا منويا كان قوله تعالى (زين للذين كفروا) في قوة قولك: (زين لهم مزين)، والشيء المزين – بالفتح – هو الذي الكلام فيه وهو عبادة الأصنام، فهي المفعول في المعنى لفعل التزيين، فتعين أن المرفوع بعد ذلك هو المفعول في المعنى، فلا جرم أن مكرهم هو المفعول في المعنى، فتعين أن المكر مراد به عبادة الأصنام. وبهذا يتجه أن يكون إضافة (مكر) إلى ضمير (الكفار) من إضافة المصدر إلى ما هو في قوة المفعول، وهو المجرور بـ (باء) التعدية، أي: المكر بهم ممن زينوا لهم...[1]

وذكر القرطبي أن (المزين) هو خالقها ومخترعها: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ [الكهف: ٧]. وقد يزينها أيضاً الشيطان بوسوسته وإغوائه. وخص (الذين كفروا) بالذكر لقبولهم التزيين جملة، وإقبالهم على الدنيا وإعراضهم عن الآخر بسببها قد وجعل الله ما على الأرض زينة لهما ليبلوا الخلق أيهم أحسن عملاً

(١) التحرير والتنوير ١٣: ١٥٣.

فالمؤمنون الذين هم على سنن الشرع لم تفتنهم الزينة، والكفار تمتلكهم لأنهم لا يعتقدها غيرها[1].

أما قوله تعالى ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [البقرة: ٢١٢].

فقد قرأ الجمهور (زُيِّن) على بناء الفعل للمجهول، ولا يحتاج إلى إثبات علامة التأنيث للفصل ولكون المؤنث غير حقيقي التأنيث. وحذف الفاعل وهو الله عز وجل، لدلالة السياق، ويؤيد ذلك قراءة مجاهد (زين) على البناء للفاعل وفاعله ضمير يعود على الله تعالى، إذ قبله قوله عز وجل ﴿فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة: ٢١١].

وتزيينه تعالى إياها لهم وضع في طبعهم من المحبة لها فيصير في نفوسهم ميل ورغبة فيها، أو بالشهوات التي خلقها فيهم، وإليه أشار بقوله تعالى ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾. وقد حاولت تدبر هذا القول الكريم في بداية هذا البحث: وقيل (المزين): الشيطان، وتزيينه بتحسين ما قبح شرعاً، وتقبيح ما حسن شرعاً والفرق بين (التزينين) أن تزيين الله بما ركبه ووضعه في الجبلة وتزيين الشيطان بإذكاء ما قوع ما وقع عقاله وتحسينه بوساوسه إياهم لهم. وقيل المزين (نفوسهم) كقوله تعالى ﴿إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣] ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٣٠] ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ [طه: ٩٦]. وقيل: شركاؤهم من الجن والإنس؛ قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٧]. وقيل: المزين؛ هذه الحياة الدنيا، قال عز وجل ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [الحديد: ٢٠].

ثم ألم ترى أن من أسرار حذف الفاعل المبني للمجهول (زين) هو أن المزين لهم أمور كثيرة ولأجل ذلك طوى الفاعل تجنباً للإطالة.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٣: ٣٢.

ويجوز أن يكون حذف الفاعل لدقته (إذ المزين لهم الدنيا أمر خفي فيحتاج في تفصيله إلى شرح في أخلاقهم، وهو ما اكتسبته نفوسهم من التعلق باللذات وبغيرها من كل ما حملهم على التعلق باللذات وبغيرها من كل ما حملهم على التعلق به[1])

تأمل قوله عزوجل ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

فإن اسم الإشارة في قوله (كذلك) مشار به إلى التزيين المأخوذ من الفعل المبني للمجهول (زين)؛ أي: مثل ذلك التزيين للكافرين العجيب كيداً ودقة زين لهؤلاء الكافرين أعمالهم. وحذف فاعل التزيين، فبني الفعل للمجهول، لأن المقصود وقوع التزيين لا معرفة من أوقعه، والمزين شياطينهم وأولياؤهم، كقوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلاَدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٧]. وأسند فعل التزيين إلى الشيطان بوسوسته غير مرة. مثلما أسند الفعل إلى المجهول في أكثر من موضع[*] كقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٢]. فالمسلمون يعلمون أن المزين للمسرفين؛ خواطرهم الشيطانية[2] أو: الله بخذلانهم وتخليته[3]. فكأن حذف الفاعل قصد منه أن معرفة المزين لهم غير مهم ههنا، وإنما المهم الاعتبار والاتعاظ باستحسانهم أعمالهم الذميمة استحساناً شيطانياً. ومثله أيضاً قوله تعالى ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ [محمد: ١٤].

---

(١) التحرير والتنوير ٢ ك ٢٩٤-٢٩٥.

(❖) ومثله في سورة التوبة: ٣٧، العنكبوت: ٣٨، غافر: ٣٧، الفتح: ١٢، فاطر: ٨.

(٢) التحرير والتنوير ١١: ١١٢.

(٣) الكشاف ٢: ٣٢٢.

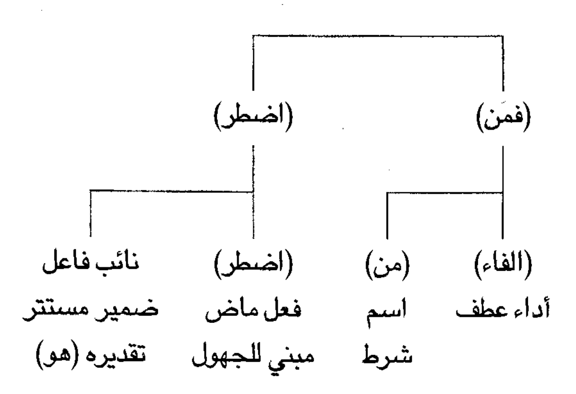
فقد بني الفعل (زين) للمجهول ليشمل المزينين لهم وما سولته لهم عقولهم. ويقصد بهذا البناء تنبيه لهم ليرجعوا إلى أنفسهم فيتأملوا فيمن زين لهم سوء أعمالهم ولعل من المفيد أن نشير في نهاية هذا الحديث إلى أنك إذا استقريت مواضع (التزيين) المذموم، وجدتها في ثلاثة أنواع:

الأول: ما ليس بزين أصلاً لا ذاتاً ولا صفة، لأنه جميعه ذم وأذى ولكنه زين للناس بأوهام وخواطر شيطانية.

الثاني: ما هو (زين) حقيقة لكن عواقب تجعله ضراً وأذى.

الثالث: ما هو (زين) لكنه يحف به ما يصره ذميماً[1].

(اضْطرّ) غلب[*] بناء الفعل (اضطر) للمجهول في القرآن الكريم نحو قوله عز وجل : ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾.



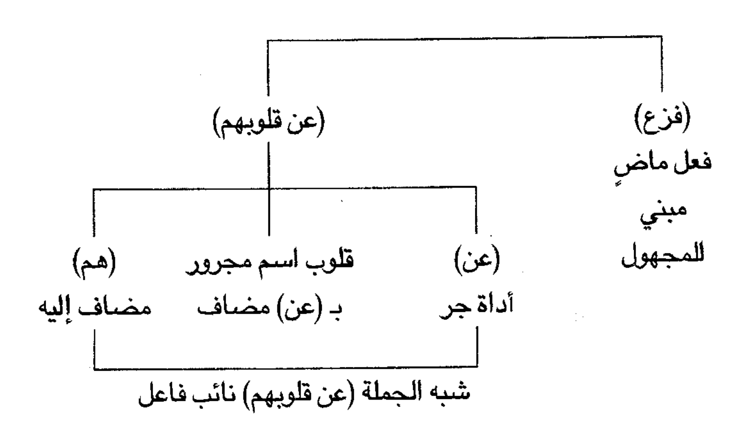
---

(١) التحرير والتنوير ٢: ٢٩٥.

(❖) جاء الفعل (اضطر) في ستة مواضع، استعمل في موضعين منها مبنياً للمعلوم: (اضطر) البقرة: ١٢٦؛ (نضطرهم) لقمان: ٢٤. وجاء الفعل مبنياً للمجهول في البقرة: ١٧٣، المائدة: ٣، الأنعام: ١٤٥ (اضطررتم) الأنعام: ١١٩.

(الاضطرار): الوقوع في الضرورة ، وهو الأصل: الالتجاء (كمن) اشتد به الجوع فاضطر إلى أكل لحم ميتة[1] وعلى هذا قوله عز وجل ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣]. وقوله عز وعلا ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾ [المائدة: ٣]. قال أهل اللغة (اضطر)؛ على وزن (افتعل) مطاوع (أضره): إذا صيره ذا ضرورة أي: حاجة. والأصل في بناء الفعل (اضطر) أن يكون قاصرا، لأن أصل المطاوعة؛ عدم التعدي ولكن الاستعمال جاء على تعديته إلى مفعول، وهو استعمال فصيح غير جار على قياس لا يقال (اضطره إلى كذا، أي: ألجأه)[2].

(فزّع): ورد الفعل (فزع) في أربعة مواضع جاء في ثلاثة منها مبنيا للمعلوم، وهي ﴿فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ [النمل: ٨٧]. ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ [ص: ٢٢]. ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا﴾ [سبأ: ٥١]. أما الموضع الرابع، فقد جاء فيه الفعل (فزع) مبنيا للمجهول إذ قال عز وعلا: ﴿ فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ ﴾ [سبأ:٢٣]



(١) المفردات في غريب القرآن: ٢٩٤.
(٢) التحرير والتنوير ٦: ١١٧.

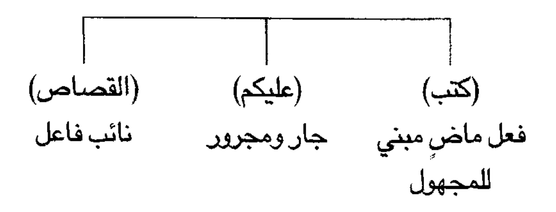
الفزع: انقباض ونفار يعتري الإنسان من الشيء المخيف، وهو من جنس الجزع وقوله تعالى (لا يحزنهم الفزع الأكبر) فهو الفزع من دخول النار. ومعنى (فزع عن قلوبهم): أزيل عنها الفزع[1]. وقد قرأت الجمهور (فزع) بصيغة البناء للمجهول.

والتضعيف فيه للإزالة، مثل (قشر العود) و(مرض المريض) إذا باشر علاجه.

فقد بني الفعل (فزع) لتعظيم ذلك التفزيع بأنه: صادر من جانب عظيم ففيه جانب الآذن فيه، وجانب المبلغ له وهو الملك[2].

كُتِب: من الأفعال التي كثر[*] وقوعها مبنية للمجهول.

ومن تلك المواضع قوله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ [البقرة: ١٧٨].



قال أهل اللغة: (أصل الكتابة: الخط الذي يقرأ، وعبر بصيغة المبني للمجهول (كتب) عن معنى: الإلزام والإثبات، أي: فرض وأثبت لأن ما كتب جدير بثبوته وبقائه وتعدي الفعل (كتب) بـ (على) يشعر بالفرض والوجوب.

---

(١) المفردات في غريب القرآن: ٣٧٩.

(٢) التحرير والتنوير ٢١: ١٨٩.

(❖) البقرة: ١٨٠، ١٨٣، ٢١٦، ٢٤٦ آل عمران: ١٥٤، النساء: ٧٧، ١٢٧، التوبة: ١٢٠، ١٢١، الحج: ٤، الزخرف: ١٩.

وقد حذف الفاعل للعلم به[1]، وهو الله عز وجل، وفي الحذف إيجاز يمنح المتأمل مساحة زمنية أوسع للتركيز على الحدث الذي يتضمنه السياق الكريم.

وقد أشار بعض علماء اللغة إلى دلالات (كتِب) في القول الكريم، فذكر الفراء أن معناه في كل القرآن: (فرض عليكم)[2].

وقال الراغب الأصفهاني (... يعبر عن الإثبات والتقدير والإيجاب والفرض والعزم بالكتابة، ووجه ذلك أن الشيء يراد ثم يقال ثم يكتب. فالإرادة مبدأ والكتابة منتهى، ثم يعبر عن المراد الذي هو المبدأ إذا أريد توكيده بالكتابة التي هي المنتهى)[3]، قال تعالى ﴿لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ ...﴾ [آل عمران: ١٥٤] وقوله عز وجل ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ..﴾ [المائدة: ٤٥]، أي: أوحينا وفرضنا ومثله قوله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ...﴾ [البقرة: ١٨٣] وقوله عز من قائل ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ [البقرة: ١٨٠].

أي: لفظ (كتب) يتضمن معنى (قضى) و(قدر) و(وجب) وفيه دلالة مجازية شائعة في اللغة، إذ إن الشيء إذا أكده الملتزم به كتبه، فأطلقت الكتابة على ما لا سبيل لإبطاله لأن وعد الله لا يُخْلف.

وإذا تأملنا السياق من موضع أقرب تنبهنا إلى ذلك التناسق البياني الرائع بين المستوى التركيبي والمستوى الدلالي، أي: بين حذف الفاعل من الفعل المبني للمجهول (كتب) للعلم به فهو الله تعالى، وبين ما يتضمنه سياق كتب في أغلب مواضعه؛ من مشاق صعبة على المكلف، فناسب أن لا تنسب إلى الله.

---

(١) البحر المحيط ٢: ١٢، ١٢.

(٢) معاني القرآن ١: ١١٠.

(٣) المفردات في غريب القرآن: ٣٢٤.

وإن كان الله هو الذي كتبها: كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ [البقرة: ١٧٨]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وحين يكون المكتوب للمكلف فيه راحة واستبشار يُبنى الفعل للفاعل، كما قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]. ﴿أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

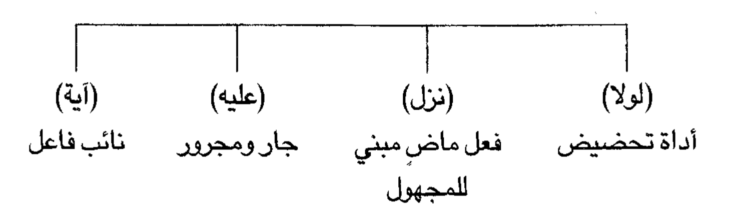
أما بناء الفعل للفاعل في قوله تعالى ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥].

فمناسب لاستعصاء اليهود وكثرة مخالفتهم لأنبيائهم بخلاف هذه الأمة الإسلامية.

ففرق بين الخطابين لافتراق المخاطبين..ونادى المؤمنين عند إعلامهم بهذا المكتوب الذي هو الصيام ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣].

لينبههم على استماع ما يُلقى إليهم من هذا التكليف، ولم يحتج إلى نداءٍ في المكتوب الثاني (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت) لانسلاكه مع الآية التي سبقته في نظام واحد وهو حضور الموت بقصاص أو بغيره[1].

(نُزّل): كثر أيضا وقوع الفعل (نُزّل) أو مضارعه مبنيا للمجهول في الآي الكريم ومن تلك المواضع قوله تعالى ﴿وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ﴾ [الأنعام: ٣٧].



(١) البحر المحيط ٢: ٣٥.

فقد تصدرت الجملة (لولا)[*]: أداة تحضيض بمعنى (هلا) والتحضيض هنا لتعجيز الخصم (ونزل) فعل ماض مبني للمجهول، وقد جرد من علامة التأنيث، لأن الفاعل أو نائبه، إذا جاء مؤنثا مجازيا يجوز تجريد فعله من علامة التأنيث، فإذا وقع بين الفعل ومرفوعه فاصل اجتمع مسوغان لتجريد الفعل من علامة التأنيث وحذف الفاعل إيجازا للعلم بفاعل الإنزال، لأن الذي ينزل الكتاب على الرسل هو الله تعالى، ولما في مادة الإنزال من الإشعار بأنه من الوحي لملائكة العوالم السماوية؟

ويبدو أن التعبير (عن إنزال القرآن الكريم بالماضي مع كون بعضه مترقباً حينئذ لتغليب المحقق على المقداد، أو لتنزيل ما في شرف الوقوع لتحققه منزلة الوقوع[1].

ومثله قوله تعالى ﴿لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ﴾ [الزُّخرف: ٣١]. وقال عز وجل ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ [التوبة: ١٢٧]. فإن الفعل (نُزِّل) بمعنى (أنزل) (وليس فيه إيذان بما يدل عليه التفعيل من التكثير)[2] وقيل أن (التنزيل) يختص بالموضع الذي يشير إليه إنزاله مفرقاً ومرة بعد أخرى فالإنزال أعم من التنزيل[3] أما قوله عز وجل التوبة ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ﴾ [التوبة: ٦٤].

(*) من المواضع التي تصدرت فيها (لولا) الفعل المبني للمجهول (لولا + نزل): الأنعام: ٣٧، الفرقان: ٣٢، الزخرف: ٣١، محمد: ٢٠، ومن المواضع الأخرى: الحجر: ٦، النحل: ٤٤، الفرقان: ٢٥، محمد: ٢ (تنزل) آل عمران: ٩٣ التوبة: ٦٤، (ينزل) البقرة: ١٠٥، المائدة: ١٠١، الروم: ٤٩.

(١) تفسير أبي السعود ١: ٣٣.

(٢) التحرير والتنوير ١٩: ٢٠.

(٣) المفردات في غريب القرآن: ٤٨٩.

فقد جاء الفعل المبني للمجهول بصيغة المضارع لتنسجم مع دلالة السياق الذي وقعت فيه صيغة (تُنزَّل) ليشعر المتلقي باستحضار الحالة. قال أهل اللغة (من بدائع البلاغة في القصر فعل (أنزل) الذي هو مختص بالله تعالى ولو من دون صيغة القصر؛ إذ (الإنزال) يرادف (الوحي) ولا يكون إلا من الله بخلاف ما لو قال (هو الذي آتاك الكتاب) ويكون إنزال الله تعالى بإنزال الشيء نفسه كإنزال القرآن. أو بإنزال أسبابه والهداية إليه. كإنزال (الحديد) و(اللباس). قال تعالى ﴿الْحَمْدُ للَّه الَّذي أَنزَلَ عَلَى عَبْده الْكتَابَ﴾ [الكهف: ١] ﴿اللَّهُ الَّذي أَنزَلَ الْكتَابَ﴾ [الشورى: ١٧] ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكتَابَ وَالْميزَانَ﴾ [الحديد: ٢٥].

ونتوقف عند قوله عز وجل ﴿قُولُواْ آمَنَّا بِاللّه وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [البقرة: ١٣٦]. فإن تعدية الفعل (أنزل) بـ (إلى) دليل على انتهاء المنزل إليهم. فإذا كان الضمير في (قولوا) للمؤمنين، فالمنزل إليهم هو القرآن. وإذا كان الضمير في (قولوا) عائد على اليهود والنصارى، فالمنزل إلى (اليهود) التوراة والمنزل إلى النصارى (الإنجيل). وقال تعالى ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [آل عمران: ٨٤]. فقد عدي الفعل (أنزل) هنا بحرف الجر (على) وعدي الفعل (أنزل) في سورة البقرة بـ (إلى). وقد فسر بعض علماء اللغة هذا التنوع في التعدي، فذكر ابن عطية أن (الإنزال على نبي الأمة إنزال عليها)[1].

وقال الزمخشري (فإن قلت: لم عدي (أنزل) في هذه الآية بحرف الاستعلاء، وفيما تقدم من مثلها بحرف الانتهاء؟ قلت: لوجود المعنيين جميعاً،

---

(١) الكشاف ١: ٣٧٣.

لأن (الوحي) ينزل من فوق وينتهي إلى الرسل، فجاء تارة بأحد المعنيين وأخرى بالآخر)[1].

وقد اختار الطاهر بن عاشور مثال هذا الرأي فذهب إلى أن الفعل (أنزل) عدي بحرف (على) باعتبار أن الإنزال يقتضي علواً، فوصول الشيء المنزل وصول استعلاء، وعدي في آية سورة (البقرة) بحرف (إلى) باعتبار أن الإنزال يتضمن الوصول هو يتعدى بحرف (إلى)[2]. وقال آخرون (إنما قال تعالى هنا (على) لأن ذلك لما كان خطاباً للنبي ﷺ وكان واصلاً إليه من الملأ الأعلى بلا واسطة بشر، كان لفظ (على) المختص بالعلو أولى به. وهناك ملا كان خطاباً للأمة وقد وصل إليهم بواسطة النبي ﷺ كان لفظ (إلى) المختص بالإيصال أولى[3].

وأعلم أن أول الآية التي اختصت بها (على)؛ ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللّهِ﴾ [آل عمران: ٨٤].

وأول الآية التي اختصت بها (إلى) ﴿قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وشرح ذلك أن (على) موضوعة لكون الشيء فوق الشيء ومجيئه من علو فهو مختص من الجهات الست آلت كلها بجهة واحدة.

و(إلى) المنتهى، ويكون المنتهى من الجهات ألت كلها، فإن توجه نحو الشيء شيء من عن يمينه أو عن شماله أو قدامه أو من ورائه أو من فوقه أو من تحته.

فإنه إذا بلغه يقال فيه: انتهى إليه، فلا يتخصص (إلى) بجهة واحدة كما يتخصص (على)، فقوله تعالى (قولوا أمنا بالله) اختير فيها (إلى) لأنها

---

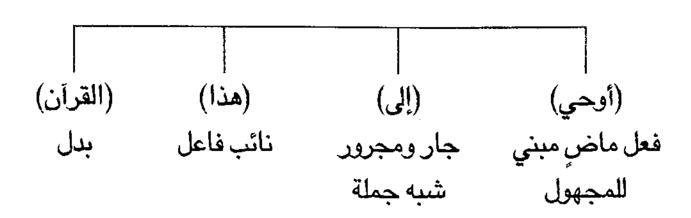
(١) البحر المحيط ١: ٥٣٩.

(٢) التحرير والتنوير ٣: ٣٠٢.

(٣) البحر والمحيط ١: ٥٣٩.

مصدرة بخطاب المسلمين، فوجب أن يختار له (إلى) ثم جعل ما عطف عليه (على) لفظه بحق الإتباع وإن صح فيه الانتهاء. فالمؤمنون لم ينزل الوحي في الحقيقة عليهم من السماء، وإنما أنزل على الأنبياء ثم انتهى من عندهم إليهم، فلما كان (قولوا) خطاباً لغير الأنبياء وكان لأممهم كان اختيار (إلى) أولى من اختيار (على) ولما كانت في سورة (آل عمران) قد صدرت الآية بما هو خطاب النبي ﷺ وهو قوله تعالى قال آمنا بالله وما أنزل علينا) كان (على) أحق بهذا المكان لأن الوحي أنزل عليه(١).

(أوحي): شاع استعمال الفعل (أوحي)(❖) ومضارعه (يوحى) مبنيا للمجهول في السياق القرآني، كما في قوله ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ﴾ [الأنعام: ١٩].



(الوحي): تبليغ جبريل عليه السلام للنبي محمد ﷺ في صورة معينة(٢).

بني الفعل (أوحي) للمجهول، وحذف الفاعل للعلم بمن يوحي وهو الله عز وعلا والإشارة بـ (هذا القرآن) إلى ما هو في ذهن المتكلم والسامع. وعطف

---

(١) المفردات في غريب القرآن: ١٩.

(❖) ورد بصيغة الماضي (أوحي) – في أحد عشر موضعا – الأنعام: ١٩، ٩٣، ١٠٦، هود: ٣٦، الكهف: ٢٧، طه: ٤٨، العنكبوت: ٤٥، الزمر: ٦٥، الزخرف: ٤٣، الجن: ١.
وجاء بصيغة المضارع يؤتى في: الأنعام: ٥٠–٩٣، الأعراف: ٢٠٣، يونس: ١٥–١٠٩، هود: ١٢، الكهف: ١١٠، طه: ١٣–١٠٨ن الأحزاب: ٢، ص: ٧٠، فصلت: ٦.

(٢) المفردات في غريب القرآن: ٥١٥.

البيان بعد اسم الإشارة بين المقصود بالإشارة. أما قوله تعالى ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٤].

فإن الجملة الفعلية المصدرة بالفعل المبني للمجهول (يوحى) مؤكدة لجملة (إِنْ هُوَ إلا وَحْيٌ يُوحَى)، مع دلالة الفعل المضارع (يوحى) على أن ما ينطق به متجدد وحيه غير منقطع. ومتعلق الفعل المبني للمجهول (يوحي) محذوف تقديره: (يوحى إليه) أي (على صاحبكم).

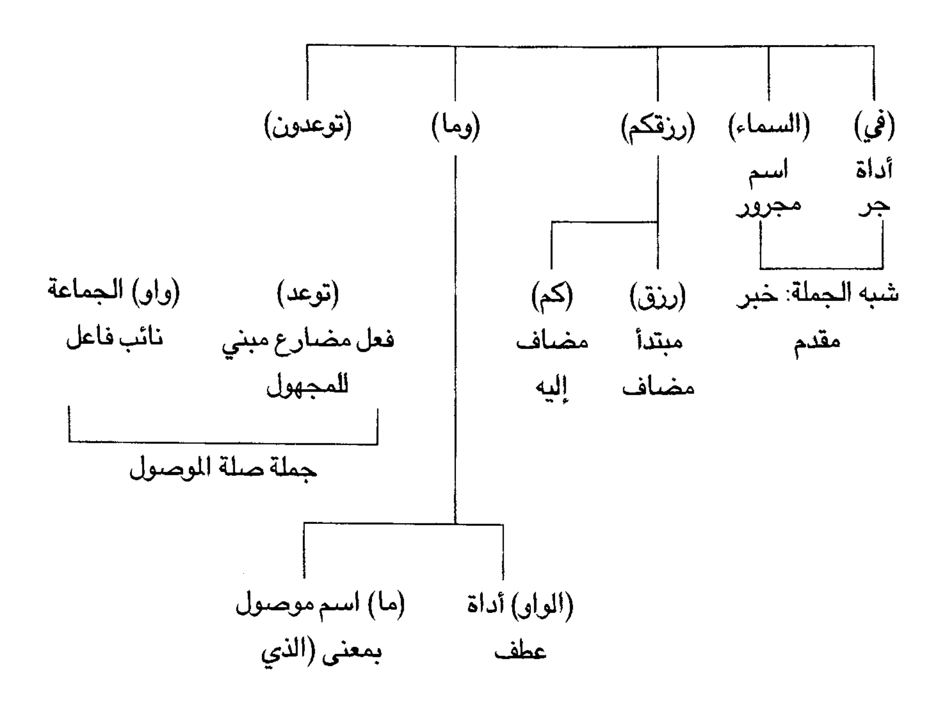
وأنت ترى أن السياق الكريم قد آثر حذف الفاعل لضرب من الإجمال والإيجاز الذي يعقبه التفصيل لأنه سيرد بعده ما يبينه من قوله تعالى ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ [النجم: ١٠]. ومثله قوله عز وجل ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾ [الكهف: ٢٧]. فالأمر في قوله تعالى (وانك) كناية عن الاستمرار. وقوله عز وعلا (ما أوحي) مفيد العموم، أي: كل ما أوحي إليك[1].

(وُعِد): كثر وقوع الفعل (وُعِد) — بصيغة المتعددة — مبنيا للمجهول إذ تجاوزت مواضعه (عشرين) موضعا[*] ومنها قوله تعالى ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢].

---

(١) التحرير والتنوير ٢٧: ٩٥.

(❖) (وُعِد) الرعد: ٣٥، الفرقان: ١٩، محمد: ١٥، المؤمنون: ٢٣، النمل: ٦٨، "توعدون" الأنعام: ١٣٤، الأنبياء: ١٠٣، ١٠٩، المؤمنون: ٣٦، يس: ٦٣، ص: ٥٣، فصلت: ٣٠، ....، الذاريات ٥، ٢٢، الحديد، ٢٥، المرلسلات: ٧ "يوعدون" مريم: ٧٥، المؤمون: ٣٤، الشعراء: .....، الزخرف: ٨٣، الأحقاف: ١٦، ١٥٠، الذاريات ٦٠، المعارج ٤٢، ٤٤.



قال بعض المفسرين (قوله تعالى (وفي السماء): آية المطر، فعدل عن ذكر المطر إلى الرزق استعارا للامتنان في الاستدلال، فإن الدليل في كونه مطرا يحيي الأرض بعد موتها أي: في السماء المطر الذي ترزقون بسببه...)[1]. وفصل بعضهم القول فذكروا (أن كل ما كسبه الإنسان سمي رزقا).

وقال آخرون: لا يقال (رزقه الله عزوجل) إلا لما كان حلالا واستدلوا على هذا في القرآن، فقال تعالى ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم﴾ [المنافقون: ١٠] ولا يأمر بالنفقة إلا من الحال...)[2].

وقد جاء الفعل (توعدون)؛ مبنيا للمجهول، وحذف (الفاعل)، وناب (واو الجماعة) عنه وتعددت آراء أهل التفسير في قوله عز وجل (وما توعدون)؛ فقال

(١) التحرير والتنوير ٢٦: ٣٥٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٧: ٤٤.

مجاهد: يعني من خير وشر، وقال غيره: من خير خاصة. وقال: الشر خاصة وقيل: الجنة وقال الضحاك: (وما توعدون من الجنة والنار) وقال ابن سيرين: (وما توعدون) من أمر الساعة. وقال آخرون: هو من (أوعد) لأن (توعدون) في العربية؛

يجوز أن يكون من (أوعد) ومن (وعد).

وقيل: الأحسن فيه ما قال مجاهد: (ما توعدون) من خير وشر(١).

واختار الطاهر بن عاشور قول مجاهد وفصله، فذكر أن (في إيثار صيغة (توعدون) خصوصية من خصائص إعجاز القرآن، فإن هذه الصيغة صالحة لأن تكون مصوغة من الوعد، فيكون وزن (توعدون)؛ تفعلون: مضارع (وعد) مبنياً للنائب.

أو أن الصيغة صالحة لأن تكون مصوغة من (أوعد) من (الإيعاد) ووزنه (تأفعلون) مثل (تكرمون). فلما بني للنائب ضم حرف المضارعة فصارت (الواو) الساكنة (مدة) مجانسة للضمة فصار (توعدون) مثل (تكرمون)، فاحتملت البشارة والإنذار. وكون ذلك في السماء يجوز أن يكون معناه أنه محقق في علم أهل السماء، أي: الملائكة الموكولين بتصريفه. وفي القول الكريم إيماء إلى أن ما أوعده يأتيهم من قبل السماء.

كما قال تعالى **﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** [الدخان: ١٠-١١]. فإن ذلك الدخان كان في طبقات الجو (٢). ومثله قوله عز وجل **﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لآتٍ﴾** [الأنعام: ١٣٤]. فالجملة مؤكدة بـ (إن) و(اللام) لمناسبة مقام المتلقين. لأنهم متوغلون في إنكار تحقق ما أوعدوا به من حصول الوعيد واستخسارهم به. وقد جاء الفعل (توعدون) مبنياً للمجهول، ويصح أن يكون

---

(١) ينظر إعراب القرآن – للنحاس – ٤: ٢٤٠.

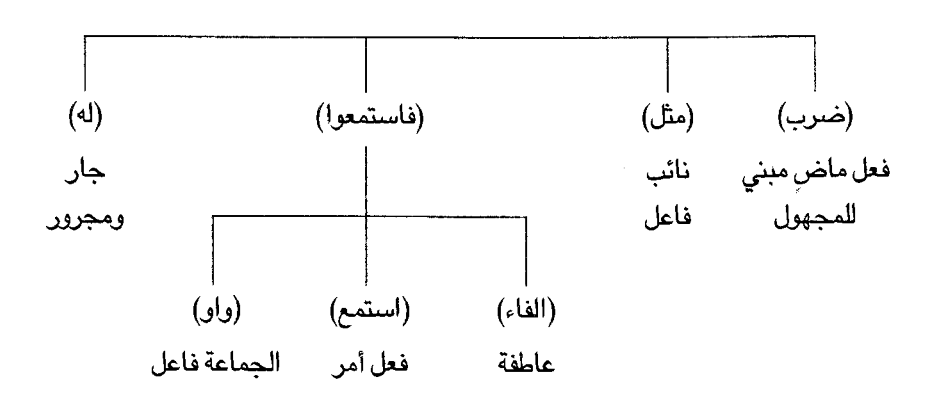
الفعل مضارع (وعد)، يعد أو مضارع (أوعد، يوعد) والمتبادر هو الأول. فمن بديع الفصاحة اختيار بناء هذا الفعل للمجهول، في سياق يصلح لفظه لحال المؤمنين والمشركين ولو بني الفعل للمعلوم لتعين فيه أحد الأمرين؛ كأن يقال (إن ما نعدكم) أو (إن ما نوعدكم).

وهذا من بديع التوجيه المقصود منه؛ أن يأخذ منه كل فريق من السامعين ما يليق بحاله ومعلوم أن وعيد المشركين يستلزم وعداً للمؤمنين.

والمقصود الأهم هم وعيد المشركين، ولذلك عقب الكلام بقوله عز وجل ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾. فذلك كالترشيح لأحد المحتملين من الكلام الموجه)[1].

المسألة الرابعة: صيغة المبني للمجهول في تركيب المثل

وردت صيغة المبني للمجهول في سياق قول يجري مجرى المثل وقد يكون مناسبا أن نستهل البحث في هذه المسألة، بتحليل عبارة (ضرب مثل) إذ جاء مثلها في أكثر من موضع من القرآن الكريم نحو قوله تعالى ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ [الحج: ٧٣].



(١) التحرير والتنوير ٨: ٨٨-٨٩.

معنى (ضرب المثل): ذكره وبيانه، وقد استعير الضرب للقول والذكر تشبيها بوضح الشيء بشدة، أي: ألقي إليكم مثلٌ. فأنت ترى أن الفعل (ضرب) جاء بصيغة المبني للمجهول، ولم يذكر له فاعل فناب عنه المفعول به (مثل). وصيغة الفعل (ضرب) تدل في السياق على زمن الماضي القريب من الحال، لتنبيه السامعين بأن يتهيؤوا لتلقي مثل هذا المثل، لما هو معروف لدى البلغاء من استشرافهم للأمثال ومواقعها[1].

وقد صرح بفاعل (ضرب) في مثل هذا السياق، كما في قوله عزّ وجل: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ [إبراهيم: ٢٤] ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ [النحل: ٧٥]. فالفعل (ضَرَبَ) مبني للمعلوم، أسند في الموضعين السابقين على اسم الجلالة (الله) تعالى. أما قوله تعالى ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ [يس: ٧٨].

فقال بعض المفسرين في تأويله؛ أن: (المقصود هنا نسج التركيب على إيجاز صالح لإفادة احتمالين:

أحدهما: أن يقدر الفاعل (الله) تعالى وأن يكون المثل تشبيها تمثيليا.

أي: أوضح الله تمثيلا يوضح حال الأصنام في فرط العجز عن إيجاد أضعف المخلوقات كما هو مشاهد لكل أحد.

الثاني: أن يقدر الفاعل (المشركين) ويكون (المثل) بمعنى (المماثل).

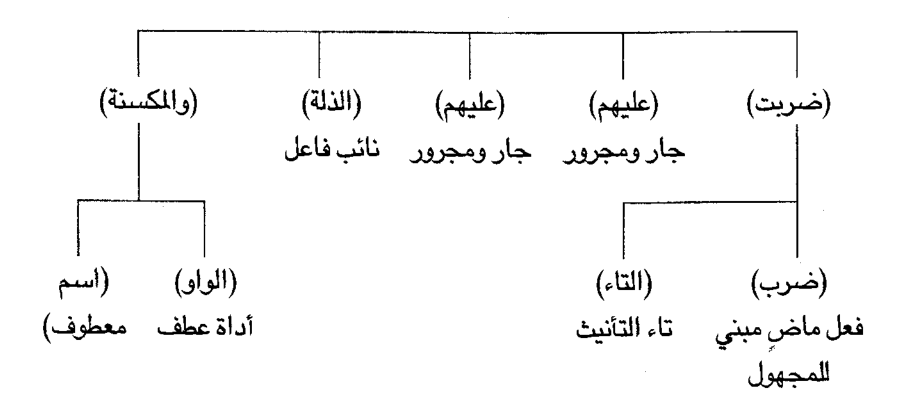
أي: جعلوا أصنامهم مماثلة لله تعالى في الإلهية.

ومن الواضح[*] التي جاء الفعل (ضرب) مبنيا للمجهول في سياق يجري مجرى المثل: قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة: ٦١].

---

(١) التحرير والتنوير ١٧: ٣٣٩.

(❖) ومثله جاء في سورة آل عمران: ١١٢ (ضربت عليهم الذلة) (وضربت عليهم المسكنة).



قال أهل اللغة: (الضرب) في كلام العرب يرجع إلى معنى التقاء ظاهر جسم بظاهر جسم آخر بشدة يقال: ضرب بعصا (وضرب بيده الأرض) إذا ألصقها بها.

وتفرعت عن هذا معان مجازية ترجع إلى شدة اللصوق فمنه (ضرب) في الأرض): سار طويلا، و(ضرب قبة وبيتا في موضع كذا)، بمعنى: شدها ووثقها من الأرض[1].

ومعنى القول الكريم: جعلت الذلة محيطة بهم، ومشتملة عليهم، فهم فيها كمن يكون في القبة (المضروبة)، أو ألصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازم، كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه. فأنت ترى أن إسناد لفظ (الذلة) نائبا عن الفاعل للفعل المبني للمجهول (ضرب) أفاد أن المراد أن يكون المضمون يجري مجرى المثل[2].

وقد طوى سياق المثل استعارة مكنية، إذ شبهت (الذلة) وهي أمر معقول بـ (قبة) أو (خيمة) شملتهم، وشبه اتصالها وثباتها بـ (ضرب القبة) والمقصود بهم

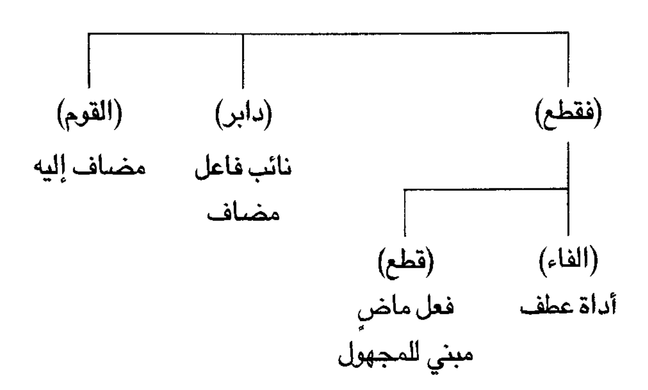
---

(١) التحرير والتنوير ١: ٥٢٧.

(٢) الكشاف ١: ١٤٨. الجامع لأحكام القرآن ١: ٤٣٣.

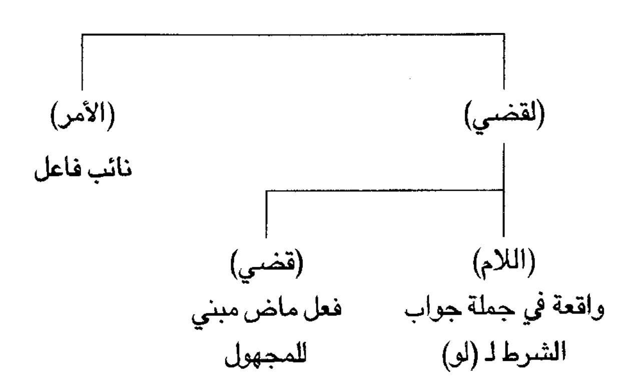
(اليهود)؛ فهم صاغرون أذلاء أهل مسكنة. وقيل: طوي سياق المثل كناية عن كونهم (أذلاء) متصاغرين. وهذا ضرب مجازاة لهم على كفران تلك النعمة، وإنما أورد ضمير الغائبين (هم) للإشارة إلى أن ذلك راجع إلى جميع (اليهود) وشامل للمخاطبين بقوله.

ومن شواهد هذا التركيب قوله عز وجل: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ﴾ [الأنعام: ٤٥].



فإن قوله تعالى (قطع الدابر): كناية عن ذهاب الجميع، لأن المستأصل يبدأ بما يليه ويذهب ليستأصل إلى أن يبلغ آخره. فسياق القول مما جرى مجر المثل.

ومثله قوله عز وجل ﴿... لَّقُضِيَ الأَمْرُ﴾ [الأنعام: ٨].



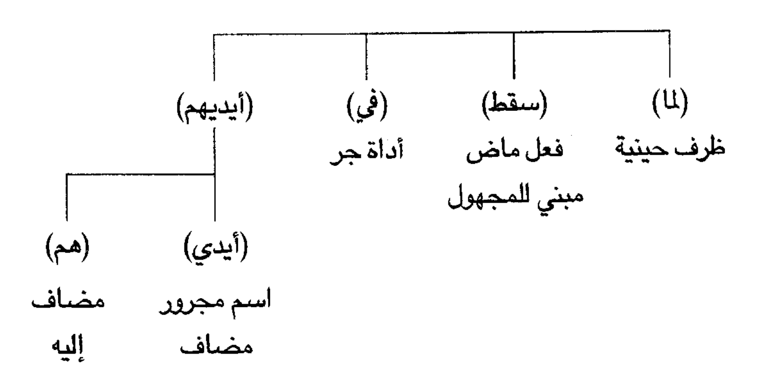
ومعنى (قضي)؛ تم وانتهى و(الأمر): مراد به النزاع والخلاف، وبني الفعل (قضي) للمجهول، وحذف الفاعل لظهور أن قاضية هو من بيده ما يستعجلون به.

وقد شاع استعمال سياق (قضي الأمر) فجرى مجرى المثل(*) وحذف الفاعل ليصلح التمثل به في كل مقام، ومنه أيضا قوله عز وجل: ﴿وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الامُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠]. ومعنى (قضي الأمر) أنه تحتم عليهم ما كانوا يوعدون به أو يكون معنى (يُقضَي الأمرُ):، فوضع الماضي موقع المستقبل. وهذا كثير في القرآن وخصوصا في الآخرة؛ فإن الإخبار عنها يقع كثيرا بالماضي. وسببه التنبيه على قرب أمر الآخرة. فكأن الساعة قد أتت، ووقع ما يريد الله إيقاعه ﴿أَتَى أَمْرُ اللّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]. وسببه أيضا: المبالغة في تأكيد أنه لابد من وقوعه لتجزى كل نفس بما كسبت فصار حصول القطع والجزم بوقوعه، كأنه قد وقع.

وإذا تأملت السياقات الكريمة التي استعمل فيها الفعل (قضي) في غير أسلوب المثل وجدت أن الفاعل قد صرح به، نحو قوله عز وجل ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ﴾ [الحجر: ٦٦]. ﴿سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [مريم: ٣٥]. ﴿إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾ [الأحزاب: ٣٦] ﴿إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى﴾ [القصص: ٤٤].

ومن شواهد هذا السياق – أيضا – قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فَي أَيْدِيهِمْ﴾ [الأعراف: ١٤٩].

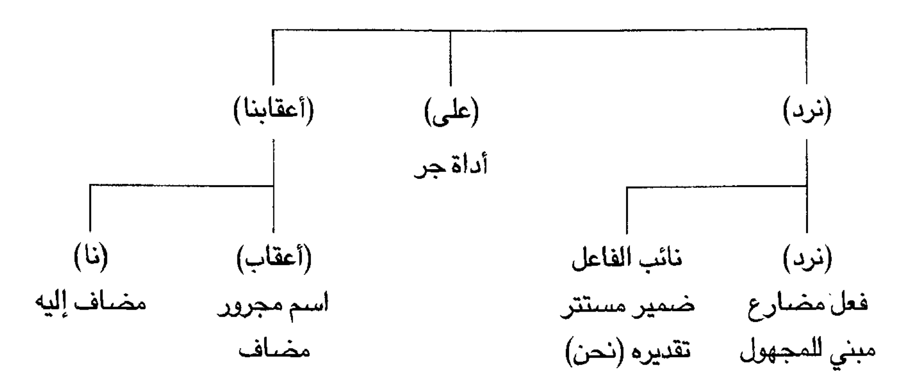
(*) ومثله جاء في سورة الأنعام: ٥٨، يوسف: ٤١، مريم: ٣٩، هود: ٤٤.



فقد وقع الفعل المبني للمجهول (سقط) في سياق أجراه التعبير القرآني مجرى المثل، إذ نظمت على إيجاز بديع، وكناية واستعارة. فإن (اليد) تستعار للقوة والنصرة إذ بها يضرب السيف والرمح ولذلك حين يدعون على أنفسهم بالسوء يقولون (شلت من يدي الأنامل) وهي آلة القدرة قال تعالى ﴿ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص:١٧]. ويقال: مالي بذلك يد أو: مالي بذلك يدان، أي: لا أستطيعه، والمرء إذا حصل له شلل في عضد ولم يستطع تحريكه يحسن أن يقال: (سقط في يده ساقط)، أي: نزل به نازل. ولما كان ذكر فاعل السقوط المجهول لا يزيد على كونه مشتقاً من فعله ساغ أن تبنى فعله للمجهول، ومعنى (سقط في يده)؛ سقط في يده ساقط فأبطل حركة يده. إذ المقصود أن حركة يده تعطلت بسبب غير معلوم إلا بأنه شيء دخل في يده فصيرها عاجزة عن العمل. وفي ذلك كناية عن كونه قد فاجأه ما أوجب حيرته في أمره، كما يقال (فت في ساعده) وقد تضمنت الآية معنى (الندم) وتبين الخطأ لهم، فهو تمثيل لحالهم بحال من سقط في يده حين العمل؛ أنهم تبين لهم خطؤهم وسوء معاملتهم ربهم ونبيهم، فالندامة هي معنى التركيب كله وأما الكناية؛ فهي في بعض أجزاء المركب وهو سقط في اليد، وقال الزجاج: (هو نظم لم يسمع قبل القرآن ولم تعرفه العرب...)[1]. ومثله قوله عز وجل ﴿وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا﴾ [الأنعام: ٧١].

---

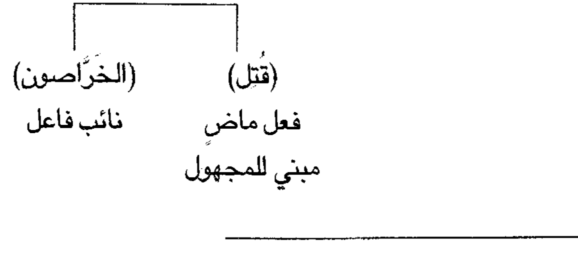
(١) التحرير والتنوير ٩: ١١٢.



(الرد): الإرجاع إلى المكان الذي يؤتى منه كقوله تعالى ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ [ص: ٣٣].

و (الأعقاب) جمع عقب وهي مؤخر القدم. يقال: رجع على عقبيه. وعلى عقبه، ونكص على عقبيه، بمعنى: رجع إلى المكان الذي جاء منه لأنه كان جاعلاً إياه وراءه، فرجع[1] فيتمثل حاله بحال من رجع على عقبيه.

والفعل (نرد) فعل مضارع مبني للمجهول، وحذف الفاعل لأن سياق القول غير متعلق به فالقول الكريم (نرد على أعقابنا)؛ قريب مما جرى مجرى المثل: (يرد على عقبيه)؛ وهو تمثيل لحال المرتد إلى الشرك بعد أن أسلم بحال من خرج في أمر مهم فرجع على عقبيه ولم يقض ما خرج له. وهذا أبلغ في تمثل سوء الحال من أن يقال: (وترجع إلى الكفر بعد الإيمان). ومن الجمل الخبرية التي تضمنت معنى (الدعاء)، فجرى سياقها مجرى المثل قوله عز وجل ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ [الذاريات: ١٠].



---

(١) التحرير والتنوير ٧: ٣٠٠.

(الخراصون): الكذابون، وهم أصحاب القول المختلف. وقيل (الخرص): الظن الذي لا حجة لصاحبه على ظنه. وقد تضمن السياق دلالة الدعاء على هؤلاء (الخراصين) بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى: (لُعِن وقُبِّح)[1].

فالفعل (قتل) حين بني للمجهول، فحذف الفاعل، ليقوم المفعول به مقامه (نائباً عن الفاعل)، ويقصد بمثل هذا التركيب، الدعاء بالهلاك على أصحاب ذلك القول المختلف لأن المقصود بقتلهم (يهلكهم)، ولذلك يكثر أن يقال: قاتله الله. ثم جرى مجرى اللعن والتحقير والتعجب عن سوء أحوال المدعو عليه بمثل هذا[2].

ولأنها جملة دعاء، فلا تعطف لأنها شديدة الاتصال بما قبلها مما أوجب ذلك الوصف لدخولهم في هذا الدعاء، كما كان تعقيب الجمل التي قبلها إيماء إلى أن ما قبلها سبب الدعاء عليهم، وهذا من بديع الإيجاز ومثله قوله عز وجل ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ [البروج: ٤].

فإن تركيبه خبر وإن صيغته تشعرك بأنه إنشاء شتم لهم، شتم خزي وغضب وهؤلاء لم يقتلوا، فالفعل (قتل) ليس معناه بخبر، بل شتم – كما في الآية السابقة (قتل الخراصون). وقولهم (قاتلهم الله)؛ صدوره من الله يفيد معنى اللعن. ويدل على الوعيد، لأن الغضب واللعن يستلزمان العقاب على الفعل الملعون لأجله وقيل هو دعاء على (أصحاب الأخدود) بالقتل ومثله أيضاً قوله تعالى ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ [عبس: ١٧]. قال أهل التفسير (القتل؛ مستعار لأشد العذاب، لما يقال: أهلكه الله أي: أوقعه في أشد العناء، وقيل: (قُتِل) بمعنى (لُعِن).

وذهب الزمخشري إلى أن القول الكريم؛ (دعاء عليه وهذا من أشنع دعوائهم).

أي: فمورده غير مورد قوله عز وجل ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٣٠].

---

(١) الكشاف ٤: ٣٨٨.

(٢) التحرير والتنوير ٣٠: ١٢٠، ١٢١.

وقولهم: (قاتل الله فلاناً) يديرون التعجيب من حاله. وهذا أمر مرجعه للاستعمال ولا داعي إلى حملة على التعجيب، لأن قوله تعالى (ما أكفره) يغني عن ذلك. وأعلم أن الدعاء بالسوء من الله تعالى مستعمل في التحقيق والتهديد لظهور أن حقيقة الدعاء لا تناسب الإلهية لأن الله هو الذي يتوجه إليه الناس بالدعاء. وبناء (قتل) للمجهول متفرع على استعماله في الدعاء؛ إذ لا غرض في قاتل يقتله وكثر في القرآن الكريم استعمال (قُتِل) مبنياً للمجهول وقد اختص في عدة مواضع بدلالته على الدعاء عليه.

أما (ال) المقترنة بلفظ (الإنسان) فيجوز أن يكون التعريف بها تعريف الجنس فيفيد استغراق أفراد الجنس.

وقد يراد (ال) استغراق معظم الأفراد. أما جملة (ما أكفره) فهي تعليل لإنشاء الدعاء عليه دعاء التحقير والتهديد وهذا تعجب من شدة كفر هذا الإنسان.

فأنت ترى أن هذه الجملة بلغت نهاية الإيجاز، وأرفع مراتب الجزالة بأسلوب غليظ دال على السخط بالغ حد المذمة، جامع للملاحة، ولم يسمع مثلها قبلها فهي من جوامع الكلم القرآنية[1].

أما قوله تعالى ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [المدّثر١٩: ٢٠]. فإن الفعل (قتل) المبني للمجهول؛ احتفظ بدلالته على معنى (الدعاء عليه) بأن يقتله قاتل: أي: دعاء عليه بتعجيل موته، لأن حياته حياة سيئة. وهذا الأسلوب من الدعاء مستعمل في التعجب من حاله والرثاء له كقوله (قاتله الله)، وقولهم (عدمتك) و(ثكلتك أمك). وقد يستعمل مثله في التعجب من حسن الحال، فيقال: (قاتله الله ما أشجعه) وجعله (الزمخشري) كناية عن كونه بلغ مبلغاً يحسده عليه المتكلم ويدعو عليه

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠: ١٢٠، ١٢١.

حاسده بذلك[1]. ويبدو أن معنى (الحد) غير ملحوظ، وإنما ذلك مجرد اقتصار على ما في تلك الكلمة من التعجب أو التعجيب، لأنها صارت كالأمثال. وقوله (ثم قتل كيف قدر)؛ تأكيد لنظيره المفرغ بالفاء، والعطف بـ (ثم) يفيد أن جملتها أرقى رتبة من التي قبلها في الغرض المسوق له الكلام[2].

المسألة الخامسة: من فنونه الإعجاز البلاغي في أسلوب البناء للمجهول تَتضمَّن هذه المسألة عدة صور منها:

الصورة الأولى: التناسق بين الصيغ المبنية للمجهول في السياق الواحد،

من السمات البلاغية التي تميزت بها أساليب الإعجاز القرآني أن يتضمن السياق الكريم أكثر من صيغة مبنية للمجهول، تنتمي إلى مقاصد لغوية متناسبة. وتنطلق إلى أهداف دلالية متناسقة وتتنوع علاقات تلك الصيغ، فمنها .

النوع الأول: قد يكون تركيبها مبنياً على علاقات التناسب التي تحققها أداة العطف وبخاصة (الواو) في السياق الواحد.

النوع الثاني: قد يكون تركيب صيغ البناء للمجهول، متضمناً علاقات (التضاد) أو (المقابلة).

فمن النوع الأول...لهذه العلاقات قوله تعالى: **﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾** [هود: ٤٤].

(١) الكشاف ٤: ٦٤٩.

(٢) التحرير والتنوير ٢٩:٣٠٨.

تأمل الآية الكريمة فلو (فُتِّشَ كلام العرب والعجم ما وجد فيه مثل هذه الآية، على حسن نظمها وبلاغة وصفها، واشتمال المعاني فيها)[1].

قال أهل التفسير يقال: بَعُد بعداً، إذا أرادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت، ونحو ذلك...ولذلك اختص بدعاء السوء ومجيء أخباره على الفعل المبني للمجهول للدلالة على الجلال والكبرياء. فإن تلك الأمور العظام لا تكون إلا بفعل فاعل قادر. وتكوين مكون قاهر، وأن فاعلها فاعل واحد. لا يشارك في أفعاله، فلا يذهب الوهم إلى أن يقول غيره، ولا أن يقضي ذلك الأمر الهائل غيره، ولا أن تستوي السفينة على متن الجودي وتستقر عليه إلا بتسويته وإقراره.

وأنت ترى أن الأفعال المبنية للمجهول في الآية الكريمة جميعها جاءت (معتلة)، والفعل إما معتل الوسط (أجوف) مثل (قيل) و(غيض)، وإما معتل الآخر (ناقص) مثل (قضي)، قال أهل اللغة (إن بناء الفعل (قيل) للمفعول هنا اختصاراً لظهور فاعل القول لأن مثله لا يصدر إلا من الله عز وجل.

والقول هنا؛ أمر التكوين وخطاب الأرض والسماء بطريقة النداء وبالأمر؛ استعارة لتعلق أمر التكوين بكيفيات أفعال في ذاتيهما وانفعالهما بذلك كما يخاطب العاقل بعمل يعمله فيقبل امتثالاً وخشية. وإن قوله تعالى (وغيض الماء): مغن عن التعرض على كون السماء، أقلعت والأرض بلعت، وبني فعل (غيض) للنائب لمثل ما بني فعل (قيل) باعتبار سبب الغيض، أو لأنه فاعل له حقيقة، لأن خصومه حصول مسببٍ عن سبب و(الغيض) نضوب الماء في الأرض، المراد: الماء الذي نشأ بالطوفان زائداً على بحار الأرض وأوديتها، ثم قال تعالى (وقضي الأمر): فبني الفعل للمجهول وحذف الفاعل للعلم بأن فاعل هذا الفعل ليس غير الله تعالى[2]، فناب المفعول (الأمر) عن الفاعل. ثم تأمل ذلك التناسق الرائع في

---

(١) ينظر إعراب القرآن – للنحاس – ٢: ٢٨٦.

(٢) التحرير والتنوير ١٢: ٧٩.

بناء القول الكريم، فقد استهل بالفعل المبني للمجهول (قيل)، وختم القول بتكرار الفعل نفسه (قيل بعداً) ولا يخفى على المتأمل، روعة التجانس بن صوت الألفاظ ودلالالتها وبخاصة في لفظي (ابلعي ماءك) و(أقلعي...) ونقرأ في سورة (الغاشية) قوله عز وجل: ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧- ٢٠].

فنحن نرى أن الفعل (ينظرون) قد قيل بالكيفيات المعدودة في قوله تعالى (كيف) لزيادة التنبيه على إنكار هذا الإهمال لبراهين ساطعة شاخصة دالة على قدرة الله وعظمته. لذلك بنيت الأفعال الأربعة (خُلِقَت) و(رُفِعَت) و(نُصِبَت) و(سُطِحت) للمجهول، وحذف الفاعل للعلم به.

وكأن ذلك النسق العظيم قد اقتضى نظمها مبنية للمجهول. فجاءت منسجمة في مواضعها فإذا حاولنا تدبر القول الكريم تنبهنا إلى تركيبة قد استهل بهمزة الاستفهام (أفلا): ليفيد السياق معنى الاستفهام الإنكاري؛ أي: كأن السياق ينكر عليكم إهمال النظر في الحال إلى دقائق صنع الله في بعض مخلوقاته و(النظر) نظر العين المفيد الاعتبار بدقائق المنظر. وتعديته بحرف (إلى): تنبيه على معان النظر ليشعر الناظر مما في المنظور من الدقائق. فإن قولهم: (نظر إلى كذا) أشد في توجيه النظر من (نظر كذا) لما في (إلى) من معنى الانتهاء، حتى كأن النظر انتهى عند المجرور بـ (إلى) انتهاء تمكن واستقرار، كما قال تعالى ﴿فَإِذَا جَاء الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ [الأحزاب: ١٩]. وقوله عز وجل ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣].

وقد عدت أشياء أربعة هي من الناظرين عن كثب لا تغيب عن أنظارهم وعطف بعضها على بعض؛ فكان اشتراكها في مرآهم جهة جامعة بينها بالنسبة إليهم، فإنهم المقصودون بهذا الإنكار والتوبيخ. فالذي حسن اقتران (الإبل) مع (السماء) و(الجبال) و(الأرض) في الذكر هنا هو، أنها تنتظم في نظر جمهور العرب من أهل (تهامة والحجاز ونجد) وأمثالها من بلاد أهل الوبر والانتجاع.

(أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت): فالإبل: أموالهم ورواحلهم، ومنها عيشهم ولباسهم ونسج بيوتهم وهي حمالة أثقالهم وقد خلقها الله خلقاً عجيباً. ثم ينقلهم النظم الكريم إلى التدبر في عظيم خلق السماء (...وإلى السماء كفي رفعت) فهم ينظرونها نهارهم وليلهم في إقامتهم وظعنهم يرقبون أنواء المطر ويشيمون لمع البرق، ثم اتبع ذكر السماء بذكر الجبال (..وإلى الجبال كف خلقت) أي: كيف رفعت، وهي مع ارتفاعها ثابتة راسخة لا تميل. ثم نزل بأنظارهم إلى الأرض (وإلى الأرض كيف سطحت) فقد سطحها الله، أي: سواها الله بمعنى: خلقها ممهدة للمشي والجلوس والاضطجاع[1].

ونتوقف عند قوله عز وجل ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

قال أهل اللغة (المهاجرة: هي ترك الموطن، والمفاعلة فيها للتقوية أي: هاجروا الشرك والأوطان والعشائر. إلى (بلاد الحبشة) وإلى (المدينة). وقد جاء الفعل (هاجروا) مبنياً للمعلوم، ليصرح (بتعداد بعض أحاسن أفراده على وجه المدح والتعظيم..)[2]. ثم عطف قوله تعالى (وأخرجوا) وهو مبني للمجهول – و(واو) الجماعة نائب فاعل – على (هاجروا) لتحقيق معنى المفاعلة في هاجروا وأخرجوا أي: (ألجئوا إلى الخروج) سواء بصريح القول أو بسوء معاملة المشركين بمعنى (الذين هجروا أوطانهم (فأخرجوا) من ديارهم في طاعة الله[3].

وعطف أيضاً (وأوذوا في سبيلي)؛ فالفعل (أوذوا) مبني للمجهول، كما وقع (واو) الجماعة نائباً عن الفاعل. أي: بسبب إيمانهم بالله ومن أجله (أصابهم الأذى قبل الهجرة وبعدها) من قبل المشركين ثم جاء قوله عز وجل (وقاتلوا وقتلوا)

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠: ٣٠٦ (بتصرف).
(٢) تفسير أبي السعود ٢: ١٣٤.
(٣) التحرير والتنوير ٤: ٢٠٤.

فجمع بين صيغة المعلوم (قاتلوا) وصيغة المبني للمجهول، إشعاراً بأن للقسمين ثواباً، ومعنى (قتلوا): استشهدوا في القتال. وأعلم أن قراءة الجمهور (وقَاتَلوا وقُتِلوا)؛ وحجتهم في هذه القراءة أن الله تعالى بدأ بوصفهم بأنهم أحياء ثم قتلوا بعد أن قاتلوا. وبعد ألا ترى أن مجيء الأفعال (أخرجوا) و(أوذوا) و(قتلوا) مبنية للمجهول فحذف الفاعل، إشعاراً بإهماله وتصغيراً لشأنه (أخرجوا) (أوذوا) و(قتلوا) فتناسقت هذه الدلالات مع مجيء الفعل (هاجروا) والفاعل (قاتلوا) المبنيين فصرح بالفاعل تشريفاً وتكريمً لهؤلاء المهاجرين (لأكفرن عنهم سيائتهم)، ولا تنفرد (الواو) بوظيفة التناسب أو الترابط، بل قد تؤديها أدوات أخرى مثل: (الفاء) كما في قوله عز وجل: **﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾** [الحديد: ١٣]. فالفعل (قيل) جاء بصيغة المجهول، وعطف بعده بالفاء، الفعل المعلوم (التمسوا) والفعل المبني للمجهول (ضرب)، ومثل (أو) كما في قوله تعالى: **﴿ مَتَاب وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل لِّلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا﴾** [الرعد ٣٠: ٣١].

ومعنى الآية (لو أن كتاباً من الكتب السالفة اشتمل على أكثر من الهداية فكانت مصادر لإيجاد العجائب، لكان هذا القرآن كذلك، ولكن لم يكن قرآن كذلك فهذا القرآن لا يتطلب منه الاشتمال على ذلك إذ ليس ذلك من سنن الكتب الإلهية ويفيد ذلك معنى تعريضياً بالنداء عليهم، بنهاية ضلالتهم إذ لم يهتدوا بهدي القرآن الكريم)[1].

فأنت ترى أن السياق الكريم قد انتظمت فيه ثلاث صيغ مبنية للمجهول؛ (سيرت) و(قطعت) و(كلم) فتناسق موقعها في تركيب الشرط المصدر بـ (لو) وإذا أنعمت النظر في القول الكريم، أدركت ارتقاء دلالياً فيما تضمنته كل صيغة من

---

(١) التحرير والتنوير ١٣: ١٤٣.

مضمون حدث عظيم لا يقدر عليه إلا الله فـ (..لله الأمر جميعاً). ثم كأن التذييل بالقول الكريم قد عوض عن حذف جواب (لو) أو كما يقول علماء اللغة – حذف جواب (لو) لدلالة المقام عليه، وحذف جواب (لو) كثير في القرآن الكريم والتقدير (لو أن قرآناً أمر الجبال أن تسير والأرض أن تتقطع والموتى أن تتكلم لكان هذا القرآن بالغاً ذلك، ولكن ذلك ليس من شأن الكتب..وفي تضعيف الأفعال الثلاثة المبنية للمجهول ما لا يخفى من المبالغات في الأحداث وتهويلها. ومثله قوله تعالى ﴿إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣].

فالأفعال الأربعة (يقتلوا) (يصلبوا) (تقطع) (ينفوا) جاءت، مضعفة مبنية للمجهول وحذف الفاعل، فناب (واو) الجماعة عنه. وقد حقق انتظامها بهذا التناسب الرائع، المبالغة في (دلالة إيقاع الأحداث من دون لين ولا رفق، تشديداً عليهم...)[1].

ومثله قوله عز وعلا ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ﴾ [آل عمران: ١٢]. فالفعلان (تغلبون) و(تحشرون) مبنيان للمجهول. ومعنى القول الكريم (خطاب للكافرين وهو ظاهر، بقصد تخويفهم وإعلامهم أن الله سينصر دينه، وقد أراكم ذلك مثالاً بما جرى لمشركي قريش من الخذلان والقتل والأسر. وقيل: الخطاب لليهود، تخويفاً لهم. والمقام هنا للمحاجة. فأعقب الإنذار والوعيد بإقامة الحجة[2] والسين المقترنة بالفعل (تغلبون) تؤكد وقوع حدثي الفعلين (تغلبون) تؤكد وقوع حدثي الفعلين (تغلبون) و(تحشرون) في المستقبل. وقد حذف

---

(١) التحرير والتنوير ٦: ١٨٣.
(٢) البحر المحيط ١: ٤١٠.
التحرير والتنوير ٣: ١٧٦.

فاعلهما، وقال تعالى ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً﴾ [الأحزاب: ٦١]. فقد أعقب اسم الزمان (أينما) المتضمن معنى الشرط؛ ثلاثة أفعال مبنية للمجهول (ثقفوا) و(أخذوا) و(قتلوا)، وناب (واو) الجماعة عن الفاعل و(الثقف) الظفر والعثور على العدو من دون فصل. و(أخذوا)؛ أمسكوا، والأخذ: الإمساك والقبض أي: أسروا و(التقتيل) مصدر مؤكد لعامله، أي: قتلوا قتلاً شديداً، لا يفلت منه أحد و(القتيل): قوة القتل[1] قرأ قوله عز وجل ﴿رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨] فقد جاء الفعلان (ردوا) و(نهوا) مبنيين للمجهول. وقع الأول فعلاً لجملة الشرط المصدر بـ (لو)، أما الثاني (نهوا) فقد وقع في جواب الشرط المصدر بـ (لام) التوكيد. وتتنوع فنون التناسب بين الصيغ المبنية للمجهول في سياق واحد؛ تأمل قوله عز وجل ﴿ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾ [غافر: ١٢]. فقد تضمن القول الكريم تركيبين شرطيين؛ الأول: تصدرته (إذا) التي استعملت في الدلالة على الزمان الماضي؛ لأن دعاء الله واقع في الحياة الدنيا؛ وكذلك كفرهم بوحدانية الله، فالدعاء الذي مضى مع كفرهم به كان سبب وقوعهم في العذاب؛ ويغلب في شرط (إذا) تحقق وقوعه، إشارة إلى أن دعاء الله وحده أمر محقق بين المؤمنين، لا تخلو عنه أيامهم ولا مجامعهم مع ما تفيد (إذا) من الرغبة في حصول مضمون شرطها.

وقد جاء الشرط (دعى) مضارعاً مبنياً للمجهول، أما فعل الجواب (كفر) فقد وقع بصيغة الماضي للمعلوم. أما التركيب الشرطي الثاني (وإن يشرك به تؤمنوا)؛ فقد جاء فعلاه بصيغة المضارع (يشرك)، (تؤمنوا)، لكن الأول استعمل مبنياً للمجهول، أما الثاني فقد احتفظ بصيغة المعلوم. وأنت ترى أن تركيب الشرط قد آثر (إن) التي أصلها عدم الجزم بوقوع شرطها أو (شرطها أمر مفروض مع أن الإشراك محقق تنزيلاً للمحقق منزلة المشكوك المفروض للتنبيه على أن دلائل

---

(١) التحرير والتنوير ٢١: ١١٠.

بطلان الشرك واضحة بأدنى تأمل وتدبر، فنزل إشراكهم المحقق المفروض، لأن المقام مشتمل على ما يقلع مضمون الشرط من أصله، فلا يصلح إلا لفرضه على نحو ما يفرض المعدوم موجوداً أو المحال ممكناً)[1]. وقد يكون التناسب من دون أداة عطف، كما في قوله تعالى ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ [فُصِّلَت: ٤٣]. فالقول الكريم، تسلية للنبي (ﷺ) بطريق الكناية. وأمر له بالصبر على ذلك كما صبر قبله من الرسل بطريق التعريض وفي التعبير بـ (ما) الموصولة، وفي حذف فاعل القولين في قوله عز وجل: (ما يقال) (ما قد قيل) نظم متين حمل هذين المعنيين العظيمين وتناسب ذلك مع إيثار صيغة المبني للمجهول (يقال) (قيل)، ويبدو أن قوله تعالى (إلا ما قيل): تشبيه بليغ والمعنى: إلا مثل ما قد قيل للرسل و(اجتلاب المضارع في قوله عز من قائل (ما يقال)، لإفادة تجدد هذا القول منهم وعدم إرعوائهم عنه مع ظهور ما شأنه أن يصدهم عن ذلك، واقتران الفعل المبني للمجهول قيل بـ (قد) لتحقيق أنه قد قيل للرسل مثل ما قال المشركون للرسول (ﷺ) فهو تأكيد لازم الخبر وهو لزوم الصبر على قولهم[2].

الصورة الثانية: استعمال صيغ البناء للمجهول في سياقات متعددة

تتضمن علاقات (التضاد) أو (المقابلة). ويكثر هذا النوع في مشهدين متقابلين أو حالتين متضادتين إذا ذكرت الأولى استحضر الذهن الثانية سريعاً، فإذا ذكرت تحقق توكيد كل حالة واستحضارها؛ وتأتي في مقدمة هذه المشاهد، ما يتعلق بيوم القيامة؛ من ذلك قوله عز وجل: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُود وَلَهُم مَّقَامِعُ

---

(١) التحرير والتنوير ٣: ٩٩.

(٢) المصدر نفسه ٢٣: ٣١٠.

مِنْ حَدِيدٍ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ [الحج ١٩: ٢٤].

فأنت ترى أن الآي الكريم تضمن مشهدين متقابلين، يقع كلاهما يوم البعث والحساب وقد بادر السياق بإيثار صيغة الماضي المبني للمجهول (قطعت) ليدل على أن الأحداث واقعة لا محالة، بل كأنها – لتأكيد وقوعها – قد وقعت فعلاً.

ثم جاءت صيغ المضارعة المبنية للمجهول، لتصف أحوالهم، ولتدل على تجدد الوقوع واستمرار الحدوث، وهي (يصب) و(يصهر) (أعيدوا) (يحلون). وقد سلك السياق الكريم مسلك المقابلة بين تلك الأحداث والأحوال، فجاء قوله عز وجل (يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات) مقابلاً قول تعالى (كلما أرادوا أن يخرجوا من غمَّ أعيدوا فيها) أما قوله عز من قائل (يحلون فيها من أساور من ذهب) فإنه يقابل قوله تعالى (يصب من فوقهم رؤوسهم الحميم) كذلك قوله عز وعلا (ولباسهم فيها حرير) يقابله قوله تعالى (قطعت لهم ثياب من نار) و(التقطيع): مبالغة القطع، وهو فصل بعض أجزاء شيء عن بقيته. والمراد: قطع شقة الثوب، فجاءت صيغة الشدة في القطع، للإشارة إلى السرعة في إعداد ذلك لهم فيجعل لهم ثياب من نار وقوله عز وجل (وهدوا إلى الطيب من القول) مقابل (وذوقوا عذاب الحريق) فإنه من القول النكر[1]. ثم نقرأ في سورة (الزمر) قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ * قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٧١ - ٧٢].

---

(١) التحرير والتنوير ١٧: ٢٣١.

فقد ابتدى النص الكريم بذكر خبر مستحقي العقاب، فتصدر القول، الفعل الماضي (سيق) المبني للمجهول، لأن الأهم في هذا المقام إعادة الموعظة والترهيب للذين لم يتعظوا بما تكرر في القرآن من العظات، وحذف الفاعل فناب الاسم الموصول (الذين) عن الفاعل المحذوف. ومعنى (السوق) أن يكون الماشي سائراً وراء من يلازمه و(السوق) إشعار بالإزعاج والإهانة، قال عز وجل ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ﴾ [الأنفال: ٦]. و(الزمر) جمع زمره، وهي الفوج من الناس المتبوع بفوج آخر. و(حتى): ابتدائية، و(إذا) ظرف لزمان المستقبل، لم يتضمن معنى الشرط هنا، أي: سيقوا سوقاً ملازماً لهم بشدته، متصلاً بزمن مجيئه إلى النار. وقد تصدر عبارة (حتى إذا...)، الفعل الماضي (فتحت) المبني للمجهول - بقراءة الجمهور - وناب عن الفاعل المحذوف، المفعول (أبوابها)، أي: فلما جاؤوها فتحت أبوابها؛ ونتابع القراءة في سورة (الزمر) إذ يقول تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزُّمَر: ٧٣].

فأنت ترى أن تركيبي الآيتين (٧١، ٧٢)، قد تماثلا في الفعل المبني للمجهول (سيق) وحذف الفاعل، وإنابة الاسم الموصول (الذين) عن الفاعل المحذوف، وكما تلت الآيتان أيضاً في عبارة (زمراً حتى إذا جاؤوها)، أما قوله عز وجل (وفتحت أبوابها) فهو جملة حالية، وقد أسند الفعل المبني للمجهول (فتحت) إلى نائب الفاعل (أبوابها) أي: حين جاؤوها وقد فتحت أبوابها، فوجدوا الأبواب مفتوحة على ما هو الشأن في استقبال أهل الكرامة. أي: (خلتهم الملائكة الموكولون بإصفافهم حتى زمن مجيئهم عند أبواب الجنة أي: كان حالهم كحال من يهدي العروس إلى بيتها فإذا أبلغها بابه خلى بينها وبين بيتها)[1]. ومثله قوله تعالى ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [الشعراء ٩٠: ٩١]. فقد تضمن القول

(١) التحرير والتنوير ٢٤: ٧٢.

الكريم تركيبين متقابلين. تصدر كل تركيب فعلاً ماضياً مبنياً للمجهول الأول هو (أزلفت)، والأزلاف: التقريب والمعنى: أن المتقين يجدون الجنة حاضرة فلا يتجشمون مشقة السوق إليها. وتصدر التركيب الثاني فعلاً ماضياً مبنياً للمجهول أيضاً (وبرزت) وقد جاء مضعفاً لإفادة المبالغة، و(الغاوون): المشركون الضالون، الموصوفون بالغواية. (فإنهم سيعرضون على الجحيم)، فيذوقون عذابها، وينكشف ما لم يدركوه وما كان مستوراً. ومثله قوله تعالى **﴿وَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾** [آل عمران: ١٣١]. وقال عز وجل في الآية التي أعقبت: **﴿...وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾** [آل عمران: ١٣٣].

وقد تضمن السياق الكريم مشهدين متقابلين من مشاهد يوم القيامة وتكرر الفعل (أعدت)؛ مبنياً للمجهول في المشهدين، فقال عز وجل في وصف (النار) أنها (أعدت للكافرين). فإذا كان في لفظ (الإعداد) تحذير وتنفير من النار، وما يوقع فيها بأنها معدودة للكافرين فإن المشهد المقابل، يبرز سياقه صورة (الجنة) في جملة (أعدت للمتقين) أي: كأن في ذكر (الجنة) عقب ذكر (النار) الموصوفة بأنها (أعدت للكافرين) يثير في نفس السامعين أن يعرفوا من الذين أعدت لهم، فيكون ذلك مقابل قوله تعالى **﴿وَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ...﴾**. ومثله قوله تعالى **﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ﴾** [آل عمران: ١٨٥]. فإن معنى (زحزح): أبعد، وحقيقة فعل (زحزح) أنها جذب بسرعة وهو مضاعف (زحة عن المكان) إذا جذبه بعجلة. قال الشيخ الطاهر بن عاشور (إنما جمع بين (زحزح عن النار) و(أدخل الجنة) مع أن في الثاني ما يغني عن الأول، للدلالة على أن دخول الجنة يشمل على نعمتين عظيمتين النجاة من النار، والدخول في نعيم الجنة[1].

---

(١) التحرير والتنوير ٣: ١٨٨-١٨٩.

ونتأمل في سورة الإنسان وصفاً لأحد مشاهد أهل الجنة، فيقول تعالى **﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾** [الإنسان: ١٧].

فـ (الطوف): المشي حول الشيء، ومنه (الطائف): لمن يدور حول البيوت حافظاً يقال: طاف به، يطوف[١].

وقد استعمل الفعل (يطاف) في وصف حال أهل الجنة مبنياً للمجهول في (ثلاثة) مواضع[*] فجاء نائب الفاعل (شبه الجملة). ثم نقرأ في سورة (الإنسان) قوله تعالى **﴿قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾** [الإنسان: ١٧]. فالفعل (يسقون) جاء مضارعا متعدياً مبنياً للمجهول. وقد أتبع وصف الآنية ومحاسنها بوصف (الشراب) الذي يحويه وطيبه. فالكأس (كأس الخمر ولا تسمى آنية الخمر كأساً إلا إذا كان فيها خمر، فكون الخمر فيها هو مصحح تسميتها كأساً ولذلك حسن تعدية فعل السقي إلى (الكأس) لأن مفهوم الكأس يتقوم بما في الإناء من الخمر. ومعنى الآية: أن هذه سقية أخرى، أي مرة يشربون من كأس كان مزاجها الكافور[**]، ومرة يسقون كأساً مزاجها الزنجبيل)[٢].

فقد تكرر بناء الفعل (يسقون) للمجهول، إشعاراً للقارئ بأنهم (مخدومون يخدمهم مخلوقات لأجل ذلك في الجنة، وذلك من تمام الترفة ولذة الراحة)[٣].

ويدلنا الفعل (يسقى) إلى أن نتأمل المشهد المقابل في مواضع أخرى في القرآن الكريم فنقرأ في سورة (إبراهيم) قوله عز وجل **﴿وَاسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ**

---

(١) المفردات في غريب القرآن: ٣١١.

(❖) تقدم الحديث عن مثل هذا التركيب ص ١٨.

(❖❖) قال تعالى **﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾** [سورة المطففين: ٢٥].

(٢) المفردات في غريب القرآن ٢٩: ٣٤٥.

(٣) المصدر نفسه ٣٠: ٢٠٥.

﴿جَبَّارٍ عَنِيدٍ مِّن وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَّاء صَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥- ١٦]. فقد جاء الفعل (يسقى) مضارعاً، ليدل على الدوام، ومبنياً للمجهول لأن الغرض لا يتعلق بذكر الفاعل، ومعطوفاً على جملة (من ورائه جهنم) لأن السقي من الصديد شيء زائد على نار جنهم و(الصديد) المهلة أي: مثل الماء يسيل من الدمل ونحوه وجعل الصديد (ماء) على التشبيه البليغ في الإسقاء، لأن شأن الماء أن يسقي والمعنى (ويسقى صديداً عوض الماء إذا طلب الإسقاء)[1].

ونقرأ في سورة (التوبة) موضعاً آخر يصور مشهداً من أحوال فريق من أصحاب النار إذ يقول تعالى.. ﴿... وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة ٣٤: ٣٥].

القول الكريم يعرض مساوئ أقوام رفعهم الناس لأجل أموالهم، فيبين الله أن تلك الأموال إذا لم تنفق في سبيل الله لا تغني عنهم شيئاً من العذاب. وتقدم الآية الكريمة تفصيلاً لذلك العذاب؛ فـ (الحمي): شدّ.

وتقدم الآية الكريمة وصفاً لذلك العذاب، فيأتي قوله تعالى (يوم يحمى عليها في نار جهنم). و(الحمي): شدة الحرارة، يقال حمي الشيء إذا اشتد حره. و(يحمى) فعل مضارع؛ للدلالة على تجدد الحالة، وهو مبني للمجهول لعدم تعلق الغرض بالفاعل، فكأنه قيل: (يوم يحمى الحامون عليها) وأسند الفعل (يحمى) المبني للمجهول إلى المجرور. لعدم تعلق الغرض بذكر المحمي لظهوره، إذ هو (النار) التي تحمى ولذلك لم يقرن بعلاقة التأنيث، عُدّي بـ (على) الدالة على الاستعلاء المجازي لإفادة أن (الحمي) تمكن من الأموال بحيث تكسب حرارة المحمي كلها وضمير (عليها) عائد إلى (الذهب) و(الفضة)، أو عائد إلى (أموال

---

(١) التحرير والتنوير ١٣: ٢١١.

الناس) و(الذهب والفضة) ثم أكد معنى التمكن بمعنى الظرفية التي في قوله (في نار جهنم) فصارت الأموال محمية عليها النار، وموضوعة في النار. وبإضافة (النار) إلى (جهنم)، علم أن المحمي هو (نار جهنم) التي هي أشد ناراً في الحرارة. فتأمل ذلك التركيب البديع في البلاغة والمبالغة، والإيجاز. وتأمل دلالة الرعب والتهويل في وصف ذلك المشهد العظيم. ثم نتابع قراءة القول الكريم: ﴿... فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ [التوبة: ٣٥].

و(الكي): وضع الجمر أو أي شيء مشتعل على الجلد، و(يكوى) فعل مبني للمجهول، حذف الفاعل لعدم تعلق الغرض بالفاعل و(الحياة) جمع جبهة، وهي أعلى الوجه مما يلي الرأس، و(جباههم) وما عطف عليها، ناب عن الفاعل، و(الجنوب) جمع (جنب) وهو جانب الجسد من اليمين واليسار. والمقصود: تعميم جهات الجسد بالكي، لأن تلك الجهات متفاوتة ومتخلفة في الإحساس بألم الكي، فيحصل مع تعميم الكي إذاقة لأصناف من الآلام. وقد سلك السياق الكريم أسلوب لمواضع العذاب لاستحضار حالة ذلك العقاب الأليم، تهويلاً لشأنه، فلذلك لم يقل: فتكوى بها أجسادهم[1].

وتتنوع السياقات التي تقع في تركيبها الصيغ المبنية للمجهول المتضمنة علاقات التضاد أو المقابلة، ومنها قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٨- ١٩]. ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٥].

فتأمل هذا المشهد العظيم الذي تفصح عن زمن حدوثه لفظه (يومئذ) أي: يوم البعث، فتعقبها لفظة (تعرضون) التي تتضمن إشارات لما سيقع في ذلك اليوم العصيب إذ يعرض الناس للحساب. وحذف الفاعل، لأن الغرض من السياق تركيز الأذهان على ما يكشف من أحوال. أما لفظة (أما) فكأنها تفتح باب كل

---

(١) ينظر/التحرير والتنوير ١٠: ١٧٩.

مشهد، فهي أداة تفصيل وشرط بمعنى (مهما يكن من شيء)، ومعنى الجملة هنا: مهما يكن من عرض فمن أوتي كتابه بيمينه فهو في عيشة راضية ودل القول على كلام محذوف للإيجاز تقديره. فيؤتى كل أحد كتاب أعماله (فأما من أوتي كتابه بيمينه) علامة على أنه إيتاء كرامة وتبشير، وجاءت جملة (فيقول هاؤم اقرؤوا كتابيه) جواباً لشرط (أما).

وقد تضمن القول الكريم عن حبور ونعيم بسبب إطلاقه على ما في كتاب أعماله من جزاء وثواب. والعرب يذكرون التناول باليمين كناية عن الاهتمام بالمأخوذ والاعتزاز به وأما قوله عز وجل ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ﴾فإنه قسيم (من أوتي كتابه بيمينه) وقد تضمن أيضاً (كناية أخرى تطوي معنى مضاداً لسابقه (فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه) أي: كناية عن أية صائر على العذاب فيتمنى أن لا يكون علم بذلك إبقاء على نفسه من حزنها زمناً فإن ترقب السوء عذاب)[1]. ومن فنون هذا النوع الذي كثرت شواهده في القرآن الكريم فنَقْرَأ مثلاً في مستهل سورة (المائدة) ومنها قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١].

ونتابع القراءة، إذ يقول عز وجل، في السورة نفسها: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ﴾ [المائدة: ٣]. ففي الآية الأولى من سورة (المائدة) جاء في قوله تعالى (أحلت لكم بهيمة) ثم استثنى أشياء مما أحله من هذه الأنعام فقال عز وجل (إلا ما يتلى عليكم). وفي الآية الثالثة من السورة نفسها: ذكر الله تلك الصورة المستثناة من هذا العموم وهي أحد عشر شيئاً، جاء بيانها في هذه الآية. وإذا تأملت القول الكريم، لاحظت أن الآية الأولى (استئناف بياني ناشئ عن قوله عز وجل (أُحِلَّت لكم بهيمة الأنعام)، فهو بيان لما ليس بحلال من الأنعام ومعنى تحريم

---

(١) التحرير والتنوير ٢٩: ١٣٥.

هذه المذكورات تحريم أكلها لأن المقصود من مجموع هذه المذكورات هنا وهي أحوال من أحوال الأنعام تقتضي تحريم أكلها. قال أبو حيان (...ولما أمر الله تعالى بأكل الحلال في الآية السابقة، فَصَّل في الآية الثالثة أنواع الحرام، وأسند التحريم إلى الميتة، والظاهر في المحذوف هو (الأكل، أي: أن الممنوع هنا هو الأكل، وهكذا حذف المضاف، فقدر بما يناسب)[1]. أي: (يقدر في جميع ذلك مضاف يدل عليه السياق – أو يقال: أقيم اسم الذات مقام الفعل المقصود منها المبالغة، فإذا تعين ما تقصد له قصراً التحريم والتحليل على ذلك)[2]. وأنت تلاحظ أيضاً أن النظم الكريم قد تضمن أمرين متضادين الأول (التحليل) والثاني التحريم، وكلاهما جاء مبنياً للمجهول، وقد سبق الفعل (أحل) الفعل (حرم) وهذا منهج العبارة القرآنية[*]. كما في قوله تعالى ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِيَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المائدة: ٩٦]. فقد تم السياق الكريم الفعل (أحل) مبنياً للمجهول وحذف الفاعل لأنه معلوم للجميع فناب (صيد البحر) عن الفاعل، و(الصيد) بمعنى (المصيد) أي: أحل لكم مصيدات البحر مما يؤكل وما لا يؤكل، وقد وقع الفعل (حُرّم) ماضياً مبنياً للمجهول، وفاعله محذوف و(صيد البر) نائب فاعل، أي: أن الفعل (حرم) قد ماثل الفعل (أحل) في التركيب، لكنه تصدر السياق لبقائه في الدلالة، وقد (ذكر الله تعالى تحريم الصيد على (المحرم) في ثلاثة مواضع من هذه السورة (المائدة)..

الأول: ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ [المائدة: ١].

الثاني: ﴿لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ [المائدة: ٩٥].

الثالث: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ [المائدة: ٩٦]. فإن الله تعالى كرر

---

(١) البحر المحيط ١: ٦٦٠.

(٢) التحرير والتنوير ٢: ١٢٥.

(❖) (أحل) ثم (حرم): البقرة:٢٧٥، آل عمران: ٥٠–٩٣، المائدة: ٨٧. التحريم: ٦٦، الأعراف: ١٥٧.

تحريم الصيد على المحرم هكذا تغليظاً لحكمه. وقد احتفظ السياق في مواضع كثيرة بتقديم رتبة الفعل (أحل) على الفعل (حرم). ومنها قوله تعالى ﴿وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥] . ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ﴾ [آل عمران: ٩٣] . ﴿وَلأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠]. أما قوله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧]. ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم: ١].

فقد احتفظ بالدلالة نفسها، فقوله (لا تحرموا الطيبات) (لم تحرم) أي هي حلال من ربكم. ونتأمل قوله عز وجل ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلاَ يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ...﴾ [فاطر: ١١]. فقد جاء الفعل المضارع (يعمر) المضعف مبنياً للمجهول و(التعمير): جعل الإنسان عامراً، أي: باقياً في الحياة، فإن العمر هو مدة الحياة يقال: عمر فلان، كـ (فرحِ) و(نصر) و(ضرب) إذا بقي زماناً. فمعنى: (عَمَّر): بالتضعيف، جعله الله باقياً مدة زائدة على المدة المتعارفة في أعمار الأجيال، ولذلك قوبل بالنقص من العمر. ولذلك لا يوصف بالتعمير صاحبه إلا بالمبني للمجهول فيقال: عمر فلان فهو معمر)[1]. وقد ناسب هذا الفعل (يعمر) المبني للمجهول أن يقابله فعل مضارع مبني للمجهول (ينقص)، وقد حذف الفاعل في الموضعين، لأنه معلومَ للجميع، فهو (الله) تعالى فما يعمر من أحدٍ ولا ينقص من عمره (إلا في كتاب لا يعلم به إلا الله عز وجل. ولأن الغرض من السياق تقرير المعنى الذي تضمنه، فقد آثر النظم الكريم أن يكون الفعلان (يُعَمَّر) و(ينقص) متقابلين في سياق واحد مؤكد بالحصر بالنفي بـ (ما) و(إلا) ونتوقف عند قوله عز وعلا ﴿فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ منها إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨]. فقد تقابل الفعل المبني للمجهول (أعطوا) ومنفية (لم يعطوا) في سياق واحد.

فقد (عرف المنافقون بالشح، ومن شحهم أنهم يودون أن الصدقات توزع

---

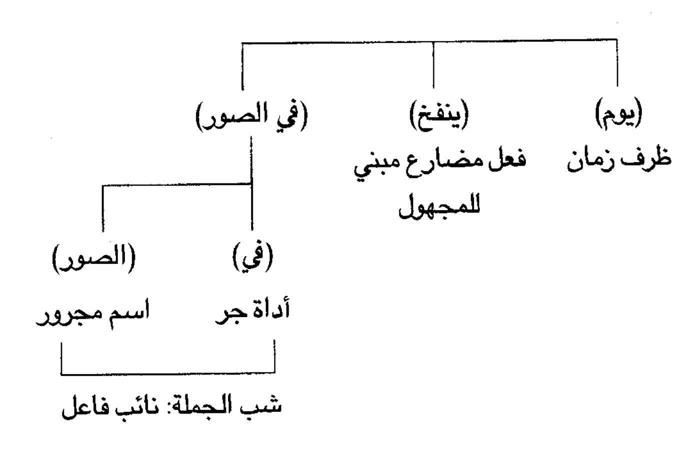
(١) التحرير والتنوير ٢٢: ٢٧٧.

علـيهم فـإذا رأوهـا علـى غيرهـم طعنـوا في إعطائهـا بمطـاعن يلقونهـا في أحاديثهم..)[1].

الصورة الثالثة: أسلوب المبني للمجهول في مشاهد يوم القيامة

مـن الظـواهر اللغويـة الـتي تـستوقف الباحـث، كثـرة مجـيء أسـلوب المبني للمجهول في السياق القرآني المتضمن مشاهد من يوم القيامة. فـإذا جـاء الفعل المبني للمجهول بصيغة المضارع سبقه في التركيب لفظ (يـوم) وهـو يـوم الحشر، للدلالة على أنه واقع لا محالة.

ومن ذلك قوله عز وجل ﴿يَوْمَ يُنفَخُ(*) فِي الصُّورِ﴾ [الأنعام: ٧٣].



وقد يأتي الفعل المبني للمجهول بصيغة الماضي(**)؛ في نوعين من التراكيب:

النوع الأول: تكون معطوفة بـ (الواو) – في الغالب –

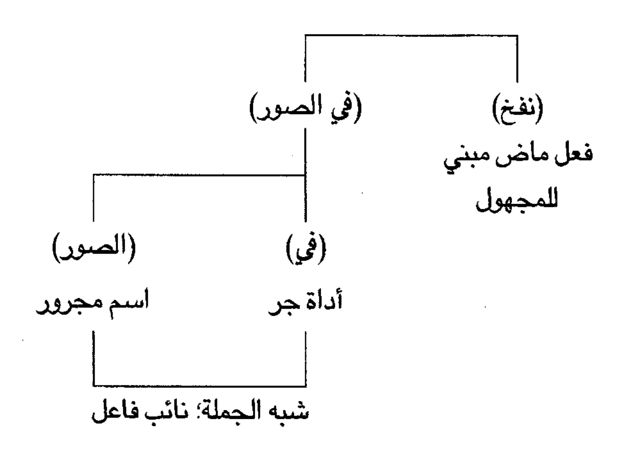
---

(١) المصدر السابق ١: ٢٣٢.

(❖) (ينفخ) في سورة النمل: ٧٨، النبأ: ١٨، وفي سورة طه: ١٠٢ في قراءة الجمهور.

(❖❖) (نفخ) في سورة الكهف: ٩٩، المؤمنون: ١٠١، يس: ٥١، الزمر: ٦٨، ق: ٢٠، الحاقة: ١٣.

كما في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ [الكهف: ٩٩].



فأنت ترى أن الفعل (يُنْفَخ) و(نُفِخَ) قد بني إلى النائب عن الفاعل؛ لعدم تعلق الغرض بمعرفة النافخ، وإنما الغرض؛ معرفة هذا الحدث العظيم وصوره حصوله[1].

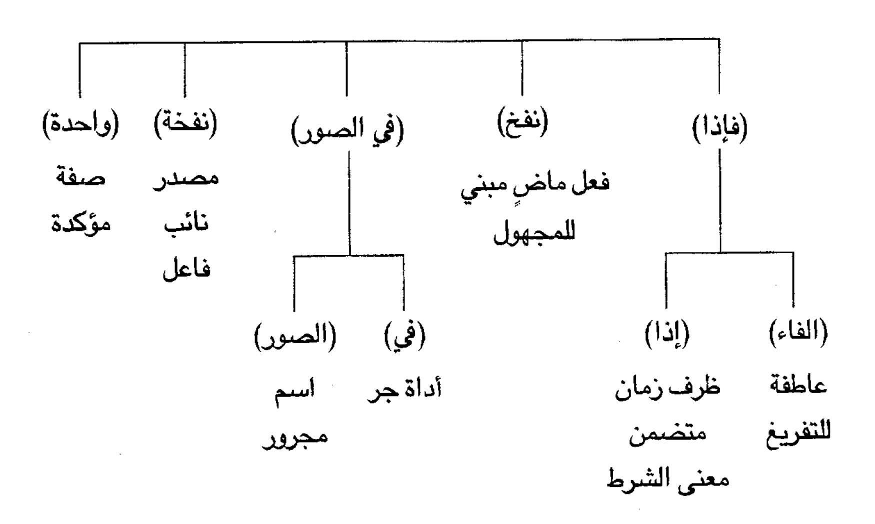
أي: أن الفاعل قد حذف لأن المعتنى به هو حدوث النفخ لا تعيين النافخ و(النفخ في الصور)؛ عبارة عن أمر التكوين بإحياء الأجساد للبعث و(الصور): البوق.. ينفخ فيه النافخ فيخرج منه الصوت قوياً لنداء الناس إلى الاجتماع، وأكثر ما ينادي به الجيش والجموع المنتشرة لتجمع إلى عمل يريده بالنفخ. ونتأمل قوله تعالى في سورة النمل ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ﴾ [النمل: ٨٧]. وقد يخطر في البال السؤال الآتي (لم قيل (ففزع) بصيغة (فعل) دون (يفزع)؟ والجواب: لنكتة، وهي الإشعار بتحقق الفزع وثبوته، وأنه كائن لا محالة واقع على أهل السموات والأرض. لأن الفعل الماضي يدل على

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠: ٣١، ٢٣: ٣٦.

وجود الحدث وكونه مقطوعاً به. والمراد فزعهم عند النفخة الأولى حين يصعقون. ومثل هذه النكتة تتحقق في سياق (نفخ) الماضي المبني للمجهول. في أكثر من موضع من القرآن الكريم، نحو قوله عز وجل: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ [ق: ٢٠]. فإن الفعل (نفخ) مستعمل في معنى المضارع الدال على المستقبل، أي: ينفخ في الصور. فصيغ له الماضي تنبيهاً على تحقق وقوعه مثل قوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١] والمشار إليه بذلك في قوله (ذلك يوم الوعيد) فالمقصود بأسلوب المبني للمجهول في مثل هذا (المشهد العظيم) وعظهم بالبعث الذي أنكروه وبما وراءه، ومثله أيضاً قوله تعالى ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

النوع الثاني: في مثل هذا التركيب يقع الفعل الماضي (نفخ) المبني للمجهول مسبوقاً بـ (إذا) ظرف الزمان، الذي قد يتضمن معنى الشرط في بعض مواضعه، ومنها قوله عز وجل.



فقد جاء فعل الشرط (نفخ) ماضياً مبنياً للمجهول، وحذف الفاعل للعلم به فأسند الفعل نفسه إلى (المصدر): نفخة، وحسن تذكير الفعل للفصل بين الفعل (نفخ) ونائب الفاعل (نفخة).

وحصل من ذكر (نفخة واحدة) تأكيد معنى النفخ، وتأكيد معنى الوحدة وقد تضمن التركيب كناية عن سرعة وقوع الواقعة. ثم كأن في قوله عز وجل (نفخ في الصور) إشعاراً ببداية ساعة البعث؛ قال أهل التفسير هو (عبارة عن أمر التكوين بإحياء الأجساد للبعث، مثل الإحياء بنداء طائفة الجند المكلفة بالأبواق لنداء بقية الجيش حتى لا يتأخر جندي عن الحضور إلى موضع المناداة. و(نفخة) – كما ذكرنا – مصدر (نفخ) مقترن بـ (هاء) دالة على المرة، أي: الواحدة فهو في الأصل مفعول مطلق، أو تقع على النيابة عن الفاعل للعلم بأن فاعل النفخ الموكل بالنفخ في الصور، وهو(إسرافيل). ووصف (نفخة) بـ (واحدة) للتنبيه على التعجيب من تأثر جميع الأجسام البشرية بنفخة واحدة دون تكرير تعجيباً عن قدرة الله ونفوذ أمره، لأن سياق الكلام من مبدأ السورة تهويل يوم القيامة[1].

وإذا تأملنا القول الكريم تنبهنا إلى دقيقة دلالية عظيمة، هي: أن تعداد أهوال هذا اليوم مقصود، فقد اقترن المصدر (نفخة) بالصفة (واحدة) فحصل بذلك تأكيد معنى النفخ، وتأكيد معنى الواحدة في حين لم يذكر وصف (واحدة) للفظ (دعوة) في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥]. ولأن تعداد أهوال هذا اليوم مقصود، أعقب بـ (نفخ في الصور) سياقات أهوالاً ومواقف عجيبة، فيقول تعالى ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٣-١٤].

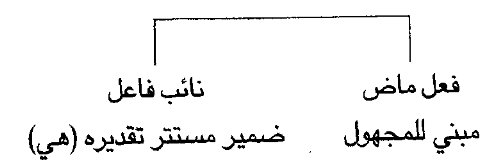
---

(١) التحرير والتنوير ٢٩: ٢٤.

فبني الفعلان (حملت) و(دكت)؛ للمجهول، فتناسق ذلك مع بناء الفعل (نفخ) للمجهول، لأن الغرض متعلق ببيان المفعول لا الفاعل. وفاعل تلك الأفعال، إما الملائكة أو ما أودعه الله من أسباب تلك الأفعال والكل بإذن الله تعالى وقدرته. وقال تعالى في سورة المدثر ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ [المدَّثر: ٩].

فقد أفصحت الفاء في قوله تعالى (فإذا نقر) فهي بسبب هذا الوعيد من الأمر بالإنذار في قوله عز وجل ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدَّثر: ٢]. أي: فأنذر المنذرين، وأنذرهم وقت النقر في الناقور، وما يقع يومئذ بالذين أنذروا فأعرضوا عن التذكرة، إذ (الفاء) يجب أن تكون مرتبطة بالكلام الذي قبلها. ويبدو أن أسلوب البناء للمجهول، يؤثره السياق القرآني لتصوير مشاهد يوم القيامة، لذلك يكثر استعماله في تجسيد تلك المشاهد ومنها قوله تعالى في سورة التكوير ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ وَإِذَا السَّمَاء كُشِطَتْ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١ - ١٤].

فأنت ترى أن التركيب النحوي الذي يغلب وقوعه في المواضع الكريمة السابقة على النحو الآتي: ظرف الزمان المتضمن معنى الشرط (إذا) + الاسم المرفوع؛ المسند إليه + المسند؛ جملة فعلية مبنية للمجهول.



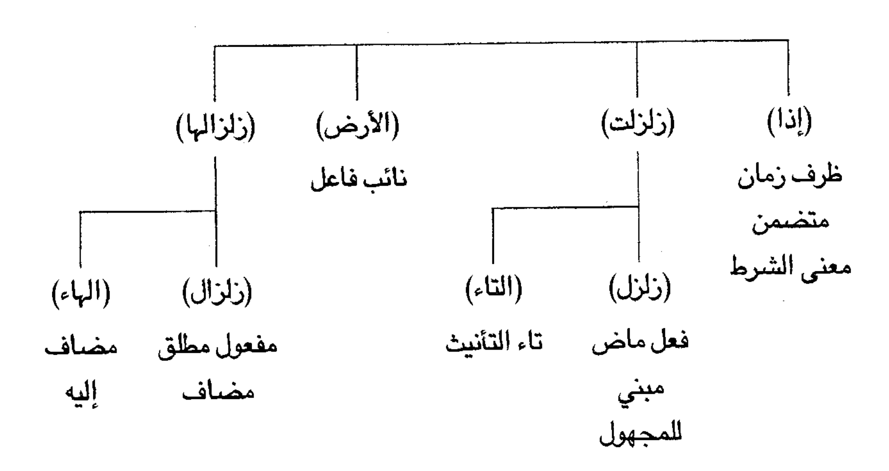
فالافتتاح بـ (إذا) مشوق، لأن (إذا) ظرف يستدعي متعلقاً، ولأنه أيضاً يتصدر شرطاً يؤذن بذكر جواب بعده، فإذا سمعه السامع ترقب ما سيأتي بعده،

فعندما يسمعه يتمكن من نفسه كمال تمكن، وخاصة بالإطناب بتكرار كلمة (إذا) بعد (واو) العطف في هذه الجمل المتعاطفة إطناب اقتضاه قصد التهويل، فالتهويل من مقتضيات الإطناب والتكرار. وفي إعادة م(إذا) إشارة إلى أن مضمون كل جملة من هذه الجمل مستقل بحصول جملة الجواب عند حصوله، فقد جعلت هذه الجمل شروطاً لـ (إذا) في هذه الآيات مفتتحة بالمسند إليه المخبر عنه بمسند فعلي دون كونها جملة فعلية، ودون تقدير أفعال محذوفة تفسرها المذكورة، وهذا يؤيد قول نحاة الكوفة بجواز وقوع شرط (إذا) جملة غير فعلية وهو الراجح، لأن (إذا) غير عريقة في الشرط، وهذا الأسلوب لقصد الاهتمام بذكر ما أسندت إليه الأفعال المبنية للمجهول التي يغلب أن تكون شروطاً لـ (إذا)، لأن الابتداء بها أدخل في التهويل والتشويق، وليفيد ذلك التقديم على المسند الفعلي، تقوي الحكم وتأكيده في جميع تلك الجمل رداً على إنكار منكريه، فلذلك قال تعالى: (إذا الشمس كورت)، ولم يقع القول: (إذا كورت الشمس) وصيغة الماضي في الجمل الواردة شروطاً لـ (إذا) مستعملة في معنى الاستقبال تنبيهاً على تحقيق وقوع الشرط.

ثم إن ذلك التقديم لصيغة الفعل المبني للمجهول، أفاد الاهتمام بتلك الأخبار المجعولة علامات ليوم البعث، والقصد من هذا الاهتمام، تحقيق وقوع البعث والقيامة، لأن المشركين قد أنكروه وكذبوا القرآن الذي أنذرهم به فكأن السياق آثر مثل هذه الصيغة (الماضي المبني للمجهول) للتنبيه على تحقق وقوعه، ونقرأ أيضاً في سورة الانفطار؛ قوله تعالى ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَت وَإِذَا السَّمَاء فُرِجَت وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَت وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَت﴾ [المرسلات ٨: ١١] .

فقد تكررت (إذا) في أوائل الجمل، معطوفة بـ (الواو) مع إغناء حرف العطف من إعادة (إذا)، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرَ وَخَسَفَ الْقَمَر وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَر﴾ [القيامة: ٩].

لإفادة الاهتمام بمضمون كل جملة من هذه الجمل ليكون مضمونها مستقلاً في جعله علامة على وقوع ما يوعدون. وبناء الأفعال (فجرت، بعثرت، طمست فرجت، نسفت، أقتت). بصيغة المبني للمجهول، لأن المقصود؛ الاعتبار بحصول الفعل لا بتعيين فاعله على أنه من المعلوم أن فاعله هو الله تعالى، إذ لا يقدر عليه غيره، ويبدو أن تقديم الاسم المرفوع على الخبر الفعلي في تركيب (إذا) الظرفية المتضمنة معنى الشرط اقتضى تكرارها معطوفة بـ (الواو) في المواضع السابقة، فلم يتقدم الاسم المرفوع على الفعل المبني للمجهول، كما في قوله تعالى، المتضمن أيضاً تصويراً لأحد مشاهد يوم القيامة، بقصد التهويل، بقول عز من قائل ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة:١]



(الزلزال): اضطراب الأرض، وهو مضاعف (زل) تضعيفاً يفيد المبالغة. قال بعض المفسرين (..(زلزلوا): طوفوا وحركوا، وقيل: أصل الزلزلة من زل الشيء

عن مكانته فإذا قلت: زلزلته، كررت زلله من مكانه، ومذهب سيبويه أن (زلزل) رباعي مثل (دحرج)[1].

وإنما (بني الفعل (زلزلت) بصيغة النائب عن الفاعل لأنه معلوم فاعله، وهو الله تعالى وانتصب (زلزالها) على المفعول المطلق المؤكد لفعله، وإشارة إلى هول ذلك الزلزال. فالمعنى: إذا زلزلت الأرض زلزالاً.

وأضيفت (زلزال) إلى (الهاء) ضمير (الأرض) لإفادة تمكنه منها وتكرره حتى كأنه عرف بنسبته إليها لكثرة اتصاله بها)[2].

قال أهل اللغة (يقال: زلزل فلان، مبنياً للمجهول تبعاً لقولهم: زلزلت الأرض إذ لا يعرف فاعل هذا الفعل عرفاً)[3].

ويغلب استعمال الفعل مبنياً للمجهول، فلم يرد في القرآن الكريم(*) إلا مبنياً للمجهول.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٣: ٣٨.

(٢) التحرير والتنوير ٣٠: ٤٩١.

(٣) المصدر نفسه ٢١: ٢٨٣.

(*) (زلزلوا): البقرة: ٢١٤، الأحزاب: ١١، (زلزلت): الزلزلة: ١.



الفصل الثاني

حذف الفاعل
في بناء المطاوعة



الفصل الثاني

حذف الفاعل في بناء المطاوعة

يتضمن هذا الفصل مبحثين:

المبحث الأول: أفعال المطاوعة في التراث اللغوي

المطاوعة: هي التأثير وقبول أثر الفعل في التعدي، وتستعمل في لازم ذلك، وهو: التلبس بمعنى الفعل تلبساً مكيناً، لأن شأن المطاوعة أن تكون بعد معالجة الفعل، فتقتضي (إفراغ) معنى الفعل في المفعول القابل له حتى يصير ذلك المفعول فاعلاً، فيقال: علمته الفقه فتعلمه، وفي اللزوم، كسرته فتكسر فالمطاوعة؛ هي التأثر وقبول أثر الفعل في التعدي.

قال أهل اللغة؛ وإنما قيل للمثل (انكسر) و(تكسر)؛ أنه مطاوع لأنه قبل الأثر، فكأنه طاوعه، ولم يمتنع عليه.

والفعل المطاوع في تركيب الجملة هو؛ المفعول به الذي صار فاعلاً، نحو: باعدت زيداً فتباعد، المطاوع هو (زيد) لكنهم سموا فعله المسند إليه (مطاوعاً) مجازاً.

أي: أن فائدة المطاوعة أن أثر الفعل يظهر على مفعوله، فكأنه استجاب له.

فـ (المطاوعة) تتحقق بدلالة أحد اللفظين المتلاقيين في الاشتقاق على التأثير في اللفظ الآخر وقبول اللفظ (الآخر) ذلك التأثير؛ نحو (كسرته، فانكسر)؛ فيسمى (كسرته) مطاوعاً – بفتح (الواو) – لأن الفعل الثاني طاوعه، ويسمى؛ (انكسر) مطاوعاً – بكسر الواو -؛ لأنه طاوع الأول، وقيل له مطاوع، لأنه لما قبل الأثر فكأنه طاوعه ولم يمتنع عليه، (المطاوعة)؛ سماعية، حقيقية في كل لفظ يصح منه الفعل: (جذبته فانجذب) ويشترط بالفعل المطاوع(*)، ما يأتي:

- كونه ثلاثياً: (أخذته فدخل)، وربما جاء من الفعل الرباعي (أزعجته فانزعج).
- كونه متعدياً، نحو (صرفته فانصرف) و(علمته فتعلم).
- لا يبنى فعل المطاوعة إلا من فعل يدل على علاج وتأثير؛ (كسرته فانكسر) وقد يبنى فعل المطاوعة من غير تلك الشروط (أنخت الجمل فبرك)[1].

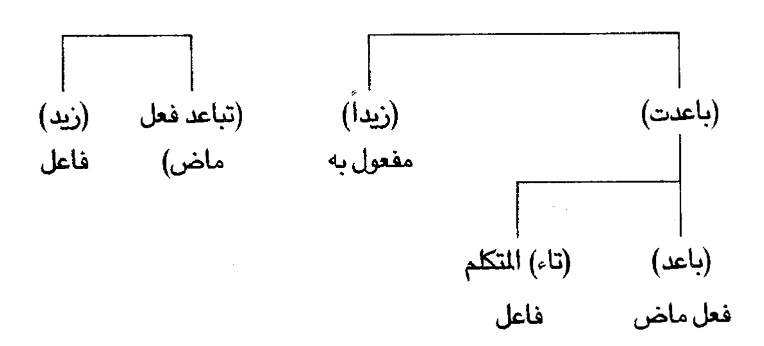
كذلك قد يجيء فعل المطاوعة من غير فعل مستعمل له: (انطلق وانقض)

وأعلم أن (الفاء) من (فعل) لا يجوز حذفها مع الفعل المطاوع إذا ذكر معه الفعل (دفعته فاندفع).

وبناء تركيب المطاوعة يقتضي (حذف الفاعل) ليحل في موضعه ما كان (مفعولاً به) فمثلاً تقولك (باعدتُ زيداً)، فـ (تباعد زيدُ).

(*) ذكرت مسائل (المطاوعة) منثورة في كتب (اللغة)، في أثناء الحديث عن صيغ الزيادة (والمجرد والمزيد) من الأفعال، ويطمح الدارس أن تجمع في مبحث واحد تعرض فيه إطار آراء علماء اللغة القدامى والمحدثين في هذه الظاهرة اللغوية ويخصص مبحث آخر، للدراسة التطبيقية في ضوء الشواهد القرآنية الكريمة.

(١) شرح الشافية ١: ١٠٣.



فأنت ترى أن مفعول الجملة الأولى (زيداً) صار في موضع الفاعل (زيد) ومثله إذا قلت: ألبسته الثوب فلبسه؛ وأقمته فأقام. ومعنى فأقام. ومعنى ذلك أن بناء المطاوع ينقص (مفعولاً) عن المطاوع، ليوضع بدلاً عن الفاعل المحذوف، وقد يتكلم بالمطاوع، وإن لم يكن معه مطاوع كقولك: انكسر الإناء، وانطلق زيد. وهنا نجد من المفيد أن نشير إلى أن المسموع عن العرب؛ أن (افتعل) يشارك (انفعل) في المطاوعة؛ (شويته فاشتوى وانشوى) بحيث يستغني عن (انفعل) بصيغة (افتعل) في المطاوعة، في كل فعل كانت (فاؤه، لاماً، نحو: لويته فالتوى، وذلك لتقارب المخارج إذ لا يجوز الجمع بين (نون) (انفعل) و(اللام)، لو قلنا (فانلوى) أو كانت (فاؤه) (راء) مثل: ردعته، فارتدع، أو كانت (فاؤه) (نوناً نحو: نقلته، فانتقل، ونهرته فانتهر، أو كانت (فاؤه) (ميماً) نحو: مددته فامْتَدَّ. واعلم أنه قد تتعدد صور بناء المطاوعة للفعل الواحد مثل: (فرَّقْتُ السيء فاتفرق وتفرق وافترق) و(فلقته فانفلق وتفلق)[1].

وأن أفعال المطاوعة قد تقع في السياق لإرادة المبالغة لدلالة زيادة المبنى على زيادة المعنى.

---

(١) ينظر القاموس المحيط ٢: ٢٦٢.

المبحث الثاني: التطبيق في القرآن الكريم
أبنية المطاوعة والشواهد القرآنية الكريمة

إن أبنية المطاوعة في اللغة ذو أنحاء كثيرة واعتبارات فنية وإن استعمال بناء المطاوعة كثير في القرآن و– له خصوصية برع بها السياق الكريم، سنحاول في هذا المبحث رصد بعض صور هذا الأسلوب (أسلوب بناء المطاوعة)؛ ومنها:

البناء الأول: (افتعل)..

– همزته وصل – وهو مطاوع للفعل المتعدي (فعل) يقول سيبويه في (باب في المطاوعة (انفعل)، و(افتعل) قليل. نحو: (جمعته فاجتمع) و(مزجته فامتزج)[1].

وقد أشار بعض اللغويين إلى أن (صيغة (افتعل) التي للمطاوعة لا تكون مبنية إلا من الفعل المتعدي، وقد وهم من زعم أنها تكون من الفعل اللازم، وذلك قليل فيها..)[2]. ويفهم من كلام علماء اللغة العربية أن الأصل في المطاوعة هو (انفعل) و(افتعل) داخل عليه، ولما لم يكن موضوعاً للمطاوعة كـ (انفعل) جاز مجيئه لها في غير أفعال العلاج – ما تحتاج في حصولها إلى تحريك عضو – نحو: غممته فاغتم.

---

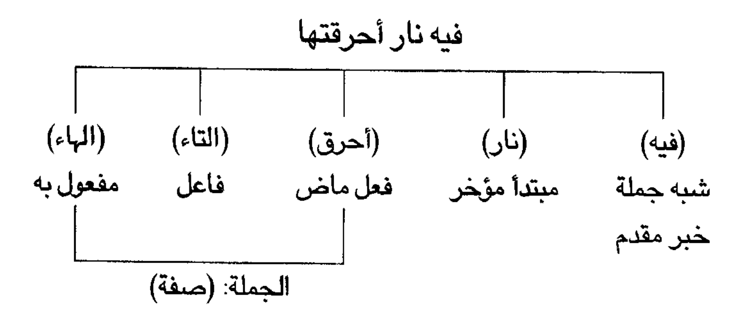
(١) الكتاب ٢: ٣٣٨، ١: ٦٥، شرح الرضي للشافية ١: ١٠٣ (وما بعدها) شرح المفصل ٧ : ١٦٧. البحر المحيط ٣: ٤٦١، ارتشاف الضرب ١: ٦٢، الهمع ٢: ١٦٢.

(٢) ارتشاف الضرب ١: ٨٥.

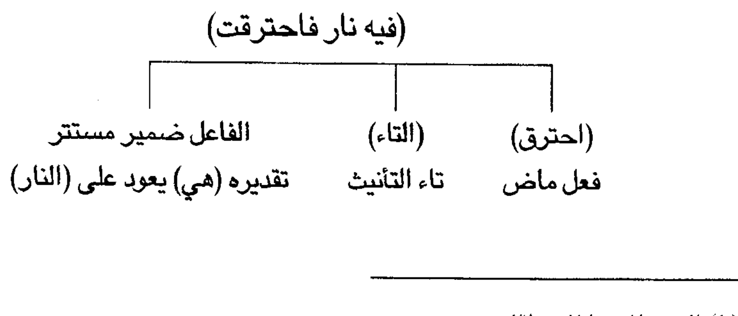
ويكثر إغناء (افتعل) عن (انفعل) في مطاوعة ما فاؤه (لام) أو (راء) أو (واو) أو (نون)؛ نحو: لأمت الجراح، فالتأمت.، و(رميت به فارتمى) و(وصلته فاتصل) و(عدلت الرمح فاعتدل).

ومن أمثلة بناء (افتعل) للمطاوعة في الاستعمال القرآني. قوله تعالى ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ [البقرة: ٢٦٦]. فالفعل (احترقت) مطاوع (أحرق) كأنه قيل: فيه نار أحرقتها فاحترقت. كقولهم: (أنصفته فانتصف) و(أوقدته فاتقد)[١].

أي أن الرتبة الأصلية للجملة هي:



وفي بناء الجملة للمطاوعة، حذف الفاعل، ليكون المفعول في موضعه، فيعرب (فاعلاً)

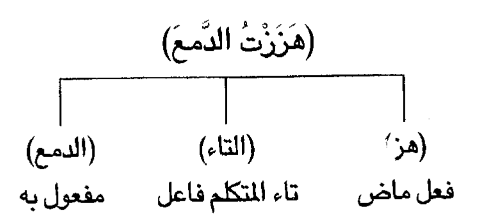


---

(١) البحر المحيط ٢: ٣١٥.

أي: كأن لفظ (المفعول) طاوع الفعل، فصار فاعلاً، وهو لفظ (نار) وهذه المطاوعة (هي انفعال في المفعول يكون له قابلية للواقع به فيتأثر به). ونقرأ قوله عز وجل ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]. أي (أمر الله تعالى (ﷺ) بما هو أعظم مما يأمر به أهله وهو أن يصطبر على الصلاة و(الاصطبار): الانحباس، وهو مطاوع (صبره) إذا حبسه وهو مستعمل مجازاً في إكثار من الصلاة في النوافل)(١).

وقال تعالى ﴿فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [الحج: ٥] فصلت:٣٩ . فمعنى الفعل (هز) من (الهز): التحريك الشديد(٢). يقال:



فقد جاء (هز) متعدياً، فوقه لفظ (الدمع) مفعولاً به، وقد يستعمل متعدياً بالجار والمجرور، كما في قوله عز وعلا ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ [مريم: ٢٥] وتقول: (اهتز الرمح) فيكون لازماً في بنائه للمطاوعة، كما في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ﴾ [النمل: ١٠]، القصص: ٣١ ، و(الاهتزاز): مطاوعة حقيقية (هَزَّة): إذا حركه بعد سكونه، فتحرك وهو في قوله تعالى (اهتزت) مستعار لربو وجه الأرض بالنبات، شبه حال إنباتها وارتفاعها والنبات بعد أن كانت منخفضة خامدة وقد تضمن تركيب المطاوعة تمثيلاً (فقد شبه حال محولة الأرض ثم إنزال الماء عليها وإنقلابها

---

(١) التحرير والتنوير ١٦: ٣٤٢.

(٢) المفردات في غريب القرآن: ٥٤٢.

من الجدوبة إلى الخصب، بحال شخص كان رث الثياب، فأصابه من الغنى، فلبس الزينة واختال في مشيته، وعطفت (ربت) على (اهتزت)، لأن المقصود من (الاهتزاز) هو ظهور النبات عليها وتحركه، ومعنى (ربو) الأرض: انقضاضها بالماء واعتلاؤها)[1].

أما قوله تعالى ﴿فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ [النمل: ١٠].

فإن معنى (الاهتزاز): الاضطراب، وهو (افتعال) من (الهز) وهو الرفع كأنها تطاوع (فعل): هازاً يهزها. والتشبيه في سرعة الاضطراب، لأن الحيات خفية التحرك. وأما تشبيه العصا بالثعبان في قوله عز وجل ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٠٧]، الشعراء: ٣٢ فذلك لضخامة الجرم، وقد تضمن إفادة قوة توليه لما رأى عصاه تهتز، ثم تأكد الفعل (ولّ) بقوله عز وعلا ﴿مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ [النمل: ١٠]، و(التعقيب): (الرجوع بعد الانصراف مشتق من العقب، لأنه رجوع إلى جهة العقب، أي: (الخلف)، فقوله تعالى (ولم يعقب) تأكيد لشدة توليه، أي: ولى تولياً قوياً لا تردد فيه، وكان ذلك التولي منه لتغلب القوة الواهمة التي في جبلة الإنسان على قوة العقل الباعثة على التأمل فيما دل عليه قوله عز من قائل (أنا الله العزيز) من الكناية عن إعطائه النبوءة والتأييد[2].

ونقرأ قوله عز وجل ﴿... فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾ [يوسف: ٩٦]. قال أهل اللغة (الارتداد والردة: الرجوع في الطريق الذي جاء منه..ومعنى قوله تعالى (فارتد بصيراً: عاد إليه البصر..[3]

والفعل أصله (رده) وهو فعل متعدٍ إلى مفعول به. لكنه جاء على بناء المطاوعة (ارتد) فحذف الفاعل وهو لفظ الجلالة (الله) تعالى على تقدير: رد الله إليه قوة

---

(١) التحرير والتنوير ٢٣: ٣٠٤.

(٢) المصدر نفسه ١٩: ٢٢٨.

(٣) المفردات في غريب القرآن: ١٩٢.

بصره. أي: رد الله قوة بصره سيدنا (يعقوب) كرامة له وليوسف عليهما السلام وخارقة للعادة. ونقرأ أيضاً قوله تعالى ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩].

فإن الفعل (امتاز) مطاوع (مازه)؛ إذا أفرده عما كان مختلطاً معه، فقد وجه الأمر إليهم بأن (يمتازوا) مبالغة في الإسراع بحصول الميز. جاء الفعل (امتازوا) بصيغة الأمر من مادة المطاوعة. لأن قولك: (لتتكسر الزجاجة) أشد في الإسراع بحصول الكسر فيها من أن يقول: (اكسروا الزجاجة) والمعنى المراد من امتيازهم)؛ الابتعاد عن الجنة، وذلك بأن يصيروا إلى النار فيؤول إلى معنى: ادخلوا النار. ومثله قوله عز وعلا ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَاْ أَخُوكَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [يوسف: ٦٩].

فـ (لابتئاس) مطاوعة (الإبئاس). أي: جعل أحداً بائساً، أي: صاحب بؤس، والبؤس: هو الحزن والكدر، والنهي عن الابتئاس مقتض الكف عنه. أي: أزل عنك وعوض عنه بالسرور.

البناء الثاني: بناء (انفعل) للمطاوعة

لا يكون (انفعل) إلا لازماً بشرط كونه للعلاج أي: للأفعال الظاهرة لأن هذا الباب موضوع للمطاوعة؛ وهو قبول الأثر، وذلك فيما يظهر للعيون؛ كالكسر والقطع، والجذب. وقد جعل سيبويه بناء المطاوعة كله؛ إنما مدخله من (باب: انفعل) وهذا ما يفهم من قوله (الباب في المطاوعة، انفعل و(افتعل) قليل..كذلك فإن أشهر معاني (انفعل) هي: المطاوعة. وبناء (انفعل) في الأغلب، مطاوع (فعل) بشرط أن يكون من الأحداث الظاهرة التي تراها العيون. وقد يجيء (انفعل) مطاوعاً لـ (أفعل) نحو: أزعجته فانزعج، وأفحمته وجاء (انفعل) في غير بناء المطاوعة نحو انسلخ، وانكدر. قال تعالى ﴿...فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الأعراف: ١٣٦]. (الانتقام) افتعال، وهو العقوبة الشديدة الشبيهة بالنقم وهو غضب الحنق على

ذنب اعتداء على المنتقم، ينكر ويكره فاعله، وقيل: الانتقام؛ الإنكار على الفعل[1].

وأصل صيغة (الافتعال) أن تكون لمطاوعة (فعل) المتعدي. بحيث يكون فاعل المطاوعة هو مفعول الفعل المجرد، ولم يسمع أن قالوا (نقمه فانتقم) أي: أحفظه وأغضبه، فعاقب. فهذه المطاوعة أُميت فعلها المجرد، وعدوه إلى المعاقب بـ (من) الابتدائية للدلالة على أنه منشأ العقوبة وسببها وأنه مستوجبها[2]. وقد ورد مثل هذه الصيغة في بناء المطاوعة ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الأعراف: ١٣٦]، الحجر ٧٩، الزخرف: ٢٥، ﴿فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ [الروم: ٤٧] ﴿انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزُّخرُف: ٥٥]. وقال عز وجل ﴿وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩٢]. فإن الفعل (ينبغي) مطاوع لـ (بغى) بمعنى (طلب). أي: وما يتأتى له اتخاذ الولد. وقد سمع ماضي (ينبغي) فقالوا (ابتغى)، وقد (عده ابن مالك في (التسهيل) من الأفعال التي لا تتصرف، وهو غلط منه[3]. قال أهل اللغة: (ما ينبغي)، ما يتأتى، أو ما يجوز، وأصل (الابتغاء) أنه مطاوع فعل (بغى) الذي طلب. ومعنى مطاوعته: التأثر بما طلب منه، أي: استجابة الطلب. وكل فعل فيه علاج يتأتى مطاوعه على الانفعال كصرف وطلب وعلم، وما ليس فيه علاج لا يتأتى في مطاوعة الانفعال البتة، كـ (عدم) و(فقد) فبان أن أصل معنى (ينبغي) يستجيب الطلب، ولما كان الطلب مختلف المعاني باختلاف المطلوب، لزم أن يكون معنى (ينبغي) مختلفاً بحسب المقام فيستعمل بمعنى (يتأتى) و(يمكن) و(يستقيم) ويليق وأكثر تلك الإطلاقات أصله من قبيل الكناية واشتهرت فقامت مقام التصريح[4].

ومن شواهد بناء (انفعل) للمطاوعة في الاستعمال القرآني: قوله عز وجل: ﴿يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، [آل عمران: ١٤٤].

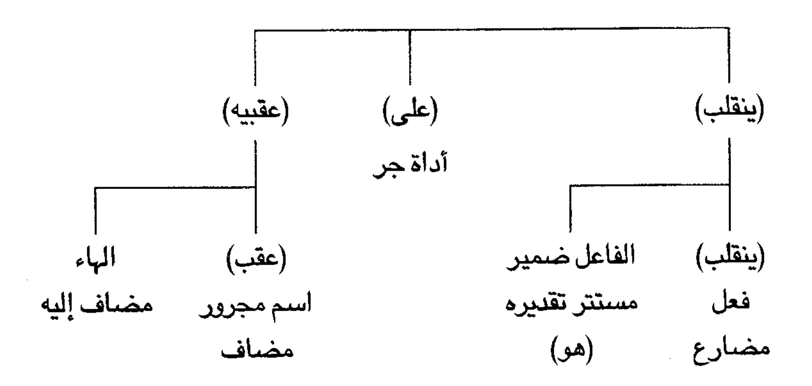
---

(١) المفردات في غريب القرآن: ٥٠٤.

(٢) التحرير والتنوير ٩: ٧٤.

(٣) البحر المحيط ٦: ٢١٩.

(٤) التحرير والتنوير ١٦: ١٧٢.



والأصل في الفعل المطاوع (ينقلب)، أنه يقع متعدياً: (قبلته)[1]. وتركيبه هو: قلبْتُه

(قلب) فعل — (التاء) تاء المتكلم فاعل — (الهاء) مفعول به

قال تعالى ﴿وَإِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَكِهِينَ﴾ [المطفّفين: ٣١]. (الانقلاب): الرجوع إلى الموضع الذي جئ منه، و(انقلب) مطاوع قلبه، وتكرار فعل (انقلبوا) في قوله عز وجل (انقلبوا فاكهين) من النسج الجزل في الكلام، يمثل الإنسجاع والتناسق في القول وقد سماه أهل البلاغة (المشاكلة) وفيه فائدة دلالية عظيمة، فقد كان يكفي أن يقال: (إذا انقلبوا إلى أهلهم فكهوا) أو: (إذا انقلبوا إلى أهلهم كانوا فاكهين). وذلك لما في إعادة الفعل من زيادة تقرير معناه في ذهن السامع،

---

(١) البحر المحيط ١: ٤١٨.

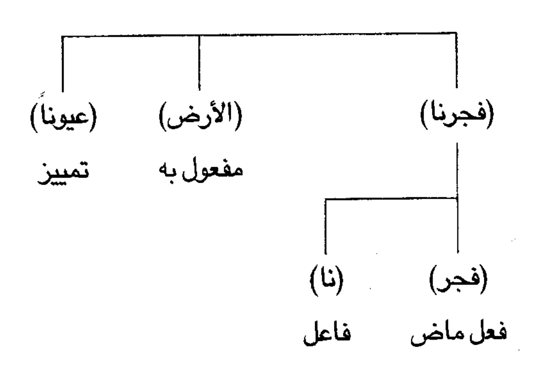
ولزيادة تقرير ما في الفعل من إفادة التجدد حتى يكون فيه استحضار الحالة[1]. ومثله قوله عز وجل: ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ [الحج: ١١]. (فالانقلاب) مطاوع قلبه إذا كبه بأن جعل ما كان أعلاه أسفله. وهو مستعمل في حقيقته والكلام تمثيل، وقد ناسبت دلالة (انقلب) موقع قوله (على وجهه)، أي: سقط وانكب عليه، ويطلق الانقلاب كثيراً على الانصراف من الجهة التي أتاها إلى الجهة التي جاء منها وهو مجاز شائع، وبه فسَّر المفسرون. وهذا المعنى لا يناسب لفظ (ينقلب) في قوله تعالى (ممن ينقلب على عقبيه) إذ الرجوع إنما يكون إلى جهة غير جهة الوجه[2]. ومثله قوله تعالى ﴿فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَانقَلَبُواْ صَاغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١١٩] فـ (الانقلاب) مطاوع (قلبه)، والقلب: تغيير الحال وتبدله. وبعد، فأنت ترى أن (انقلب) في أصل صيغته يقع متعدياً إلى المفعول (قلبته) وفي بنائه للمطاوعة (انقلب) حذف الفاعل، فطاوعه المفعول ليصير (فاعلاً) و(انقلب) من الأفعال التي تجيء بمعنى (صار)، وهو المراد هنا، أي: (صاروا صاغرين) والأكثر (في معناها أن يكون دالاً على التغيير من الحال المعتاد إلى حالٍ غريبة، ويطلق الانقلاب شائعاً على الرجوع إلى المكان الذي يخرج منه)[3]. وتأمل قوله عز وجل ﴿فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً﴾ [البقرة: ٦٠]. قال أهل اللغة (الانفجار: الانشقاق والتفتح ومنه الفجر لانشقاقه بالضوء وقيل (ومنه الفاجر لأنه عصى المسلمين بخروجه إلى الفسق)... يقال: فجرته ومطاوعة (انفجر). وفجرته، ومطاوعة (تفجر). وقد جاء الفعل (فجر) في أصل بنائه متعدياً كما في قوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ [القمر: ١٢].

---

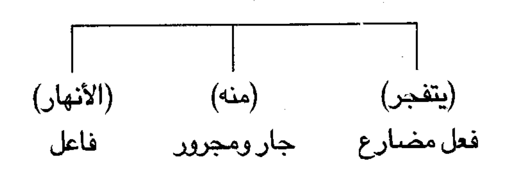
(١) التحرير والتنوير ٣٠: ٢١٢.

(٢) التحرير والتنوير ١٧: ٢١٣.

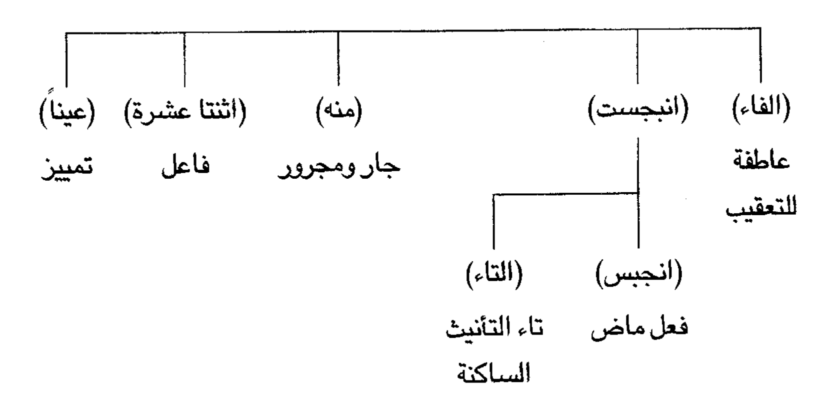
(٣) المصدر نفسه ٩: ٥١.



ومثله قوله عز وجل ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا﴾ [الكهف: ٣٣] ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٦]. وفي بنائه للمطاوعة يصير الفعل (لازماً) فيحذف الفاعل، فيطاوع المفعول بناء الفعل فيصير فاعلاً، كما في قوله ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٧٤]



ونقرأ في سورة الأعراف: ﴿فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [الأعراف: ١٦٠].



فالفعل (انبجس) مطاوع (بجس)، وإذا تأملنا قوله تعالى ﴿فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ وقوله عز وجل ﴿فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾لاحظنا ما يأتي: أن (الفاء) في قوله تعالى (فانبجست)، (فانفجرت)؛ للتعقيب المجازي تشبيهاً لقصر المهلة؛ والتقدير: (فضرب فانبجست) أو (فضرب فانفجرت) فإذا كان (الانبجاس) خروج الماء بقلة، فإن (الانفجار) خروج الماء بكثرة. وإذا دل (الانبجاس) على معنى الشق الضيق، فإن (الانفجار) يدل على سعة الانشقاق. وإذا كانا مختلفين. فإنه اختلاف العام والخاص فلا يتناقضان. ثم إن لكل سياق منهما خصوصية في المستوى الدلالي يدلنا عليها المقام فإذا اشتدت بحاجة الشاربين إلى الماء (فيتفجر). أي: يتدفق ماؤه غزيراً فإذا قَلَّت الحاجة إليه (ينبجس)؛ أي: يخرج قليلاً. أو لعله (انبجس) أولاً ثم (انفجر) ثانياً. ونقرأ قوله تعالى ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: ١١] فـ (الفض): كسر الشيء، والتفريق بين بعضه وبعضه، ومنه استعير (انفض القوم)[1]. و(الانفضاض) مطاوع (فضه) إذا فرقه. وهو في أصل بنائه متعدٍ بنفسه إلى المفعول به قد يطاوع بناء الفعل (انفض) فيصير فاعلاً. كما في الآية الكريمة (انفضوا إليها) وقوله عز وجل ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. ومعنى (لانفضوا): لتفرقوا[2]. ثم تأمل قوله عز وجل ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ [الرحمن: ٣٧] (انشقاق السماء)؛ مطاوعتها لفعل الشق، أي أن الفعل (انشق) مطاوع (شقه)، أي أن الفعل (انشق) مطاوع (شقه) و(الشق): فتح منافذ في محيطها. ومثله أيضاً قوله تعالى ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١].

قال بعض اللغويين (هو على التقديم والتأخير) والأصل في التركيب: (انشق القمر واقتربت الساعة) و(الشق): منافذ في محيط الجسم، أو: فرج وتفرق بين أديم جسمي ما بحيث لا تنفصل قطعة مجموع ذلك الجسم عن البقية. ويسمى

---

(١) المفردات في غريب القرآن: ٣٨١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٤: ٢٦٠.

أيضاً (تصدعاً)، كما يقع في عمود أو جدار. فإطلاق الانشقاق على حدوث هوة في السطح القمر (إطلاق حقيقي) وإطلاقه على انطماس بعض ضوئه (استعارة).

و(الاقتراب) في قوله عز وجل (اقتربت الساعة): أصل صيغته مطاوعة. أي: قبول فعل الفاعل. وهو هنا للمبالغة في القرب؛ فإن حُمل على حقيقة القرب فهو قرب اعتيادي، أي: قرب حلول الساعة فيما يأتي من الزمان قريباً نسبياً.

ونتأمل في هذا السياق قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاء بِالْغَمَامِ﴾ [الفرقان: ٢٥].

فالأصل بالفعل (تشقق) هو: (تتشقق) فحذف بعضهم (التاء) وغيره أدغمها، ولما كان انشقاق السماء بسبب الغمام منها، جعل الغمام. كأنه الذي تشقق به السماء، كما تقول: شق السنام بالشفرة وانشق بها. ونظيره قوله تعالى ﴿السَّمَاء مُنفَطِرٌ بِهِ﴾ [المزمل: ١٨]. فإن قلت: أي فرق بين قولك: (انشقت الأرض بالنبات)، و(انشقت عن النبات) قلت: معنى (انشقت به) أن الله شقها بطلوعه فانشقت به. ومعنى: (انشق عنه) أن التربة ارتفعت عنه عند طلوعه. والمعنى: أن السماء تنفتح بغمام يخرج منها[1].

وإذا حاولت تدبر قوله عز وجل ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ﴾ [مريم: ٩٠]. تنبهت إلى دقيقة لغوية عظيمة، هي أن السياق الكريم قد جمع بين صيغتي المطاوعة (يتفطرن) و(تنشق) في نسق عظيم لحدثين ينسجمان في دلالتيهما، فقوله تعالى (يتفطرن) من: فطره إذا شققه وكرر الفعل فيه. ونتوقف عند قوله تعالى ﴿إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ [الشمس: ١٢]. فقد تصدر القول الكريم (إذ) وهو ظرف للزمن الماضي. لأن وقت (انبعاث أشقاها لعقر الناقة وهو الوقت الذي بدت فيه شدة طغواها فبعثوا أشقاهم لعقر الناقة التي جعلت لهم آية وذلك منتهى الجرأة..)[2]. والفعل (انبعث)، في أصل تركيبه فعل متعدٍ إلى مفعول به، (بعثوا

---

(١) الكشاف ٣: ٢٦٨.

(٢) التحرير والتنوير ٣: ٣٧٣.

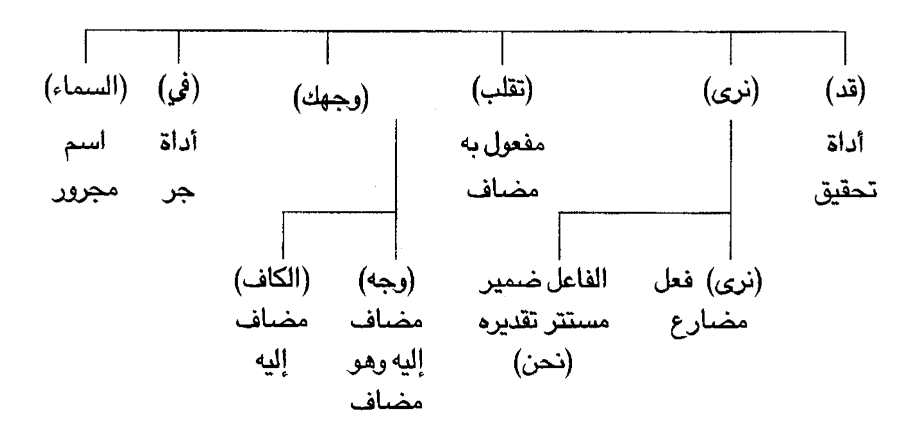
أشقاهم) فإذا جاء البناء للمطاوعة، حذف الفاعل، فطاوع (المفعول به) أثر الفعل (انبعث) فصار فاعلاً (انبعث أشقاهم)، وانتدب لذلك وفي تركيب الآية فائدة، هي: أن انبعاث أشقاهم لعقر الناقة كان عن إغراء منهم إياه[1].

البناء الثالث: (تفعّل) مطاوع (فعّل)

(الذي معناه: جعل الشيء نفس أصله إما حقيقة أو تقديراً، نحو (تأجل العمل، وتكلل) أي: صار إكليلاً أي محيطاً)[2].

نحو قولك: (كسرته فتكسر) و(حرقته فتحرق)، (فتقت الشيء فتفتق) و(فرقته فتفرق) و(مزقته فتمزق) و(هذبته فتهذب) و(علمته فتعلم) و(أدبته فتأدب) و(قومته فتقوم) و(قطعته فتقطع).

ومن أمثلة بناء (تفعل) في سياق المطاوعة. في الاستعمال القرآني؛ قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء﴾ [البقرة: ١٤٤]



(١) المصدر السابق.
(٢) شرح شافية ابن الحاجب ١: ١٠٧.

يبدو أن (قد) هنا للتحقيق، كما في قوله عز وجل (قد يعلم ما أنتم عليه) ومن النحاة من يرى أنها للتكثير بقرينة ذكر التقلب. بقول أبو حيان (...فالتكثير إنما فهم من (التقلب) الذي هو مطاوع التقليب نحو: قطعته فتقطع، وكسرته فتكسر، وما مطاوع التقليب نحو: قطعته فتقطع، وكسرته فتكسر، وما طاوع التكثير ففيه التكثير)[1].

ومعلوم للجميع أن (التكثير بالنسبة إلى المرئي وهو محمد (ﷺ) لا إلى الرّائي وهو(الله) تعالى لأنه منزه عن ذلك فلاً توصف أفعاله بالقلة والكثرة[2]..

وقد تصدرت (قد) الفعل المضارع (نرى) للدلالة على (التجدد، والمقصود[*] تجدد لازمه ليكون تأكيداً لذلك اللازم وهو الموعد)، فمن أجل ذلك غلب على (قد) الداخلة على المضارع أن تكون للتكثير مثل (ربما يفعل)[3].

ويبدو أن إشارة (أبي حيان) أن (التكثير إنما فهم من التقلب لا تتقاطع مع إشارة (الطاهر بن عاشور) في دلالة (قد) الداخلة على الفعل المضارع.

فكأن السياق الكريم قد آثر صيغة (التقلب) المطاوع لـ (قلّبه)؛ إذ حوله، وهو مثل (قلبه) بالتخفيف. لأن في صيغة التضعيف (تقلب)؛ معنى التكثير في هذا التحويل. والمراد بتقلب الوجه، الالتفات به، أي: تحويله عن جهته الأصلية فهو هنا ترديده في السماء. ومثله قوله تعالى ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٦٤].

فالفعل (تنزل) على وزن (تفعل) للمطاوعة، تقول: نزلته فتنزل. وقال عز من قائل ﴿مَن يَرْتَدَّ منكُمْ﴾ [المائدة: ٥٤]. (الارتداد) مطاوع (الرد) وهو: الإرجاع إلى مكان

---

(١) البحر المحيط ١: ٦٠٢.

(٢) الإعراب الكامل الآيات القرآن الكريم د. عبد الجواد الطيب، مكتبة الآداب / القاهرة ١٩٩٤، ح٢ ق ١: ١٧.

(*) وليس المقصود هنا حصر دلالة (قد) مع المضارع بالزمن الماضي، كما جاء في كتاب (الإعراب الكامل لآيات القرآن) ٧: ح٢: ق ١: ١٧.

(٣) التحرير والتنوير ٢: ٢٧.

أو حالةٍ. وغلبت دلالة (الارتداد) على (الخروج عن الإسلام)، ولو لم يسبق للمرتد اتخاذ دين قبله، ثم تأمل قوله تعالى ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة:٢٠٣]. فقد تضمنت العبارة الكريمة(تركيبي شرط) مصدرين بأداة الشرط (من) جاء فعل الشرط في كل منهما ماضياً (تعجل)، و(تأخر) في سياق البناء للمطاوعة، على وزن (تفعل) وقابلت (تعجل) — الدالة على الاستعجال في النفر — لفظة تأخر. قال أبو السعود العمادي (التفعل) و(الاستفعال)؛ يجيئان لازمين ومتعديين، يقال: تعجل في الأمر، واستعجله، وتعجله، واستعجل فيه)[1].

ومثله الفعل: (تأخّر) يقال: أخره. فالفعلان (تعجل) و(تأخر) متعديان في أصل تركيبهما. وقد جاءا على وزن (تفعل): (تعجل، تأخر)، فبنيا لازمين للمطاوعة. وقد وضح الشيخ طاهر بن عاشور أثر تلك الصيغة في دلالتها؛ (تعجل) و(تأخر) مشعران بتعجل وتأخر في الإقامة بالمكان الذي يشعر به اسم الأيام المعدودات، فالمراد بالتعجل؛ عدم اللبث، وهو: النفر عن (منى)، ومن التأخر باللبث في (منى) إلى يوم نفر جميع الحجيج. فيجوز أن تكون صيغة (تعجل) و(تأخر) معناهما مطاوعة: عجلّه، وأخّره فأن (التفعل يأتي للمطاوعة كأنه عجل نفسه فتعجل، وأخرها فتأخر. فيكون الفعلان قاصرين، لا حاجة إلى تقدير مفعول لهما، ولكن المتعجل عنه والمتأخر إليه مفهومان من اسم الأيام المعدودات، أي: تعجل النفر، وتأخر النفر. ويجوز أن تكون صيغة (التفعل) في الفعلين، لتكلف الفعل كأنه اضطر إلى العجلة أو إلى التأخر، فيكون المفعول محذوفاً لظهوره أي: فمن تعجل النفر ومن تأخره..[2].

---

(١) تفسير أبي السعود ١ ك ٢١٠.

(٢) التحرير والتنوير ٢: ٢٦٣.

وقد ذهب بعض علماء اللغة[1] إلى أن (عجل) و(استعجل) يجيئان مطاوعين بمعنى (عجل)، يقال: تعجل في الأمر واستعجله، ويأتيان متعاديين فيقال: تعجل الذهاب، والمطاوعة عند الزمخشري[2] أوفق لقوله تعالى (ومن تأخر) ونقرأ قوله تعالى ﴿.. وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧]. فالفعل (تزود) جاء على وزن (تفعل) فاستعمل في بناء المطاوعة فطاوع المفعول، الفعل الذي انتقل من التعدي (زودتهم) إلى اللزوم (تزودا) إذ حذف الفاعل، فصار المفعول فاعلاً. ومثله قوله عز وجل ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ [الفتح: ٢٥]. فـ (التزيل) مطاوع (زيله) إذا أبعده عن مكان فالفعل في أصل تركيبه متعدٍ؛ فتقول: (زيلهم) أي: أبعد بعضهم عن بعض. أي: فرقهم، قال الله تعالى (فزيلنا بينهم). وفي بنائه للمطاوعة (تزيل) حذف الفاعل، والفعل هنا بمعنى التفرق والتمييز من غير مراعاة مطاوعة لفعل فاعل. لأن أفعال المطاوعة كثيراً ما تطلق لإرادة المبالغة لدلالة زيادة المبني على زيادة المعنى وذلك أصل من أصول اللغة. ومعنى الآية (لولا وجود مؤمنين مندمجين في جماعة المشركين غير مفترقين لو افترقوا لعذبنا الكافرين منهم)[3].

ومثله قوله تعالى ﴿... يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى﴾ [الأعراف: ١٣١]. الفعل (يطيروا) أصله (يتطيروا)، وهو (تفعل) مشتق من اسم الطير كأنهم صاغوه على وزن (التفعل) لما فيه من تكلف معرفة حظ المرء بدلالة حركات الطير.. أو: هو مطاوعة سمي بها ما يحصل من الانفعال من أثر الطير. وأعلم أن هذا النوع من البناء للمطاوعة، يستعمل كثيراً في الإعجاز المبين. فتأمل قوله تعالى ﴿... وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ [المزمل: ٨].

قال أهل اللغة (التبتل): شدة البتل، وهو مصدر (تبتل) القاصر الذي هو مطاوع (بتله). ومعنى (بتل) (انقطع في العبادة وإخلاص النية انقطاعاً يختص

---

(١) روح المعاني ١: ٤٨٦.

(٢) الكشاف ١: ٢٤٦.

(٣) التحرير والتنوير ٢٦: ١٩٢.

به)[1]. و(تبتل هنا للمطاوعة المجازية يقصد منها؛ المبالغة في حصول الفعل كأنه فعله غيره به فطاوعه. والمعنى: تفرغ البال والفكر إلى ما يرضي الله، فكأنه انقطع عن الناس وانحاز إلى جانب الله تعالى. يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: (أما لفظ (تبتيلاً) فهو مصدر (بتل) المشدد الذي يجيء متعدياً بنفسه مثل (قطعته فتقطع تقطيعاً) وقد استعمل هنا في بناء المطاوعة فعدي بـ (إلى) الدالة على الانتهاء. وفي عدول السياق الكريم عن المصدر الـ (التبتل) إلى (التبتيل)؛ إشارة إلى حصول (التبتل) – أي الانقطاع – يقتضي (التبتيل) أي: القطع. ولما كان (التبتيل) قائماً بالمتبتل تعين أن تبتيله قطعه بنفسه عن غيره من تبتل هو إليه فالمقطوع عنه هنا هو من عدا الله تعالى. فالجميع بين (تبتل) و(تبتيلاً) في سياق واحد، يشير إلى إرضاء النفس على ذلك التبتل، وكذلك فيه مراعاة الفواصل التي قبله..)[2].

ثم تأمل أيضاً قوله عز وجل: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]. قال أهل اللغة (تطوع)؛ تفعل من (الطاعة) وسواء قول القائل (طاع) و(تطوع) كما يقال: (حال) و(تحول)، و(قال) و(تقول) و(طاف) و(تطوف) وتستعمل (تفعل) بمعنى (فعل) كثيراً. ومعنى(الطوع)؛ الانقياد، والطوع ما ترغب به من ذات نفسك مما لا يجب عليك[3]. يقول الراغب (قوله تعالى (فطوعت له نفسه) بمعنى: انقادت له وسولت..و(طوعت) أبلغ من (أطاعت) و(طوعت له نفسه) بإزاء قولهم: تأبت عن كذا نفسُه. و(تطوع كذا، تحمله طوعاً)...وقيل: (طاعت) و(تطوعت) بمعنى...)[4]. ويحتمل (تطوع) معنى: أتى بطاعة، أو تكلف طاعة. ويطلق مطاوع (طوعه)، أي: جعله مطيعاً، على معنى التبرع غالباً. لأن التبرع زائد في الطاعة. وقد تصدر القول الكريم (من) الشرطية بدليل وقوع (الفاء) في جوابها.

---

(١) المفردات في غريب القرآن: ٣٦.

(٢) التحرير والتنوير ٢٩: ٢٦٥-٢٦٦ (بتصرف)

(٣) تفسير الرازي ٣: ١٤٦.

(٤) المفردات في غريب القرآن: ٣١١.

وقوله تعالى (فإن الله شاكر عليم) دليل الجواب، إذ التقدير: ومن تطوع خيراً جوزي به لأن الله شاكراً، أي: لا يضيع أجر محسن. وانتصب لفظ (خيراً) على نزع الخافض أي: تطوع بخير، أو بتضمين معنى (فعل) أو (أتى)...[1].

ومثله قوله عز وجل ﴿... إِلَى أَن تَزَكَّى﴾ [النازعات: ١٨] فالفعل (تزكى) أصله (تتزكى) – بتاءين – مضارع (تزكى) والفعل في أصله متعدٍ (زكاة)، أي: جعله زكياً. وتقول: (زكى الإنسان نفسه) وقال تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩]. وقال عز وجل ﴿فَلاَ تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم: ٣٢]. وقد استعمل الفعل (تزكى) في بناء المطاوعة، ليؤذن بفعل فاعل يعالج نفسه ويروضها إذ كان لم يهتد أن يزكي نفسه بنفسه أي: كأن تركيب الآية بأن الفاعل الحقيقي محذوف، وقصر الفعل (تزكى) أي: صار لازماً، فطاوعه المفعول فاعلاً. (يحصل أثر التزكية في نفسه)، لذلك أعقبه في سورة النازعات بعطف ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ [النازعات: ١٩]. والمعنى (إن كان فيك إعداد نفسك للتزكية يكن إرشادي إياك فتخشى والمقصود: حثه على أن يستعد لتخليص نفسه من العقيدة الضالة التي هي خبث مجازي في النفس فيقبل إرشاد من يرشده إلى ما به زيادة الخير ثم لعلك أحسست أن ترتيب الجمل في الذكر مراعي فيه ترتبها في الحصول فلذلك لم يحتج إلى عطفه بـ (فاء) التفريع)[2].

ومثله قوله عز وجل ﴿... يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم: ٤٣]. فالفعل (يصدعون) أصله (يتصدعون) فقلبت (التاء) صاداً لتقارب مخرجيها لتأتي التخفيف بالإدغام. و(التصدع) مطاوع (الصدع) وحقيقة الصدع: الكسر والشق، ومنه يتصدع، من التفرق والتمايز. أما قوله عز وجل ﴿لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ﴾ [النساء: ٤٢] فقد قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر، بفتح (التاء) وتشديد السين. وهو مضارع (تسوى) الذي

---

(١) التحرير والتنوير ٢: ٦٤.

(٢) المصدر نفسه ٣٠: ٧٧: ١٠٦.

هو مطاوع (سواه) إذ جعله سواء لشيء آخر أي: مماثلاً لأن (السواء) المثل، فأدغمت إحدى التاءين في (السين). وتضمن القول الكريم كناية عن شدة خوفهم وذلهم فينقبضون ويتضاءلون حتى يودوا أن يصيروا غير ظاهرين على الأرض...[1].

البناء الرابع: (استفعل) مطاوع (أفعل)

وهذا البناء قليل في الاستعمال. نحو قولك: (أحكمته فاستحكم) و(أوحشت الرجل فاستوحش) و(أيقظته من نومه فاستيقظ) و(أقمته فاستقام). ومن أمثلته القليلة في العبارة القرآنية، قوله تعالى ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٧٠].

يجوز أن يكون الفعل (يستبشرون)[*] مطاوعاً لـ (أفعل) وهو الأظهر، أي: أبشره الله فاستبشره، كقولهم: أكانه فاستكان، وأراح فاستراح وأحكمه فاستحكم. وإنما كان هذا الأظهر هنا لأنه من حيث المطاوعة يكون منفعلاً عن غيره فحصلت له البشرى، بإبشار الله له بذلك ولا يلزم هذا المعنى إذا كان بمعنى المجدد لأنه لا يدل على المطاوعة[2].

البناء الخامس: (أفعل) مطاوع (فعل)

فقد يأتي (أفعل) مطاوعاً لـ (فَعَّل) المتعدي فيكون لازماً مثل (عرضت الشيء): أظهرته فأعرض، أي ظهر، و(كبه الله علي) و(كبه الله على وجهه)،

---

(١) الكشاف ٢: ٥٠٢.

(❖) ومثله ورد في: آل عمران: ١٧١، التوبة: ١٢٤، الحجر: ١٦٧، الروم: ٤٨، الزمر: ٤٥.

(٢) البحر المحيط ٢: ١٤٤.

فأكب، ومه قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى﴾ [الملك: ٢٢]. و(الكب): جعل ظاهر الشيء إلى الأرض[١].

قال أبو حيان[٢]: (مكباً) من (أكب) وهو لا يتعدى. و(كب) متعدٍ، قال تعالى ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ [النمل: ٩٠]. أي أُسْنِد الفعل (كب) في هذه الآية إلى نائب الفاعل وجوههم وقد نبه الشيخ الطاهر بن عاشور إلى دقيقة لغوية رائعة هي؛ أن (المكب) اسم فاعل من (أكب)؛ إذا صار ذا كب فالهمزة فيه أصلها لإفادة المصير في الشيء مثل (همزة): (أقشع السحاب) إذا دخل في حالة القشع، ومنه قولهم: (أنفض القوم؛ إذا هلكت مواشيهم و(أرملوا) إذا فني زادهم، وهي أفعال قليلة فيما جاء فيه المجرد (متعدياً) والمهموز (قاصراً).

البناء السادس: (فاعَلَ) مطاوعه (تفاعل) الذي يدل على المشاركة

إن كان الفعل على وزن (فاعَلَ) وكان لا يدل على المشاركة كان مطاوعة على (تفاعل) نحو: (باعدته فتباعد) و(ناولته فتناول) و(تابعته فتتابع) أما إذا دلت صيغة (فاعَلَ) على المشاركة، فلا يكون (تفاعَلَ) مطاوعاً له في نحو: (تنازع زيد عمرو الحديث) إنه مطاوع: نازع زيد عمراً الحديث ولا في (تضارب زيد وعمرو) إنه مطاوع (ضارَبَ زيد عمراً) لأنهما بمعنى واحد وليس أحدهما تأثيراً والآخر تأثراً[٣].

وقيل: أن بناء (فاعل) ومطاوعته إنما لموافقته (أفعل) ومن أمثلة هذه الصيغة قوله تعالى ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ [القمر: ٢٩]. فالفعل (تعاطى) مطاوع

---

(١) الأشباه والنظائر ١: ٣١٢.

(٢) البحر المحيط ٨: ٣٠٣.

(٣) شرح الشافية ١: ١٠٣. المغنى في تصريف الأفعال: ١٣٤.

(عاطى) وكأن هذه الأفعال تدافعها الناس وعاطاها بعضهم بعضاً فتعاطاها عاقر الناقة وتناول العقر بيده[1].

قال بعض المفسرين (إنَّ (تعاطى) مطاوع (عاطاه) وهو مشتق من (عطا) (يعطو) وصيغة (تفاعل) تقتضي تعدد (الفاعل) شبه تخوف القوم من قتل الناقة لما أنذرهم به رسولهم من الوعيد، وترددهم في الإقدام على قتلها بالمعطاة، فكل واحد حين يحجم عن مباشرة ذلك ويشير بغيره كأنه يعطي ما بيده إلى يد غيره..)[2].

ونقرأ قوله عز وجل ﴿فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾ [النجم: ٥٥]. فالفعل (تتمارى) استعمل في بناء المطاوعة، وهو في أصل تركيبه متعدٍ (ما راه فتمارى) و(التماري): التشكك وهو (تفاعل) من (المرية)، مثل (التدافع) مطاوع (دفع) ثم تأمل قوله تعالى ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]. فإن لفظ (تبارك) جاءت على صيغة (تفاعل) وهي في الأصل بمعنى (فعل) وقد صرح الرضي في شرح الشافية بأن (تفاعل) إذا جاء بمعنى (فعل) دل على المبالغة، ولذلك تتفق بعض صيغ المطاوعة وصيغ التكلف، نحو: (تثنى) و(تكبر) و(تشامخ) و(تقاعس) فمعنى (تبارك الله) أنه موصوف بالعظمة في الخير. أي: عظمة ما يقدره من خيرٍ للناس وصلاح لهم. يقول الراغب، إنه (تنبيه على ما يفيضه علينا من نعمة، أو تنبيه على اختصاصه تعالى بالخيرات المذكورة مع ذكر تبارك...)[3].

---

(١) البحر المحيط ٨: ١٨١.

(٢) التحرير والتنوير ٢٧: ٢٠٢.

(٣) المفردات في غريب القرآن: ٤٤.

البناء السابع: (تفعلل) لمطاوعة (فعلل)

المزيد من الرباعي:إما مزيد بحرف أو بحرفين، والمزيد بحرف له بناء واحد هو (تفعلل) ويكون لمطاوعة (فعلل) المجرد المتعدي نحو: (دحرجته فتدحرج) و(بعثرته فتبعثر)[1] ونحو قوله عز وجل ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦].

و(التقطع) الانقطاع الشديد، لأن (تقطع) على وزن (تفعلل) مطاع الرباعي (قطعه) مضاعف (قطع) بالتخفيف. وإن الفعل في أصل صيغته (متعدٍ)؛ (قطعه) و(قطعته) وإذا جاء الفعل قاصراً، حذف الفاعل فطاوعه المفعول، فصار فاعلاً، وفي تضعيف الصيغة (تقطع) دلاله تكثير أسباب التهويل والاستقطاع. أما (الباء) في قوله عز وجل (بهم)؛ فهي للسببية، أي: (تقطعت بسبب كفرهم) وقيل: للملابسة، أي: (تقطعت الأسباب موصولة بهم)، كقولك: خرج زيد بثيابه. وقيل: للتعدية، أو: بمعنى: عن. ويبدو أن هذه الوجوه بعيدة عن مقصد السياق، فـ (الباء هنا تقوم معنى التمثيلية بالصاعد إلى النخلة بحبل). و(الأسباب) جمع (سبب)، وهو (الحبل) الذي يمد ليرتقي عليه في النخل أو السطح وفي النظم الكريم أكثر من فن بياني.

فقد (شبهت هيئتهم عند خيبة أملهم حين لم يجدوا النعيم الذي تعبوا لأجله مدة حياتهم وقد جاء إبانة في ظنهم فوجدوا عوضه العذاب، بحال المرتقي إلى النخلة ليجتني التمر الذي كَدَّ "لأجله طوال السنة فتقطع به السبب عند ارتقائه فسقط هالكاً. فكذلك هؤلاء قد علموا حينئذٍ أن لا نجاة لهم فحالهم كحال الساقط من علّو لا ترجى له سلامة)[2]. فقد تضمن القول الكريم (استعارة تمثيلية). كما طوى (كناية) عن أن لا منجي لهم من العذاب، ولا مخلص ولا تعلق بشيء يخلص من عذاب الله وهو عام في كل ما يمكن أن يتعلق به .ولا يخفى على المتأمل في هذا

---

(١) الكتاب ٢: ٣٣٨.

(٢) التحرير والتنوير ٢: ٩٨.

التركيب أنه صار كالمثل بهذا الإيجاز وقد شاع في كلام العرب ذكر (التقطع) مستعاراً للبعد وبطلان الاتصال تبعاً لاستعارة الحبل للاتصال. أما قوله تعالى ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾ [المؤمنون: ٥٣]. فالكلام في سياق الذم، لذلك فقد تفيد (الفاء) في قوله عز وجل (فتقطعوا) مع تضمن التعقيب في (الفاء) معنى (التفريع)، أي: فتفرع على ما أمرناهم به من التوحيد أنهم بعكس المطلوب منهم، فأفاد الكلام زيادة على الذم تعجباً من حالهم. قال أهل اللغة: الفعل (تقطعوا)؛ يجوز أن يكون أصله مطاوع (قطع)، لكنه جاء هنا فعلاً متعدياً بمعنى: (قطع) بقصد إفادة الشدة في حصول الفعل، ونظيره (تخوفه السير) أي: تنقصه، و(تجهمه الليل) و(تعرفه الزمن). ومعنى القول الكرم؛ (قطعوا أمرهم بينهم قطعاً كثيرة)، أي: تفرقوا على بخل كثيرة. وقيل: يجوز أن يجعل (تقطعوا) قاصراً – أي لازماً – فأسند التقطع إليهم على سبيل الإبهام، فميزه بقوله تعالى (أمرهم)، كأنه قيل: تقطعوا أمراً. أي: أن (أمرهم) جاء تمييزاً، وقد أجاز كثير من نحاة الكوفة؛ كون التمييز معرفة[(1)].

أما قوله تعالى ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْـنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤]. فقد حذف فاعل (تقطع) لأن المقصود حصول التقطع لأن (فاعله اسم مبهم مما يصلح للتقطع، وهو الاتصال، فيقدر (لقد تقطع الحبل...) ولفظ (بينكم) ظرف مكان دال على مكان الاجتماع فيما يضاف هو إليه. وقد حسن حذف الفاعل في الآية لدلالة المقام عليه فصار كالمثل. وقدر الزمخشري المصدر المأخوذ من (تقطع) فاعلاً. أو على إسناد الفعل إلى مصدره بهذا التأويل أي: وقع التقطع بينكم وقيل: الأولى أنه أسند إلى ضمير (الأمر) لتقرره في النفوس. أي: تقطع الأمر بينكم. ومما يجري في السياق نفسه، قوله تعالى ﴿لاَ تَخْتَصِمُوا﴾ [ق: ٢٨]. وأصل المخاصمة؛ أن يتعلق كل واحدٍ بخصم الآخر، أي: جانبه. و(الاختصام) هو (المخاصمة)، وهو مصدر بصيغة (الافتعال) التي الأصل فيها أنها لمطاوعة بعض الأفعال فاستعملت لـ (التفاعل) والأصل فيه:

---

(١) التحرير والتنوير ١٩ ك ٧٢.

لا يخاصم بعضكم بعضاً. و(الخصم) مصدر: (خصمته) أي: نازعته خصماً يقال (خاصمته مخاصمة وخصاماً)[1]. وقد جاء الفعل هنا في بناء المطاوعة فتحقق الإيجاز، إذ قال عز وجل. (لا تختصموا) والنهي عن الاختصام بعد وقوعه بتأويل النهي عن الدوام عليه أي: كفوا الخصام، ومعنى النهي: أن الخصام في ذلك لا جدوى له لأن استواء الفريقين في الكفر كافٍ في مؤاخذة كليهما على السواء. وذلك (كناية) عن أن حكم الله عليهم قد تقرر فلا يفيدهم التخاصم لإلقاء التبعة على أحد الفريقين[2].

ولعل من المفيد أن نقترح هنا – بعد هذه الجولة السريعة – أن تسمى أفعال هذه المجموعات (أفعالاً قاصرة) فنخصصها عن عموم الأفعال اللازمة. أما مصطلح (المطاوعة)، فأقترح أن يطلق على (المفعول) الذي يصير (فاعلاً) لأنه يشعر بعلاقة التأثر والتأثير. أي: إقرار بأثر الفعل في المفعول بعد حذف الفاعل من التركيب الأصلي. فكأن المفعول طاوعه، فصار فاعلاً.

---

(١) المفردات في غريب القرآن: ١٤٩.

(٢) التحرير والتنوير ٢٦: ٣١٥.

قائمة ببعض أفعال المطاوعة في القرآن الكريم

فعل المطاوعة	الوزن	اسم السورة	رقم الآية	الصيغة الأصلية	المعنى
(تبتئس)	تفتعل	هود	٣٦	بئس	(فلا تبتئس) لا تلتزم البؤس ولا تحزن
		يوسف	٦٩		
(تأخر)	تفعل	البقرة	٢٠٣	أخر	(التأخير) مقابل (التقديم)
		الفتح	٢		
انبجس	انفعل	الأعراف	١٦٠	بجس	(بجس) الماء، وانبجس: انفجر والانبجاس: خروج الماء من شيء ضيق
تبارك	تفاعل	الأعراف:٥٤ المؤمنون:١٤ الفرقان: ١، ١٠، ٦١ فاطر:٦٤ الزخرف:٨٥ الرحمن:٧٨ الملك:١		بارك	(المبارك): ما فيه الخير، و(تبارك) تنبيه على اختصاصه تعالى بالخيرات المذكورة مع ذكر (تبارك)
استبشر يستبشرون	استفعل	آل عمران ١٧٠، ١٧١، التوبة:١١١، ١٢٤، الحجر:٦٧، الروم: ٤٨، الزمر:٤٥		أبشر	(أبشرت الرجل) وبشرته: أخبرته بسار بسط بشرة وجهه (أبشر) لكون لازماً ومتعدياً، يقال: بشرته فأبشر أي: استبشر
انبعث	انفعل	الشمس	١٢	بعث	أصل البعث: إثارة الشيء وتوجيهه يقال: بعثته فانبعث، ... ويختلف (البعث) بحسب اختلاف ما علق به (ابعاثهم) توجههم ومضيهم
ينبغي	انفعل	مريم: ٩٢، الفرقان:١٨ الشعراء:٢١١ يس:٦٩، ٤٠ ص ٣٥		بغى	إذا قيل (ينبغي) أن يكون كذا فيقال على وجهين: أحدهما ما يكون مسخراً للفعل نحو (النار ينبغي أن تحرق الثوب) الثاني: على معنى الاستئهال نحو: (فلان ينبغي أن يعطي لكرمه)

فعل المطاوعة	الوزن	اسم السورة	رقم الآية	الصيغة الأصلية	المعنى
احترقت	افتعل	البقرة	٢٦٦	حرق	يقال أحرق كذا فاحترق، و(الحريق): النار وحرق الشيء إيقاع حرارة في الشيء من غير لهيب
(تختصموا) تختصمون يختصمون	تفتعل	ق:٣٨، الزمر:٣١، آل عمران:٤٤ الشعراء:٩٦ النمل:٤٥، ص:٦٩		خصم	الخصم: مصدر (خصمته) أي: نازعته خصماً يقال: خاصمته وخصمته مخاصمة وخصاماً
ارتد	افتعل	يوسف	٩٦	رد	
ارتد		الكهف	٦٤		
ارتدوا		محمد	٢٥		رددته فارتد. والارتداد والردة: الرجوع في الطريق الذي جاء منه (الردة) تختص بالكفر (الارتداد) يستعمل فيه وفي غيره
يرتد		المائدة	٥٤		
		إبراهيم	٤٣		
		النمل	٤٠		
تزكى	تفتعل	طه:٧٦، فاطر:١٨ الأعلى:١٤ النازعات:١٨ الليل:١٨، عبس:٧، ٣		زكى	أصل الزكاة: النمو الحاصل عن بركة الله تعالى وتزكية الإنسان نفسه بالفعل وهو محمود أو: بالقوة: وذلك مذموم أن يفعل الإنسان بنفسه
تزيلوا زيلنا	تفتعل	الفتح:٢٥، يونس:٢٨		زال	زال الشيء يزاول زوالاً، فارق طريقته جانحاً عنه، وقيل: أزلته وزولته وقيل: زاله يزيله زيلاً. (تزيلوا): تفرقوا (فزيلنا بينهم) وذلك على التكثير.
يذكر	تفعل	الأنعام:٧٠، ق:٤٥ الذاريات:٥٥ الطور:٢٩، الأعلى:٩ الغاشية:٢١		ذكره	ذكرته ذكرا وذكرى وذكرته تذكرة وذكرى (وذكر فإن الذكرى) ذكرته الشيء وتذكرته. أصل: يتذكر — قبلت (التاء) ذالاً (التذكير): تبليغ الذكر وهو القرآن. والتذكرة: ما يتذكر به الشيء وهو أعم من الدلالة والإمارة.
تسوى	تفعل	النساء:٤٢		سوى	أي: سوى بلادهم بهم. يقال: (سواء) و(سوى) و(سوى) أي: يستوي طرفاه. ويستعمل وصفاً وظرفاً.

فعل المطاوعة	الوزن	اسم السورة	رقم الآية	الصيغة الأصلية	المعنى
انشق/ انشقت	انفعل	القمر:١، الرحمن:٣٧ الحاقة:١٦ الانشقاق:١	١ ٣٧ ١٦ ١	شق	الشق: الخرم الواقع في الشيء يقال: شققته بنصفين أخذ شقه:نصفه
اصطبر	افتعل	طه:١٣٢ القمر: ٢٧	١٣٢ ٢٧	صبر	الصبر: الإمساك في ضيق. والصبر: حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع. (اصطبر) تحمل الصبر بجهدك.
بصدع	يفعل	الروم:٤٣	٤٣	صدع	الصدع: الشق في الأجسام الصلبة يقال: صدعته فانصدع الفجر وصدعته فتصدع.
تطوع طوع	تفعل فعل	البقرة:١٥٨، ١٨٤ المائدة:٣٠		طوع	تطوع كذا: تحمله طوعاً طوعت أبلغ من أطاعت. وقيل: طاعت وتطوعت بمعنى واحد وأصل (طوع): أقر طائعا وطوعية وهو متطوع بذلك أي: متبرع، طوعت له نفسه كذا سهلته له.
يطير/طير	فعل	الأعراف:١٣١	١٣١	طار/يط ير	تطير فلان، وأطير: أصله التفاؤل بالطير، ثم يستعمل في كل ما يتفاءل به ويتشاءم (يطيروا): يتشاءموا به.
تعاطي	تفاعل	القمر:٢٩	٢٩	عطا/يعط و	(تعاطى): إذا تناول فلان يتعاطى كذا. كأنه يعطي ما بيده إلى يد غيره، وعاطى/الصبي أهله: إذا عمل لهم وناول ما أرادوا..
تعجل	تفعل	البقرة:٢٠٣	٢٠٣	عجل	عجلت خراجه: كلفته أن يعجله والعجل والعجلة: طلب الشيء وتحريه قبل أوانه.
عقب/يعقب	فعل	النمل:١٠، القصص:٣١	١٠ ٣١	عقب	لم يعقب، أي: لم يعطف، أي: لم يلتفت وراءه، والاعتقاب: أن يتعاقب شيء بعد آخر، و(تعقبت) ما صنع فلانا: تتبعته.
انفجرت تفجر/ يتفجر	انفعل تفعل يتفعل	البقرة:٦٠ الإسراء:٩٠، ٩١ البقرة:٧٤		فجر	فجر الماء في أرضه، فتحه. فجر الله الفجر: أظهره فانفجر الفجر: شق الشيء شقاً واسعاً يقال: (فجرته فانفجر) و(فجرته فتفجر)

فعل المطاوعة	الوزن	اسم السورة	رقم الآية	الصيغة الأصلية	المعنى
يتفطرن انفطرت	تفعل انفعل	مريم:٩٠، الشورى:٥ الانفطار:١		فطر	فطر الله الخلق، وهو فاطر السموات مبتدعها افتطر الأمر: ابتدعه. فطر الله الشجر بالورق: فانفطر به وتفطر وأصل الفطر: الشق طولا.
انفض	انفعل	آل عمران:١٥٩، الجمعة:٩ المنافقون:٧.		فض	فض: فرق، وكسر الشيء فضضت حلقه القوم فانفضوا وفض الله جمعهم. وقيل: فض ختم الكتاب: وعنه استعير انفض القوم
تقطع	تفعل	البقرة:١٦٦. المائدة:٣٢ الأنعام:٩٤. الأنبياء:٩٣ المؤمنون:٩٣. التوبة:١١		قطع	القطع: فصل الشيء مدركا بالبصر أو بالبصيرة. تقول: قطعهم الله أحزاباً فتقطعوا: تفرقوا، (اقتطع) طائفة منه: أخذه.
تقلب	تفعل	الأنعام:١١٠ الكهف:١٨، ٤٢ النور:٤٤، الأحزاب:٦٦		قلب	قلب الشيء قلباً: حوله عن وجهه وتصريفه إلى وجه، و(الانقلاب) الانصراف.
انقلب انقلبتم انقلبوا	انفعل	آل عمران:١٤٤، التوبة:٩٥ الأعراف:١٧٤، يوسف:٦٢ المطففين:٣١		قلب	قلب الشيء قلباً، حوله عن وجهه وتصريفه إلى وجه، و(الانقلاب) الانصراف.
تتمارى	تتفاعل	النجم:٥٥		مرى	الامتراء والمماراة: المحاجة فيما فيه مرية. وأصله من (مريت الناقة) إذا مسحت ضرعها للحلب، والناقة تمرى في سيرها: تسرع و(المرية): التردد في الأمر وهو أخص من الشك.
امتاز	افتعل	يس:٥٩		ميز	رجل مميز ومياز ومازه منه وميزه وانماز وامتاز وتميز. مايزت بين الشيئين، وتمايز القوم: تفرقوا. ويقال: انماز وامتاز (وتميز كذا) مطاوع؛ ماز أي: انفصل وانقطع.

فعل المطاوعة	الوزن	اسم السورة	رقم الآية	الصيغة الأصلية	المعنى
تنزل	تفعل	البقرة:١٥٠ آل عمران:٩٣ التوبة:٦٤ المائدة:١٠١ الروم:٤٩ الشعراء:٢١٠ فصلت:٣٠ مريم:٦٤ الطلاق:١٢		نزل	النزول في الأصل من علو إلى أسفل نزل في مكان كذا: حط رحله فيه (أنزل) و(نزل) بمعنى..
انتقم	افتعل	المائدة:٩٥ الأعراف:١٣٦ الحجر:٧٩ الروم:٤٧ الزخرف:٢٥-٥٥		نقم	انتقم منه، ونقمت منه كذا أنكرته عليه، إما باللسان وإما بالعقوبة.
اهتزت	افتعل	الحج:٥ النمل:١٠ القصص:٣١		هز	اهتزت الأرض، إذا نبتت والهز في أصل معناه: التحريك الشديد. واهتز النبات: إذا تحرك لنظارته.



الفصل الثالث

حذف الفاعل

في أسلوب (المجاز العقلي)



الفصل الثالث

حذف الفاعل في أسلوب (المجاز العقلي)

يتضمن هذا الفصل (مبحثين):

المبحث الأول: المجاز العقلي في كتب البلاغيين

تقوم الجملة العربية على الإسناد، وهو ربط (المسند) بـ (المسند إليه) و(لا يغني واحد منهما عن الآخر ولا يجد المتكلم منه بداً)[1].

فالمسند هو: (الخبر) وما هو بمنزلته كخبر النواسخ، و(الفعل) وما هو بمنزلته كاسم الفعل، والمسند إليه هو: (المبتدأ) وما هو بمنزلته كأسماء النواسخ و(الفاعل) و(نائب الفاعل). يقول أهل اللغة: يقوم الإسناد (على الحقيقة في الأساس، فهي القياس، فإن قلت: (ضحك الطفل) أسندت (الضحك) إلى (الطفل) وهذا صحيح ممكن الحدوث في أي وقت. ولكنك لو قلت: (ضحك لنا الزمان) لتغيرت المسألة، لأن (ضحك الزمان). محال في الحقيقة، فالمراد من كلامك شيء آخر. وهذه علامة المجاز...) فهو استعمال الإسناد بطريقة مختلفة لذلك نجد الجرجاني يقول في تحديد مفهوم المجاز إنه (كل جملة أخرجت الحكم المفاد بها

---

(١) الكتاب ١: ٢٣.

عن موضعه من العقل لضرب من التأول. وكما جاء في الخبر: إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً أو يلم. فقد أثبت الإنبات للربيع وذلك خارج عن موضعه من العقل لأن إثبات الفعل لغير القادر لا يصح في قضايا العقول إلا أن ذلك على سبيل التأول وعلى العرف الجاري بين الناس أن يجعلوا الشيء إذ كان سبباً أو كالسبب في وجود الفعل من فاعله كأنه فاعل. فلما أجرى الله سبحانه العادة وأنفذ القضية أن تورق الأشجار، وتظهر الأنوار، وتلبس الأرض ثوب شبابها في زمان الربيع، صار يتوهم في ظاهر الأمر ومجرى العادة كأن لوجود هذه الأشياء حاجة إلى الربيع، فأسند الفعل إليه على هذا التأول معنى مجاز). وهذا الضرب من المجاز كثير في القرآن الكريم. ومنه قوله تعالى ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٥]. وقوله عز اسمه ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢]. وقوله عز وجل ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢]. أثبت الفعل في جميع ذلك لما لا يثبت له فعل إذا رجعنا إلى المعقول على معنى السبب وإلا فمعلوم أن (النخلة) ليست تحدث الأكل. ولا الآيات توجد العلم في قلب السامع لها. ولا الأرض تخرج الكامن في بطنها من الأثقال ولكن إذا حدثت فيها الحركة بقدرة الله ظهر ما كنز فيها وأودع جوفها[1].

وإذا كان الجرجاني لم يفرق بين المجاز (العقلي) والمجاز (المرسل)؛ من حيث التسمية لكنه جعل (المجاز المرسل) من باب: المجاز اللغوي. وجعل (المجاز العقلي) مجازاً معنوياً، سماه (المجاز الحكمي)[2]. وقد نبه الجرجاني أيضاً أنه ليس بواجب في هذا أن يكون للفعل فاعل في التقدير إذ أنت نقلت الفعل إليه عدت به إلى الحقيقة مثل أنك لا تستطيع في قول (محمد اليزيدي):

وصيرني هواك وبي ... لحيني يضرب المثل

---

(١) أسرار البلاغة: ٣٤٤ -٣٤٥.

(٢) دلائل الإعجاز: ٢٨٤.

أن تزعم أن لـ (صيرني) فاعلاً قد نقل عنه الفعل فجعل للهوى. كما فعل ذلك في (ربحت تجارتهم).

وقد جعل (السكاكي) وغيره[1]، (المجاز العقلي) من مباحث علم البيان.

إذ عرفه، أنه (الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه لضرب من التأول إفادة للخلاف لا بوساطة وضع كقولك: (أنبت الربيع البقل). وآثر الخطيب القزويني وآخرون جعل (المجاز العقلي) من مباحث (علم المعاني) فذكر أن (الإسناد منه حقيقة عقلية ومنه مجاز عقلي، أما الحقيقة فهي إسناد الفعل أو معناه إلى ما هو له عند المتكلم في الظاهر والمراد بمعنى الفعل نحو (المصدر) و(اسم الفاعل) وقولنا (في الظاهر) ليشمل مالا يطابق اعتقاده مما يطابق الواقع ومالا يطابقه وأما المجاز العقلي؛ فهو إسناد الفعل أو معناه إلى ملابس له غير ما هو له بتأويل. وسمي الإسناد في هذين القسمين من الكلام (عقلياً) لاستناده إلى العقل دون الوضع[2].

ولعل من المفيد أن نشير هنا إلى أن هذا النوع من المجاز قد تعددت أسماؤه، فسماه الجرجاني (المجاز الحكمي) وسمي (المجاز العقلي) و(المجاز الإسنادي) أو الإسناد المجازي، ويبدو أن المعنى القريب للواقع اللغوي، هو أن في (المجاز العقلي) يكون الفعل أو ما في معناه مسنداً إلى غير ما أسند إليه، لقرينه تمنع الإسناد الأصلي (الواقعي). يقول جمهور البلاغيين (إن الفعل المبني للفاعل في المجاز العقلي، واجب أن يكون له فاعل في التقدير إذا أسند إليه صار الإسناد حقيقة لما يشعر بذلك تعريفه. وذلك قد يكون ظاهراً كما في قوله تعالى﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦].

---

(١) الطراز ١: ٧٠.

(٢) الايضاح: ٢٢.

أي: (فما ربحوا في تجارتهم)، وقد يكون خفياً لا يظهر إلا بعد نظر وتأمل[1]. وذكر بعض البلاغيين المعاصرين؛ أن (تسمية هذا النوع من المجاز (عقلياً) قريبة من معناها، لأن (التجوز يفهم من العقل لا من اللغة كما في المجاز اللغوي)[2]. ولا ندد مثل هذا النوع من المجاز إلا في نسق (التركيب – أو ما في حكمه – أي في تغيير علاقة الإسناد – يقول شيخ البلاغيين – عبد القاهر الجرجاني (أنت ترى مجازاً في هذا كله، ولكن لا في ذوات الكلم، وأنفس الألفاظ ولكن في أحكام أجريت عليها. أفلا ترى أنك لم تتجور في قولك: (نهارك صائم وليلك نائم) في نفس صائم وقائم ولكن في أن أجريتها خبرين على النهار والليل. ثم إنما التجوز في الإسناد، والعقل هو الذي يحكم في إثبات الفعل أو عدمه.

(١) المصدر السابق: ٢٩.

(٢) جواهر البلاغة: ٢٩٦.

المبحث الثاني

استعمال المنهج التحليلي لدراسة المجاز العقلي في التطبيق القرآني

من أهداف هذه الدراسة تحليل بعض الأساليب العربية التي يحذف فيها الفاعل، بقصد الكشف عن بعض الفوائد اللغوية والبلاغية ومن هذه الأساليب (المجاز العقلي) ولتحقيق تلك الأهداف اقترحنا منهجاً يقتضي تحليل النص الكريم إلى مستويين؛ الأول: هو الظاهر المكتوب الذي حذف فيه الفاعل (أي الواقعي أو الحقيقي بالاحتكام إلى العقل) فأسند الفعل إلى غير ذلك الفاعل الأصلي.

أما المستوى الثاني: فهو المستوى الأصلي (الحقيقي)، وفيه يكشف عن الفاعل الحقيقي الذي يسند إليه الفعل واقعاً أو حقيقة. ثم نوازن بين المستويين لتوضيح بعض الفوائد اللغوية والدلالية التي تحققت بالعدول عن المستوى الأول، إلى المستوى الثاني (المجازي) الذي يحذف فيه الفاعل ليسند الفعل إلى غيره، مع محاولة الإجابة عن سؤال افتراضي هو: ما الفائدة اللغوية التي حققها ذلك العدول إلى أسلوب المجاز العقلي؟ وقد وصف (عبد القاهر الجرجاني) هذا الأسلوب بأنه (كنز من كنوز البلاغة) ومادة الشاعر المفلق والكاتب البليغ في الإبداع والإحسان والاتساع في طرق البيان، وأن تجيء

بالكلام مطبوعاً مصنوعاً، وأن يضعه بعيد المرام قريباً من الأفهام[1]. ونقترح تقسيم الجانب التطبيقي من هذا المبحث إلى نمطين:

شواهد النمط الأول:

أما النمط الأول: فمن شواهده قوله تعالى ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ١٠٤]. المستوى الظاهر (المجازي) أسند الفعل (ضل) إلى لفظ (سعيهم) وحذف الفاعل الحقيقي والمستوى الأصلي (الحقيقي): الذين ضلوا في سعيهم، فقد حذف الفاعل الحقيقي فأسند الفعل (ضل) إلى غير فاعله الحقيقي و(الضلال) خطأ السبيل شبه سعيهم غير المثمر بالسير في طريق موصدة و(السعي): المشي في شدة، وفي السياق الكريم مجاز في العمل، وهو مجاز لأنه أسند (الضلال) إلى (سعيهم) ومن السياقات الكريمة التي استشهد بها كثير من البلاغيين قوله عز وجل: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦]. المستوى الظاهر المجازي أسند فيه الفعل (ربحت) إلى لفظ (تجارتهم)، وحذف الفاعل الحقيقي.

المستوى الأصلي (الحقيقي): (فما ربحوا في تجارتهم) فأنت ترى أن الآية أسندت الفعل (ربحت) إلى لفظ (تجارتهم)، على عادة العرب: ربح بيعك، وهو إسناد مجازي. يقول الجرجاني في (دلائل الاعجاز): (ليس المجاز في الآية في لفظ (ربحت) نفسها ولكن في إسنادها إلى التجارة)[2]. وفصل (القزويني)[3] القول، فذكر (أن الفعل المبني للفاعل في المجاز العقلي واجب أن يكون له فاعل في التقدير إذا أسند إليه صار الإسناد حقيقة، لما يشعر بذلك تعريفه كما

---

(١) دلائل الإعجاز: ٢٨٣.

(٢) المصدر نفسه: ٢٨٢.

(٣) الايضاح: ٢٧.

سبق، وذلك قد يكون ظاهراً كما في قوله تعالى (ما ربحت تجارتهم) أي: (فما ربحوا في تجارتهم) ومثله قوله تعالى ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء: ٥٩] ففي الآية الكريمة: أسند (المنع) إلى (تكذيب الأولين بالآيات) وحذف الفاعل الحقيقي.

المستوى الأصلي (الحقيقي): ما سبب منعنا من أن نرسل بالآيات إلا تكذيب الأولين بها. وأعلم أن (أن) الأولى مفيدة مصدراً منصوباً على الخافض، وهو (من) التي يتعدى بها فعل (المنع)، وهذا الحذف مطرد مع (أن). و(أن) الثانية مصدرها فاعل (منعنا) على الاستثناء المفرغ، و(التكذيب) سبب المنع. ومثله أيضاً قوله عز وجل ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾ [الكهف: ٥٥]. فقد أسند (منعهم الإيمان) إلى (إتيان سنة الأولين) أو إلى (إتيان العذاب) وقد حذف الفاعل الحقيقي. ويبدو أن المستوى الأصلي للتركيب هو: (ما منع الناس أن يؤمنوا) إلا سبب إتيان سنة الأولين لهم إتيان العذاب، أو: أنه لا يوجد مانع يمنعهم الإيمان يخولهم المعذرة به، ولكنهم جروا على سنن من قبلهم من الضلال.

وتأمل قوله عز وجل ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ [القصص: ٣٤]. فإن قوله تعال (يصدقني) مستويين: فقد أسند (التصديق) إلى (هارون) لأنه سببه وحذف الفاعل الحقيقي. المستوى الأصلي (الحقيقي): (يصدقني) أي: المصدقون حقيقة هم الذين حصل لهم العلم بأن موسى (عليه السلام)، صادق فيما جاء به. ونقرأ أيضاً قوله تعالى: إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي ...﴾ [المؤمنون ١٠٩: ١١٠]. فقد أسند (الإنساء) إلى (الفريق)، لأنه سببه أو: مجاز بالحذف هنا بتقدير

(حتى أنساكم السخرية بهم ذكري) المستوى الأصلي (الحقيقي): بسبب (السخرية) نسيتم ذكرى.

ونقرأ أيضاً قوله عز وعلا ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلاَمًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٩]. قرأ الجمهور (لأهب) بهمزة التكلم بعد (لام) العلة. فقد أسند (الهبة) إلى الضمير المستتر العائد إلى (نفسه) لأنه سبب هذه (الهبة) فاقتضى ذلك حذف الفاعل الحقيقي. المستوى الأصلي (الحقيقي) (إنما أنا رسول ربك لأكون سبباً يهب ربك به لك (غلاماً زكياً) (ويسند هذا التقدير قراءة (أبو عمرو) و(ورش عن نافع) (ليهب) بـ (ياء الغائب) أي: ليهب ربك لك ..ونتأمل قوله تعالى: ﴿جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ [يوسف: ٧٠] أسند جعل السقاية إلى ضمير يوسف (عليه السلام)، وحذف الفاعل الحقيقي. المستوى الأصلي أمر يوسف (عليه السلام) الموكلين بالكيل بجعل السقاية في رحل أخيه. لأن (يوسف) أمر بالجعل، و(السقاية): إناء كبير يسقى به الماء[1]. وقال عز وجل ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ [يس: ٤٩]. فقد أسند (الأخذ) إلى (الصيحة) و(الصيحة) هي وقت (الأخذ). المستوى الأصلي (الحقيقي) تأخذهم سيوف المسلمين. ونظيره قوله تعالى ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ﴾ [المؤمنون: ٤١]. والمستوى الأصلي (الحقيقي) للتركيب: (أخذوا بالصيحة) وهي صوت الصاعقة، وسبب الأخذ، فالأخذ مستعار للإهلاك، أي: (هلكوا بالصيحة)، فكأن (الصيحة أخذتهم أخذاً ملابساً للحق[2] ويأتي في هذا المساق قوله عز وجل ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ [القيامة: ٧]. فقد أسند الفعل (برق) إلى لفظ (البصر)، وهو غير فاعله الحقيقي وهو ما يسمى الإسناد المجاز العقلي. وأصل التركيب: فإذا برق (البرق) لكن السياق عدل عنه فحذف الفاعل الحقيقي، وأسند الفعل (برق) إلى

(١) التحرير والتنوير ١٣: ٢٧.

(٢) المصدر نفسه ١٨: ٥٩.

(البصر) تنزيلاً له منزلة مكان (البرق) لأن البرق إذا خطف أمام عيني الإنسان، سهت وشخص بصره، أما قوله تعالى ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ [النازعات: ٦]. فقد ذكر بعض المفسرين أنه: يجوز أن يكون إسناد (ترجف) إلى (الراجفة) مجازاً عقلياً؛ أطلق (الراجفة) على سبب الرجف، فالمراد بـ (الراجفة)؛ الصيحة والزلزلة التي ترجف الأرض بسببها فجعلت هي (الراجفة) مبالغة، كقوله عز وجل (عيشة راضية). وهذا هو المناسب لقوله ﴿تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٧]. أي: تتبع لك (الراجفة)، أي مسببة الرجف رادفة، بمعنى: واقعة بعدها[1]. وأنعم النظر في قوله عز وعلا ﴿وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨] فقد أسند الفعل (تعد) على لفظ (عيناك) وهو غير فاعله الحقيقي أي: نهى العينيين عن أن تعدو عن الذين يدعون ربهم، أي: لا تبعدوا عنهم. المستوى الأصلي (الحقيقي)..(ولا تعدي عينيك عنهم) لأن المقصود من السياق إبراز دلالة الإعراض، ضمن فعل (العدو) فعدي إلى المفعول بـ (عن) وكان حقه أن يتعدى إليه بنفسه. ومعنى (عداه: جاوزه، ونهي العينيين؛ نهى صاحبها) فأنت ترى إيجازاً بديعاً[2]. ومثله قوله تعالى ﴿... وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ ...﴾ [هود: ٣١]. أسند الفعل (تزدري) إلى لفظ (أعينكم) بأسلوب المجاز العقلي. المستوى الأصلي (الحقيقي) (تزدري أنفسكم بسبب ما تشاهده الأعين..) من صفات تؤثر رؤيتها في نفوسكم.

فـ (الازدراء): على وزن (افتعال) من (الزري) وهو الاحتقار وإلصاق العيب وأصله (ازتراء)، قبلت (تاء) الافتعال (دالاً) بعد (الزاي) وإسناد (الازدراء) إلى (الأعين) إنما هو أفعال النفس، مجاز عقلي. ونظيره قوله عز وجل ﴿سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ [الأعراف: ١١٦]. وإنما سحروا عقولهم، ولكن الأعين

---

(١) التحرير السابق "التحرير والتنوير" ٣٠: ٦٧.

(٢) المصدر نفسه ١٥: ٣٠٥.

ترى حركات السحرة، فتؤثر رؤيتها على عقول المبصرين[1]. ونظيره إسناد (الفرق) إلى الأعين في قول الأعشى:

كذلك فافعل ما حييت إذا شتوا وأقدم إذا ما أعين الناس تَفرَقُ

ثم تأمل قوله تعالى ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [يوسف: ٤٨]. أسند الفعل (يأكلن) إلى سنوات (سبع شداد) وحذف الفاعل الحقيقي المستوى الأصلي (العميق) (يأكل هؤلاء الناس في تلك السنين العجاف) (ما قدمتم لهن إلا قليلاً) لأن إسناده بهذا الإطلاق إلى السنين إسناد مجازي، لأنهن زمن وقوع الفناء. أما قوله عز من قائل ﴿فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [فاطر: ٥]. فقد أسند (التغرير) إلى (الحياة الدنيا) المستوى الأصلي (الحقيقي) (فلا يغرنكم) ذهب بعض المفسرين إلى أن (..فاعل التغرير حقيقة هم الذين يضلونهم بالأقيسة الباطلة، فيشبهون عليهم إبطاء الشيء باستحالته، فذكرت هنا وسيلة التعزيز وشبهته. ثم ذكر بعده الفاعل الحقيقي للتغرير وهو (الغرور) بفتح الغين من يكثر من التغرير، والمراد به الشيطان بوسوسته وما يليه في نفوس رعاة الضلالة من شبه التمويه للباطل[2]. وقيل (الغرور): كل ما يغر الإنسان من (مالٍ) و(جاه) و(شهوة) و(شيطان) وقد فسر الشيطان، إذا هو أخبث الغاوين[3]. ومما يجري هذا المجرى قوله تعالى ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]. أسند الفعل (ينزغن) إلى الاسم المرفوع (نزغ) لعلاقة المصدرية بين الفعل (ينزغن) وما أسند إليه (نَزْغٌ) وهو من باب: (جد جده). المستوى الأصلي (الحقيقي) (ينزغنك نازغ)، والنزغ: النحس وحقيقته؛ مس شديد للجلد بطرف إصبع أو عود.

---

(١) التحرير والتنوير ١٢: ٥٧.

(٢) المصدر نفسه ٢١: ١٩٥.

(٣) المفردات في غريب القرآن: ٣٥٨.

شواهد النمط الثاني:

أما النمط الثاني: فيتضمن تعدد فنون حذف الفاعل في سياق واحد: فقد كثر أن يتضمن القول الكريم موضعين مجازيين أو أكثر من فنٍ واحد أو من فنون متنوعة بحسب مقتضى السياق والمقام. ومن شواهد هذا النمط قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ [المزَّمل: ١٧].

في السياق الكريم موضعان متناسقان من مواضع حذف الفاعل بأسلوب (المجاز العقلي) وقد توسط السياق لفظ (اليوم)، فإليه ينتهي (المجاز الأول) ليبدأ المجاز الثاني، وقد طوى (كناية) أيضاً. وقد جاء نظمه على النحو الآتي:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا﴾ [المزَّمل: ١٧] أي: ليس بمقدوركم أن تتقوا – إن كنتم كافرين – يوم الحساب.

المستوى الأصلي (الحقيقي): ليس بمقدوركم أن تتقوا عذاب يوم الحساب إن كنتم كافرين.

الموضع الثاني: قوله عز وجل (يوماً يجعل الولدان شيباً) أسند (جعل الولدان شيباً) إلى لفظ (اليوم) وحذف الفاعل الحقيقي.

المستوى الأصلي الحقيقي: الفاعل الحقيقي: ما يقع في ذلك اليوم من الأهوال والأحزان. وقد شاع عند الناس أن (الهم) مما يسرع به الشيب. أي: لما أريد وصف ذلك اليوم بالشدة البالغة أسند إليه شيب الولدان الذين شعرهم في أول سواده.

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور في وصف بلاغة هذا السياق: (هذه مبالغة عجيبة، وهي من مبتكرات القرآن فيما أحسب لأني لم أر هذا المعنى في كلام العرب) وإسناد (يجعل الولدان شيباً) إلى (اليوم) مجاز عقلي بمرتبتين لأن ذلك اليوم، يوم زمن الأهوال التي تشيب لمثلها الأطفال، والأهوال سبب الشيب

عُرْفاً، و(الشيب) كناية عن هذا الهول فاجتمع في الآية الكريمة مجازان عقليان وكناية في قوله عز وجل (يجعل الولدان شيباً)[1]. وأنعم النظر في قوله عز وعلا ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا﴾ [القصص: ٣٨]. فقد تضمن القول الكريم موضعين حذف فيهما الفاعل الحقيقي، فأسند الفعل لغير فاعله في سياق المجاز العقلي، أما الموضع الأول فهو قوله تعالى ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ﴾ [القصص: ٣٨].أسند (الإيقاد) إلى (هامان) فاقتضى ذلك حذف الفاعل الحقيقي. المستوى الأصلي (الحقيقي) (فأمر لي يا هامان جنودك – أو أتباعك من العمال والمنهدسين – أن يوقدوا على الطين). باعتبار أن هامان هو الذين يأمر بذلك، كما يقال: بني المنصور بغداد. فأنت ترى أن الفعل (أوقد) قد عدل عن إسناده الأصلي، إلى إسناد مجازي علاقته بالمستوى الأصلي، علاقة السبب، لأن (هامان) لا يباشر الفعل بنفسه، فهو وزير (فرعون) وإنه السبب الأمر بالبناء، فالفعل مسند إلى السبب إذ حذف الفاعل الحقيقي. ولعل من المفيد أن نشير هنا إلى أن المجاز جاء في سياق جملة إنشائية، ومعنى ذلك أن المجاز العقلي لا يختص بسياق الخبر دون الإنشاء. أما الموضع الآخر، فهو قوله عز وجل (فاجعل لي صرحاً) أسند (البناء) إلى (هامان) وحذف الفاعل الحقيقي. المستوى الأصلي (الحقيقي)..(فأمر يا هامان أتباعك أن يجعلوا (لي صرحاً) ومثله أيضاً قوله عز وجل ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا﴾ [غافر: ٣٦].

ونقرأ قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى فَحَشَرَ فَنَادَى﴾ [النازعات:٢٢-٢٣]. فقد تضمن أكثر من لون مجازي؛ فـ (الإدبار) و(السعي) مستعملان في معنييهما المجازين؛ لأن حقيقة (الإدبار) هو، المشي إلى الجهة التي خلف الماشي. وهو هنا مستعار للإعراض عن دعوة الداعي. أما السعي فحقيقته؛ شدة المشي، وهو هنا

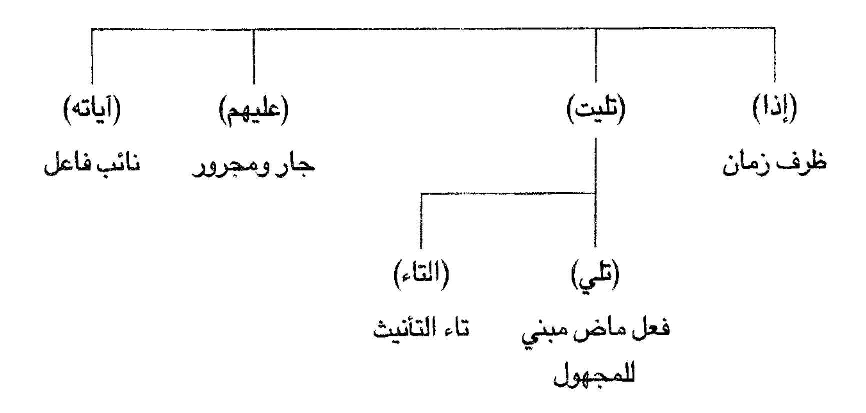
---

(١) التحرير والتنوير ٢٩: ٢٧٥، ٢٧٦.

مستعار للحرص والاجتهاد في أمره الناس بعدم الإصغاء لكلام موسى. أما قوله عز وجل (فحشر فنادى) فقد أسند (الحشر) و(النداء) إلى (فرعون) من باب إسناد المجاز العقلي. لأن فرعون لا يباشر بنفسه (حشر) الناس ولا نداءهم، ولكنه يأمر أتباعه وجنده بحشر الناس. المستوى الأصلي (الحقيقي): أمر فرعون جنده بحشر الناس وندائهم. فالفاعل الحقيقي ليس (فرعون) الذي أسند إليه الفعل. ولكن نسب إليه الفعل لكونه الآمر به.

وقد تتنوع فنون حذف الفاعل في سياق قرآني واحد، كما في قوله تعالى ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢].

إذ نبدأ الآية الكريمة بأسلوب المبني للمجهول؛ إذ قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ﴾



فقد تصدرت إذا الظرفية التي تجردت من الدلالة الزمنية، لتدل على الدوام والاستمرار ثم جاء الفعل الماضي (تليت) مبنياً للمجهول، فحذف الفاعل، لينوب المفعول (آياته) عن الفاعل.

يقول أهل اللغة (التلاوة: القراءة واستظهار ما يحفظه التالي من كلام له أو لغيره يحكيه لسامعه، وآيات الله؛ (القرآن): سميت آيات لأن وحيها إلى النبي محمد (ﷺ) وعجز قومه خاصتهم وعامتهم عن الإتيان بمثلها بما فيه دلالة على صدق ما جاء بها فلذلك سميت (آيات) ويسمى القرآن كله آية باعتبار دلالة جملته على صدق النبي محمد (ﷺ)..أما الموضع الثاني الذي حذف فيه الفاعل الحقيقي، وأسند مجازاً إلى غير فاعله، فهو قوله عز وعلا (...زادتهم إيماناً) أسند الفعل (زاد) إلى الضمير العائد إلى (الآيات) وتقديره: هي لأنها سبب تلك الزيادة للإيمان باعتبار حال من أحوالها وهي تلاوتها.

المستوى الأصلي (الحقيقي) زاد إيمانهم بتلاوة آيات القرآن عليهم. وزيادة الإيمان: قوة اليقين في نفس الموقن.

فالإسناد هنا بأسلوب المجاز العقلي، وهو الذي يقتضي حذف الفاعل ليسند الفعل لغيره. قال أهل البلاغة (جعلت الآيات بمنزلة فاعل (الزيادة) في الإيمان كما يقال: (ازداد إيمان فلان). أو: (ازداد فلان إيماناً). بطريق ما يدل على المطاوعة، وإنما الفاعل الحقيقي عنهم من يأتي بالفعل ويصنعه، كالكاتب للكتابة، والضارب بالسيف للقتل.

ومما يجري سياق الآية السابقة قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤ - ١٢٥]. ونقرأ قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ [الواقعة: ١-٣].

فإن معنى (وقعت الواقعة)؛ تحقق ما كان متوقعاً وقوعه، لأنهم كانوا يتوعدون بواقعة عظيمة، فيومئذ يتحقق ما كانوا يتوعدون به، فعبر عنه بفعل المضي تنبيها على تحقق حصوله. فالمراد بـ (الواقعة) هنا القيامة فجهل هذا

الوصف علماً لها بالغلبة في اصطلاح القرآن، كذلك لفظ (الحاقة) و(القارعة).
وإسناد (الخفض) و(الرفع) إلى لفظ (الواقعة)؛ مجاز عقلي إذ هي وقت ظهور ذلك
ولعل من المفيد أن نشير هنا إلى أن في ركني الإسناد (خافضة رافعة) من الألفاظ
(الطباق) في سياق واحد.

فأنت ترى أن هناك أسلوباً ثالثاً يحذف فيه الفاعل الحقيقي فيؤثر السياق لفظاً يكون فاعلاً بأسلوب المجاز العقلي ويحتفظ الفاعل المذكور (المكتوب) بعلاقة لفظية دالة على الفاعل الحقيقي المحذوف.



الفصل الرابع

حذف الفاعل لدلالة المقام



الفصل الرابع

حذف الفاعل لدلالة المقام

يتضمن هذا الفصل مبحثين:

- المبحث الأول: موقف أهل اللغة من الإضمار والحذف
- المبحث الثاني: التطبيق في القرآن الكريم

المبحث الأول: موقف أهل اللغة من الإضمار والحذف

قال جمهور النحاة:[1] إن الفاعل لابد منه في الجملة الفعلية فإن ظهر في اللفظ فذاك، وإلا فهو ضمير مستتر راجع؛ إما لمذكور كـ (زيد قام) أو لما دل عليه الفعل. أو لما دل عليه الكلام أو الحال المشاهدة. أي: إذا ذكرت الفعل. فلابد له من فاعل يقع بعده، ظاهراً – منفصلاً أو متصلاً – أو: مضمراً، أو: محذوفاً منوياً عنه. لأنهم يرون الفاعل والفعل كالشيء الواحد، فهما متلازمان، فكأن (الفاعل شغل بالفعل) أو (الفاعل فرع للفعل)، فقد بني الفاعل إذ أسند له، فهما بمعنى واحد. وإذا وجد الفعل في التركيب، ولم يظهر الفاعل فهو مضمر عندهم يقول

(١) ينظر/الكتاب ١: ٦٩؛ المقتضب ٢: ٦٠، الأصول ١: ٨٣. أمالي السهيلي: ١٥٢، أوضح المسالك ١: ١٩٩، شرح شذور الذهب: ١٣٤، الأشباه والنظائر ٢: ٨٣، همع الهوامع ١: ١٠٩.

الجرجاني (وتضمر لقوله تعالى ﴿رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ [الفجر: ١٥]. فاعلاً. وقال أيضاً (وأما من قال إن الفاعل هنا محذوف، لأجل أن الفعل لابد له من فاعل. فإن يقال: إنه مضمر على شريطة التفسير أدل من أن يقال إنه محذوف)[1]..

ويبدو أن للنحاة في هذه المسألة عدة مواقف منها:

فالموقف الأول: اختاره كثير من النحاة، فالفاعل يضمر ولا يحذف. والفرق بين (الحذف) و(الإضمار)؛ أن شرط المضمر بقاء أثر المقدر في اللفظ، وهذا لا يشترط في الحذف، ويدل على ذلك أنك تعني بـ (أضمرت الشيء) إذا أخفيته. وأما الحذف؛ فمن حذفت الشيء قطعته، وهو يشعرك بالطرح بخلاف الإضمار، فإنك تضمر الفاعل في لفظ الفعل، ولا تحذفه، كحذف المبتدأ.

والموقف الثاني: ينسب إلى (ابن النحاس في كتابه (التعليقة)...) أن المشهور؛ امتناع حذف الفاعل إلا في ثلاثة مواضع أحدها: إذا بني الفعل للمفعول نحو (ضرب زيد) فهاهنا حذف الفاعل وهو غير مراد. الثاني: في المصدر إذا لم يكن معه الفاعل مظهراً ولا يكون مضمراً، لأن المصدر غير مشتق عند البصريين، فلا يحتمل ضميراً، بل يكون الفاعل محذوفاً مراداً نحو: يعجبني ضرب زيداً، ويعجبني شرب الماء.

الثالث: إذا لاقى الفاعل ساكناً من كلمة أخرى، كقولك للجماعة (اضربوا القوم) وللمخاطبة (أضربي القوم). فتقول على الحذف للجماعة: (أضرب القوم) وللمخاطبة (أضربِ القوم)[2] أو: لا يصدنك، وللمخاطبة: لا تضربن.

الموقف الثالث: نقل عن (الكسائي) أنه جوز الحذف مطلقاً لدليل، وتابعه على

---

(١) المقتصد ١ : ٣٣٧.

(٢) البرهان ٣: ١٤٣، الاشتباه والنظائر ٢: ٧٨، الإتقان ٣: ١٨٧.

ذلك (السهيلي)[1] و(ابن مضاء)[2]، وقيل إن (الأخفش) سعيد بن مسعدة: جوز حذف الفاعل خلافاً لسيبويه[3] مستشهداً بمثل قوله تعالى ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ [مريم: ٣٨]. ولعل من المفيد أن نعرض هنا بعض الملاحظات:

الأولى: يفهم من قول النحاة أن المقصود بـ (المضمر) ما لابد منه والمقصود بـ (المحذوف)؛ ما قد يستغني عنه.

فـ (النحويون) يفرقون بين (الإضمار) و(الحذف) لأنهم يرون أن الفاعل يضمر ولا يحذف.

الثانية: حين يتحدث النحاة عن مواضع الحذف، يصرحون بأن المبتدأ قد يحذف ولا يجوز حذف الفاعل.

وهذا فرق صنعه الاصطلاح النحوي، فإن المبتدأ لا يذكر في الجملة فيقولون هو: محذوف.

والفاعل لا يذكر فيقولون هو: مستتر.

الثالثة: ما الذي يمنع أهل النحو من اختيار الرأي الذي ذكره (الكسائي) وأجاز فيه حذف الفاعل، كما يجوز حذف (المبتدأ) أو (الخبر) لدلالة السياق عليه.

وقد يحقق هذا الاختيار فائدة أخرى هي: توحيد المصطلح النحوي في الجملة الاسمية والجملة الفعلية، وهو الحذف.

---

(١) شرح التصريح على التوضيح ١: ٢٧٢.

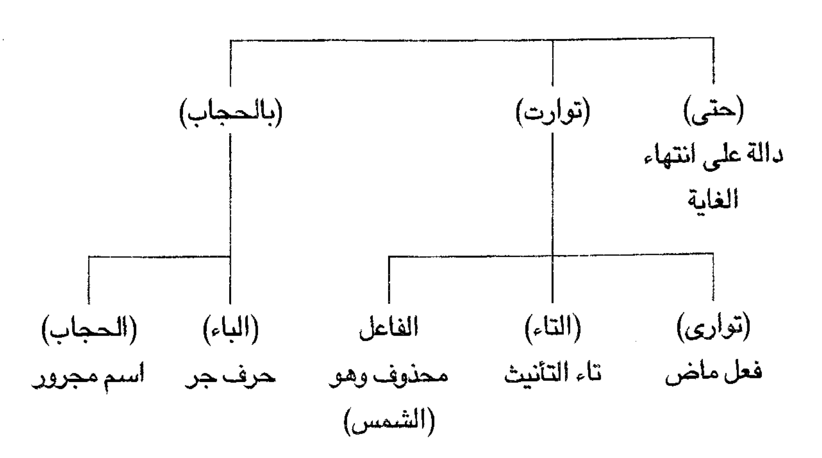
(٢) الرد على النحاة: ٥٢.

(٣) شرح الكافية ١: ١٨٥.

المبحث الثاني: التطبيق في القرآن الكريم

شواهد قرآنية كريمة حذف فيها الفاعل، وموقف النحاة والمفسرين منها

التزم منهج هذه الدراسة الاحتكام إلى الشاهد القرآني لاختبار دقة الرأي، وبيان مدى صوابه. فالشاهد القرآني هو ما تسعى الدراسة إلى التقرب منه، لتقويم الرأي المختار الذي ذكره (الكسائي)، وأجاز به حذف الفاعل. ومن المواضع التي ذكرها كثير من المفسرين والنحاة، وقد حذف الفاعل فيها: قوله تعالى ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢].



قال أهل اللغة: (التواري): الاختفاء، و(الحجاب) الستر في البيت الذي تحتجب وراءه المرأة. و(التواري بالحجاب): مجاز، إذا تضمن السياق الكريم

تمثيلاً لحالة غروب الشمس بتواري المرأة وراء الحجاب، وكل من أجزاء هذه التمثيل مستعار؛ فللشمس استعيرت (المرأة) على طريقة الاستعارة المكنية. ولاختفائها عن الأنظار استعير (التواري). ولأفق غروب الشمس استعير (الحجاب)[1].

وقد فسر ابن قتيبة نظم القول الكريم، فذكر أنه الإضمار لغير المذكور للاختصار واستشهد بقول حاتم الطائي:

أماوي ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

فإنه يعني بقوله (إذا حشرجت يوماً)؛ النفس..[2]. أي: أن الفاعل محذوف دل عليه المعنى. واستشهد (الطبري) بقول (حاتم الطائي)؛ منبهاً إلى أن: (العرب تفعل ذلك كثيراً إذا كان المعنى مفهوماً عند سامعي الكلام..) وإذا أنعمت النظر في نظم الجملة وجدت أنه يدل على أن الفاعل المحذوف هو (الشمس) وإن لم يجر لها ذكر، ولكن دلت عليها الحال[3] أو المقام. ويبدو أن هذا الرأي لا يتقاطع مع شرط جمهور النحاة أن: (لابد للمضمر من جري ذكر أو دليل ذكر)[4]. لأن ضمير (توارت)؛ للشمس بقرينة ذكر (العشي) وفي (حتى) دلالة على الغاية. ولا تخفى على المتدبر للقول الكريم تلك الدقيقة اللغوية، وهي: تلك المجانسة الرائعة والانسجام العظيم بين نسج الجملة في مستواها (النحوي) إذ (حذف الفاعل) من تركيب الجملة. وبين المستوى (الدلالي) الذي تضمن اختفاء الفاعل (الشمس) عن الأنظار. وقد انساق المستويان في أسلوب (الاستعارة التمثيلية) فلا تتحقق هذه

---

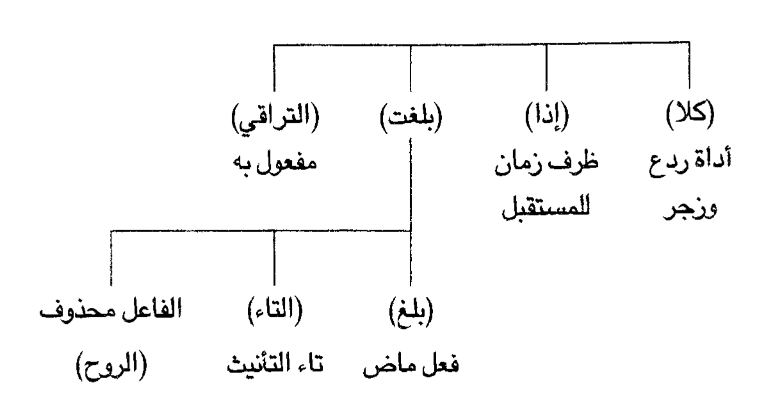
(١) الكشاف ٤: ٨٩-٩٠، ينظر أيضاً التحرير والتنوير ٢٣: ٢٥٦.

(٢) تأويل مشكل القرآن : ٢١١.

(٣) البيان في غريب القرآن ٢: ٤١٧، ٣١٥، إملاء ما من به الرحمن ٢: ٢١٠.

(٤) الكشاف ٤: ٨٩.

(النكتة) وغيرها إذا أظهرت الفاعل وهو (الشمس) فتقول (حتى توارت الشمس بالحجاب). وأنت تعلم أن قرينة السياق تدل على أن إظهار لفظ (الشمس) في ذكر الأوقات كثير في كلام العرب(١). ونقرأ قوله عز وجل ﴿كَلاَّ إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ﴾ [القيامة: ٢٦].



فأنت ترى أن القول الكريم قد حذف منه الفاعل، وأن ضمير (بلغت) راجع إلى غير مذكور في الكلام، ولكنه يفهم من دلالة السياق أي: من الفعل (بلغت) ومن ذكر (التراقي) فإن علاقات النظم الكريم تدل على أنها (روح الإنسان)، وتقدير الكلام: (إذا بلغت الروح) وقيل (النفس)(٢). وقد ذكر بعض النحاة أن الفعل (بلغت)، يدل على أن الفاعل المحذوف هو: (النفس) وإن لم يجر لها ذكر، لأن

---

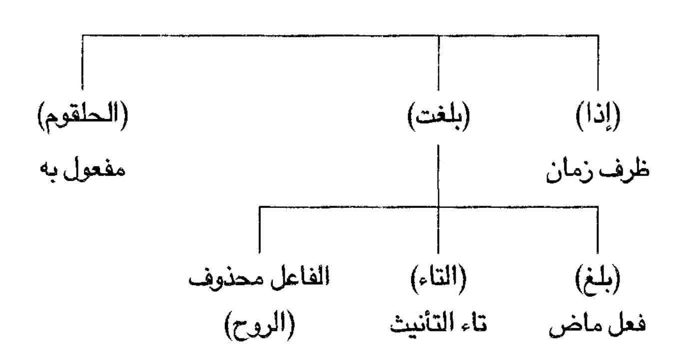
(١) التحرير والتنوير ٢٣: ٢٥٦.

(٢) البحر المحيط ٢٩ : ٣٥٧.

الكلام الذي وقعت فيه يدل عليها . تقول العرب (أرسلت) يريدون: أرسلت السماء مطراً، ولا تكاد تسمعهم يذكرون السماء[1].

ثم تأمل ذلك التناسق البديع بين المستوى النحوي إذ حذف فعل الفاعل (بلغت) وبين المستوى الدلالي لمضمون الجملة (إذا بلغت روح الإنسان عند الموت تراقيه). وقال من حوله (من راق) أي: هل من مداو..[2]. فالآية تذكرهم بصعوبة الموت وهو أول مراحل الآخرة حتى؛ تبلغ الروح التراقي..فكأنها فارقت الجسد، واختفت عنه لترتقي إلى خالقها..

ومما يجري هذا المجرى قوله تعالى ﴿...إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾ [الواقعة: ٨٣].



فأنت ترى أن الفاعل محذوف من الجملة لكنه مفهوم من السياق، لأن التي (تبلغ الحلقوم) هي (الروح).

وتأمل قوله عز وعلا ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾ [يوسف: ٣٥]. فأنت ترى الفعل (بدا) قد حذف فاعله. وقد ذكر النحاة في الفعل (بدا) ثلاثة أوجه:

---

(١) الكشاف ٤: ٦٥١، ينظر أيضاً: شرح التصريح ١: ٢٧٢.

(٢) معاني القرآن ١٣: ٢١٢.

الأول: فاعل (بدا) محذوف، وقوله تعالى (ليسجننه) قائم مقامه أي: (بدا لهم السجن)، فحذف، وأقيمت الجملة مقامه[1].

الثاني: أن الفاعل مصدر مقدر دل عليه الفعل (بدا)، وتقديره: (ثم بدا لهم بداءً)، وإلى هذا الوجه ذهب (المبرد)[2] بقوله (فاعله المصدر الذي دل عليه بدا)

الثالث: أن يكون الفاعل محذوفاً، وإن لم يكن في اللفظ ما يقوم مقامه وتقديره: (ثم بدا لهم رأي، ليسجننه) وقيل: إن جملة (ليسجننه) جواب قسم محذوف؛ والتقدير: (بدا لهم ما يدل عليه هذا القسم) أي: بدا لهم تأكيد أن يسجنوه[3] ويبدو أن الوجه الثالث أقرب إلى الواقع اللغوي؛ فمعنى (بدالهم): ظهر لهم[4]. والفاعل للفعل (بدا) ضمير يفسره ما يدل عليه المعنى، أي: (بدا لهم رأي ليسجننه).

ولعل من المفيد أن نشير في نهاية هذا البحث إلى أن (الزركشي)[5] قد نبه إلى مواضع أخرى جاز فيها حذف الفاعل. نحو قوله تعالى ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ [الصافات: ١٧٧]. يعني: (نزل) العذاب (بساحتهم) لقوله قبل ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الصافات: ١٧٦]. ونحو قوله عز وجل ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ﴾ [النمل: ٣٦] تقديره: فلما جاء الرسول سليمان. ومعنى ذلك أن تلك الشواهد، وما سبقها من مواضع، تؤكد الرأي القائل بجواز (حذف الفاعل مطلقاً إذا دل عليه دليل).

---

(١) الكتاب ١: ٤٥٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٩: ١٨٩.

(٣) الكشاف ٢: ٤٥٠.

(٤) التحرير والتنوير ١٢: ٢٦٨.

(٥) البرهان في علوم القرآن ٣: ١٦٢.

المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم

- أبنية الأفعال في اللغة العربية – أحمد محمد الشيخ – منشورات جامعة السابع من أبريل – ط(١) – ١٤٢٥ ميلادي.
- الإتقان في علوم القرآن – السيوطي – تحقيق / أبي الفضل إبراهيم – مكتبة ومطبعة الحسيني.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب – أبو حيان الأندلسي – تحقيق وتعليق مصطفى أحمد النحاس – مطبعة المدني – مصر – ط(١) ١٩٨٧م.
- أسرار البلاغة – عبد القاهر الجرجاني – شرح وتعليق وتحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي ود. عبد العزيز شرف – دار الجيل – بيروت، لبنان ط(١) ١٩٩١.
- الاشباه والنظائر في النحو – السيوطي – راجعه وقدم له د. فايز ترحيني دار الكتاب العربي ط(١) – ١٩٨٤.
- الأصول في النحو: أبو بكر بن السراج – تحقيق د. عبد الحسين الفتلي مطبعة النعمان – النجف (العراق) ١٩٧٣.
- إعراب القرآن – أبو جعفر النحاس – تحقيق د. زهير غازي زاهد – مكتبة النهضة العربية – بيروت – ط٣ – ١٩٨٨.
- أمالي السهيلي – أبو القاسم عبد الرحمن الأندلسي – تحقيق د. محمد إبراهيم البنا.
- إملاء ما من به الرحمن – أبو البقاء العكبري – تحقيق د. إبراهيم عطوة عوض – مطبعة البابي الحلبي ط(٢) ١٩٦٩.

- أوضح المسالك على ألفية ابن مالك – ابن هشام – تحقيق د. هادي حسن حمودي الحمداني – دار الكتاب العربي – بيروت لبنان – ط(٤) ١٩٩٢.
- الإيضاح في علوم البلاغة – الخطيب القزويني – تحقيق وتعليق لجنة من أساتذة اللغة العربية بالجامع الأزهر – دار اقرأ.
- البحر المحيط – أبو حيان الغرناطي – دار الفكر للطباعة والنشر – ١٩٧٨ ط(٢).
- البرهان في علوم القرآن – بدر الدين الزركشي – تحقيق أبي الفضل إبراهيم مطبعة البابي الحلبي – مصر ١٩٧٢.
- البيان في غريب إعراب القرآن – ابن الأنباري – تحقيق د. طه عبد الحميد طه – الهيئة المصرية للتأليف والنشر ١٩٧٠م.
- تأويل مشكل القرآن – ابن قتيبة – تحقيق السيد أحمد صقر – مطبعة البابي الحلبي ١٩٥٤م.
- تسهيل وتكميل المقاصد -- ابن مالك – تحقيق محمد كامل بركات مصر ١٩٦٨م.
- تفسير التحرير والتنوير – الشيخ محمد الطاهر بن عاشور – الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤.
- تفسير الرازي – المسمى (التفسير الكبير – فخر الدين الرازي – مكتبة عبد الرحمن محمد الأزهر – ط(١) ١٣٢٨هـ.
- تفسير أبي السعود، المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) أبو السعود محمد العمادي -- طباعة محمد صبيح وأولاده.
- تفسير الطبري – المسمى (جامع البيان عن تأويل آي القرآن – أبو جعفر الطبري – تحقيق محمود محمد شاكر – دار المعارف مصر ١٩٦٩.
- تفسير القرطبي – المسمى الجامع لأحكام القرآن – أبو عبد الله القرطبي – دار الكتب العربي – القاهرة – ١٩٦٧. راجعه وضبطه وعلق عليه د. محمد إبراهيم الحفناوي د. محمود حامد عثمان.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع – د. أحمد الهاشمي – بيروت: دار إحياء التراث العربي ط١٢.

- حاشية الخضري على شرح ابن عقيل – الشيخ محمد الخضري – مطبعة دار إحياء الكتب العربية – مطبعة البابي الحلبي.
- خصائص التركيب في ديوان أحمد الشارف – د. إبراهيم الطاهر الشريف مركز جهاز الليبيين للدراسات – الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الإشتراكية العظمى – ط(١) ٢٠٠٠.
- دار التنزيل وغرة التأويل – الخطيب الإسكافي – دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط(١) ١٩٩٥.
- دلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجاني – حققه وقدم له د. محمد رضوان الداية – د. فايز الداية – مكتبة سعد الدين ط(٥) ١٩٨٧.
- روح المعاني – أبو الفضل شهاب الدين الألوسي – دار الطباعة المنيرية لإحياء التراث.
- شرح التصريح على التوضيح – خالد بن عبد الله الأزهري – المكتبة التجارية الكبرى – مطبعة حجازي.
- شرح الرضي على الكافية – الرضي الاستريابذي – تصحيح وتعليق وتحقيق يوسف حسن عمر منشورات جامعة قاريونس – ط(٢) ١٩٩٦.
- شرح الشافية ابن الحاجب – رضي الدين الاستراباذي – تحقيق محمد نور الحسن، ومحمد الزفاف ومحمد محي الدين عبد الحميد – دار الكتب العلمية بيروت لبنان – ١٩٧٥.
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب – ابن هشام الأنصاري – ومعه شذرات على شرح شذور الذهب – تأليف عبد المتعال الصعيدي – مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح – ١٩٦٦.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك – ابن عقيل – تحقيق د. هادي حسن حمودي الحمداني – دار الكتاب العربي – بيروت لبنان – ط(٤) ١٩٩٩.
- شرح المفصل – موفق الدين يعيش بن علي بن بعبش – المطبعة المنيرية القاهرة مصر.

- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة في علوم حقائق الإعجاز – يحيى العلوي – طبعة المختلف بإشراف سيد المرصفي – ١٩١٤م.
- المبني للمجهول في الدرس النحوي – د. محمود سليمان ياقوت – دار المعرفة الجامعية – إسكندرية – ط(١) ١٩٨٩.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها – ابن جني – تحقيق د. علي النجدي ناصف، عبد الحليم النجار وعبد الفتاح إسماعيل شلبي نشر المجلس الأعلى – القاهرة – ١٩٦٦م.
- مشكل إعراب القرآن: مكي بن أبي طالب – تحقيق د. حاتم صالح الضامن وزارة الإعلام – بغداد ١٩٧٥.
- معاني القرآن – الفراء – تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجا وعبد الفتاح شلبي – المكتبة العصرية – بيروت ١٩٧٣.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – وضعه محمد فؤاد عبد الباقي – دار الفكر للطباعة والنشر – ط(٤)، ١٩٩٤.
- المغني في تصريف الأفعال – محمد عبد الخالق عضيمة – مطبعة العهد الجديد ط(٢) ١٩٥٥.
- مغنى اللبيب من كتب الأعاريب – ابن هشام – تحقيق محي الدين عبد الحميد دار الكتاب – بيروت لبنان.
- مفتاح العلوم – يوسف بن محمد السكاكي – تحقيق نعيم زرزور – دار الكتب العلمية بيروت – ١٩٨٧.
- المفردات في غريب القرآن – الراغب الأصفهاني – تحقيق محمد السيد كيلان دار المعرفة – بيروت.
- المقتصد في شرح الايضاح – عبد القاهر الجرجاني – تحقيق د. كاظم بحر مرجان.
- المقتضب – المبرد – تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – القاهرة ١٣٨٨هـ.

- الكتاب – أبو بشر سيبويه – تحقيق عبد السلام هارون – الهيئة المصرية للكتاب ١٩٦٨-١٩٧٥.

- الكشاف – أبو القاسم جار الله الزمخشري – دار المعرفة – بيروت لبنان.

- هامش الكشاف – ابن منير الأسكندري – دار المعرفة – بيروت لبنان.

- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع – تحقيق عبد العال سالم مكرم – دار البحوث العلمية الكويت ١٩٨٠م.



الفهارس العامة

أولاً: فهرس الآيات الكريمة

(على ما يوافق رواية حفص بن سليمان بن المغيرة لقراءة عاصم بن أبي الجود الكوفي)

إصدار جمعية الدعوة الإسلامية – طرابلس / الجماهيرية

سورة النساء

سورة المائدة

الآية	رقمها	الصفحة
▪ قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَىَ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ	٧١	١٢٧
▪ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّوَرِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ	٧٣	١٤٨
▪ وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ	٩١	٤٤
▪ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنَزلَ اللّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ	٩٣	٤٦
▪ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ	٩٤	١٨٣
▪ إِنَّ اللّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ	٩٥	٨٩
▪ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ	١٢٢	١٠٩

الآية	رقمها	الصفحة
▪ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لآتٍ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ	١٣٤	١٢١
▪ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلاَدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ	١٣٧	١٠٤
سورة الأعراف		
▪ قَالَ أَلْقُوْاْ فَلَمَّا أَلْقَوْاْ سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ	١١٦	٢٠١
▪ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَانقَلَبُواْ صَاغِرِينَ	١١٩	١٦٩
▪ فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَـذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللّهُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ	١٣١	١٧٦
▪ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ	١٣٦	١٦٦
▪ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ	١٤٤	٤٣
▪ وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَلِقَاء الآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ	١٤٧	٤٧
▪ وَلَمَّا سُقِطَ فَي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ	١٤٩	٧٧
▪ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ	١٦٠	١٧٠

الآية	رقمها	الصفحة
▪ وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُون	٩٢	٦٣
▪ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لاَّ تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُون	٩٤	١٠٣
▪ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُون	١٢٤	٢٠٦
▪ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُون	١٢٥	٢٠٦
▪ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُواْ	١٢٧	١١٥

سورة يونس

الآية	رقمها	الصفحة
▪ وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون	١٢	١٠٩
▪ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيم	١٥	١٧
▪ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُون	٣٤	٩٠
▪ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ	٥٢	٥٧
▪ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُون	٥٦	٣٦

الآية	رقمها	الصفحة
▪ وَمَا أُبَرِّىءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّـي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيم	٥٣	١٠٨
▪ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَاْ أَخُوكَ فَـلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُون	٦٩	١٦٦
▪ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُون	٧٠	٢٠٠
▪ فَلَمَّا أَن جَاء الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُـل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُون	٩٦	١٦٥
▪ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَـاءهُمْ نَـصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاء وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِين	١١٠	٢٢

سورة الرعد

الآية	رقمها	الصفحة
▪ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِـهِ الْمَوْتَى بَل لِّلّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَن لَّوْ يَـشَاء اللّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَـرُواْ تُـصِيبُهُم بِمَـا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَاد	٣١	١٣٥
▪ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَاد	٣٣	١٠٧
▪ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الأَحْـزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللّهَ وَلا أُشْرِكَ بِـهِ إِلَيْـهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآب	٣٦	٣٤

الآية	رقمها	الصفحة
▪ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاء اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِين	٨٧	١١١
▪ وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُون	٩٠	٧٦
▪ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِين	٩١	٩٣

سورة القصص

الآية	رقمها	الصفحة
▪ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُون	٣٤	١٩٩
▪ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِين	٣٨	٢٠٤
▪ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِين	٤٤	١٢٦
▪ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلاَ يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُون	٧٨	٢٤

سورة العنكبوت

الآية	رقمها	الصفحة
▪ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُون	٢	٣٢
▪ يُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَيَرْحَمُ مَن يَشَاء وَإِلَيْهِ تُقْلَبُون	٢١	٣٨

سورة فاطر

سورة يس

الآية	رقمها	الصفحة
▪ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ، قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِين	٧٢-٧١	١٣٩
▪ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِين	٧٣	١٤٠

سورة غافر

الآية	رقمها	الصفحة
▪ ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِير	١٢	١٣٧
▪ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّار	٣٥	٦٦
▪ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَاب	٣٦	٢٠٤
▪ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِين	٦٦	٩٠
▪ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون	٦٧	٨٤
▪ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُون	٦٩	٩٠
▪ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُون	٧٢	٧٦
▪ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُون	٧٣	٥٨

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الجاثية		
▪ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ	٢٥	٩٤
▪ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لاَ رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ	٣٢	٥٤
▪ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ	٣٤	٥٥
سورة الأحقاف		
▪ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ	١٦	٢٨
سورة محمد (ﷺ)		
▪ أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم	١٤	١٠٩
▪ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ	١٥	٤٩
سورة الفتح		
▪ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا	١٨	٨٧

ثانياً: فهرس الأبيات الشعرية:

البيت	الشاعر	القافية	البحر	الصفحة
أمــاوي مــا يغــني الثــراء عــن الفتــى إذا حشرجت يومـاً وضـاق بهـا الـصدر	حاتم الطائي	الراء	الطويل	٢١٥
كــذلك فافعــل مــا حييــت إذا شــتوا وأقــدم إذ مــا أعــين النــاس تفــرق	الأعشى	القاف	الطويل	٢٠٢
وصــــــيرني هـــــواك وبـــــي لحـــــيني يُـــــضرَب المثـــــل	محمد اليزيدي	اللام	الوافر المجزوء	١٩٤

طباعة وإخراج: صفاء نمر البصار 00962796507997 safa_nimer@hotmail.com